القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10418 الأحد 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 11 ربيع الأول 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10418 Sunday 17 October 2021

16

حوار: الباحث العراقي فارس كمال نظمي

18

الليبيون «البدون»: سنوات من الحرمان

36

طنجة العالية عروسة الشمال المغربي

القدس: مناوشات باب العمود تمهد لمواجهة
04

زياد ماجد: مقتلة الطيونة وأشباح الحروب الأهلية
22

أرجنتين ميسي: فضية على طريق الذهب
41

تونس: حكومة أدنى وانقلاب أعلى

لا تشير أوضاع تونس إلى انفراجات قريبة على صعيد حلّ التأزم السياسي والدستوري والحقوقي الذي خلقته إجراءات الرئيس قيس سعيّد الاستثنائية، والتي تتضافر مع أزمات البلد الاقتصادية والصحية والتربوية والتنموية. ولا يبدو أن تشكيل حكومة نجلاء بودن سوف يتكفل بتحريك حلول ملموسة، بالنظر إلى أنها حكومة الرئيس وحده بموجب بنود الأمر الرئاسي 117 التي تنص على أن الرئيس هو الذي يعيّن الحكومة، وهي تنفذ السياسة العامّة حسب التوجيهات التي يرسمها رئيس الجمهورية، ومسؤولة أمامه وليست خاضعة للبرلمان المعطل أصلاً. ومع اهتراء التأييد الابتدائي الذي حظيت به إجراءات سعيّد، وانزلاق الأمور إلى مواجهات بين شارع وشارع مضاد، تدخل تونس في منعطف بالغ الخطورة يلزم جميع أبنائها بصحوة وطنية شاملة.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

لبنان: بعد شويا وخلدة نكسة جديدة لحزب الله في عين الرمانة

مقاتلو حزب الله في الطيونة

إذا كان حزب الله فشل في تحقيق أهدافه في عين الرمانة على الأرض، فقد عاد ليضع شروطاً للعودة إلى مجلس الوزراء أولها إقفال الملف الذي يقوده القاضي البيطار.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

بعد الإشكال في بلدة شويا الدرزية وفي خلدة حيث العشائر العربية السنية، جاء دور حزب الله في عين الرمانة. فالحزب الذي اختار خراج بلدة شويا لقصف العدو الإسرائيلي براجمة صواريخ فوجئ بردّة فعل الأهالي ومحاصرة الراجمة وموكب المقاتلين قبل أن يتدخل الجيش للإفراج عنهم، وفي خلدة غضّ حزب الله النظر لمدة سنة كاملة عن تسليم المشتبه به بقتل الفتى حسن غصن المدعو علي شبلي على الرغم من وساطة الأمير طلال ارسلان ما دفع بشقيق المغدور إلى أخذ الثأر بيده من شبلي ثم مواجهة عرب خلدة المسلحين في موكب التشييع.

أما في عين الرمانة فاعتقد مناصرو حزب الله الذين يشعرون بفائض القوة أن دخولهم أحد الأحياء وإطلاقهم الهتافات الطائفية وتكسير السيارات والمحال سيكون نزهة، لكنهم فوجئوا بردة فعل الأهالي وشبّان المحلة بعد جرح 4 أشخاص من بينهم، فخرجوا من المحلة مخلّفين وراءهم 6 قتلى وعدداً كبيراً من الجرحى.

وإذا كان اشكال كل من شويا وخلدة أثارا ضجة سياسية وأضاء على طبيعة العلاقة المتوترة بين الحزب وتلك البيئة الشعبية، فإن أحداث الطيونة وعين الرمانة اكتسبت بعداً أكبر بكثير نظراً لخصوصية المنطقة وحساسيتها وارتباطها بذكريات الحرب وخطوط التماس التقليدية. وأكثر من ذلك، فإن المواجهات وقعت على خلفية ارتباطها سياسياً وقضائياً بشرط الثنائي الشيعي: إما تطيير المحقق العدلي في قضية تفجير مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار وإما تطيير الحكومة.

وبدا أن حزب الله لديه معلومات بأن المحقق العدلي يتجه في قراره الظني إلى الادعاء على قياديين في الحزب في موضوع تخزين النيترات في مرفأ بيروت والتغطية عليها طيلة تلك السنوات والتدخل لدى رئيس الحكومة حسان دياب للعدول عن زيارة المرفأ وتفقد العنبر الرقم 12 الذي انفجر وطيّر ثلث العاصمة اللبنانية وأوقع خسائر بشرية ومادية فادحة. وهذا ما يفسّر توتر الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله منذ أشهر وإيفاده مسؤول الارتباط في الحزب وفيق صفا لتوجيه رسالة تهديد مباشرة إلى القاضي البيطار بـ«القبع» مروراً بمداخلة وزير الثقافة محمد وسام مرتضى غير المألوفة على طاولة مجلس الوزراء لجهة طريقة مخاطبة الوزراء ورئيس الجمهورية ميشال عون الذي اضطر إلى رفع الجلسة بعد التهديد «بشي غريب عجيب مش شايفينو بحياتكن».

وقد ذكّر أسلوب حزب الله في التعاطي مع انفجار مرفأ بيروت بأسلوبه في التعاطي مع توسيع عمل لجنة التحقيق الدولية لتشمل إلى جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري النائب جبران تويني، فاتخذ حينها قراراً بتعليق مشاركة الوزراء الشيعة في حكومة الرئيس فؤاد السنيورة وتوسّع التصعيد ليشمل إقفال مجلس النواب وتنظيم اعتصام في وسط بيروت لأكثر من سنة بهدف منع قيام المحكمة الدولية. ما يعني على حد قول القيادي في «تيار المستقبل» النائب السابق مصطفى علوش «أنّ حزب الله أصبح ضد المحكمة الدولية عندما بدأت الخيوط تصل إلى أحد قادته، وذهب إلى تدمير البلد في الحرب، ومن ثم ضرب كل شيء، في سبيل تغطية الجريمة». وذلك التصرّف مع المحكمة الدولية يشبه إلى حد كبير تصرّف الحزب حالياً مع تحقيقات المرفأ حيث ذهب المقرّبون من الضاحية الجنوبية إلى حد وصف القاضي البيطار بالمحقق الدولي ديتليف ميليس، بعدما كان نصرالله طالب بتحقيق لبناني في انفجار المرفأ وليس بتحقيق دولي، إلى أن طرأ شيء يلمّح إلى مسؤولية ما لحزب الله في موضوع النيترات ومن طلب من رئيس الحكومة حسان دياب العدول عن زيارته المرفأ.

أكثر من ذلك، لقد مارس الثنائي الشيعي ضغطاً على أحد الناطقين بلسان أهالي ضحايا المرفأ ابراهيم حطيط وهو من الطائفة الشيعية لإصدار بيان يطالب فيه المحقق العدلي بالتنحّي بعد رفض البيطار تعيينه في منصب قضائي أعلى وكف يده عن الملف. ويحاول الحزب استثمار أحداث عين الرمانة ومقتل 7 لتكوين ملف قضائي يحاول من خلاله اتهام القوات اللبنانية وتركيب ملف لها مقابل ملف المرفأ بعدما فشلت محاولة الربط بين النيترات المكتشفة في البقاع ونيترات المرفأ، وتبيّن أنها عبارة عن شريط «أبو عدس» ثان.

وتأتي محاولات حزب الله بعدما فشل في تحويل 14 تشرين الاول/أكتوبر إلى 7 أيار/مايو جديد من أجل فرض أمر واقع يكرّس الهيمنة الإيرانية على لبنان وتنفيذ رغبات نصرالله الذي بات يتصرّف وكأنه «المرشد الأعلى للجمهورية اللبنانية» التي عليها تلقّف رسائله وتلبيتها وفي طليعتها حالياً إقالة المحقق العدلي تحت طائلة استخدام القوة.

وإذا كان حزب الله فشل في تحقيق أهدافه في عين الرمانة على الأرض، فقد عاد ليضع شروطاً للعودة إلى مجلس الوزراء أولها إقفال الملف الذي يقوده القاضي البيطار وتجريم القوات اللبنانية في أحداث الطيونة ومحاكمة من قرّر وخطّط ونفّذ العمليات ومحاسبة كل من أهمل وقصّر من القوى الأمنية في حماية المتظاهرين. على هذه الشروط يردّ خصوم الحزب بوضع شروط مقابلة في طليعتها تسليم سلاح حزب الله وفقاً لاتفاق الطائف وللقرار 1559 واستكمال التحقيق في انفجار المرفأ وتدويل الحدود.

ويسأل هؤلاء الخصوم «كم شهيد قدّم حزب الله على الجبهة الجنوبية ضد العدو الإسرائيلي منذ عام 2006 لغاية اليوم مقارنة بالقتلى الذين سقطوا للحزب في مواجهات مع أفرقاء لبنانيين؟». ويرون أن الحزب يمارس ما يتهم به غيره لناحية الاستعلاء والتحذير بالثبور وعظائم الأمور وعليه إجراء مراجعة لأدائه السياسي والميداني ولفائض القوة الذي بدأ يرتد عليه، بحيث بدل أن يتحوّل تاريخ 14 تشرين إلى «يوم مجيد» بحسب توصيف نصرالله لاجتياح 7 ايار في بيروت تحوّل إلى يوم مجيد لمعارضي الحزب الذين ربحوا جولة جديدة في عين الرمانة بعد جولتي شويا وخلدة، وهذا يعني نكسة لحزب رغم كل ما يمتلكه من ترسانة عسكرية يحاول من خلالها ترهيب وترغيب القوى السياسية. ويخلصون إلى القول إن «الجولة الأخيرة لم تكن مواجهة شيعية مسيحية بين حزب الله وأفرقاء مسيحيين بل كانت امتداداً للمواجهة بين حزب الله وأفرقاء لبنانيين أحرار يرفضون الخضوع لمنطق القوة».

«غزوة عين الرمانة» حصَّنت جعجع والمعركة على البيطار عنوان لانتصار «حزب الله» أو انكساره

الجيش اللبناني في الطيونة

جاءت «غزوة عين الرمانة» أو «حرب الطيونة» في 14 تشرين الأول/اكتوبر لتخطّ تاريخاً جديداً لا يزال من المبكر التنبؤ بما ستؤول إليه من نتائج وتداعيات.

رلى موفّق

رسم الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله في 11 تشرين الأول/أكتوبر الحالي «خريطة الطريق» لتنفيذ أمر إقالة المحقق العدلي في جريمة تفجير مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار المتهم بالاستنسابية. قال إن على مجلس القضاء الأعلى أن يجدّ حلاً، وإنْ كان لا يُريد، فالمطلوب من مجلس الوزراء أن يحلّ هذا الموضوع لأن لا إمكانية أن يُكمل بهذه الطريقة، خصوصاً في الأيام القليلة المقبلة. المطلوب إزاحة البيطار عن ملف التحقيق وهو الذي أصدر مذكرة توقيف بحق وزير المالية الأسبق النائب علي حسن خليل والمعاون السياسي لرئيس حركة «أمل» نبيه بري، والذي يتربّع على عرش رئاسة البرلمان منذ عقود ثلاثة، ويلاحق وزيراً حركياً آخر هو وزير الأشغال العامة الأسبق النائب غازي زعيتر، وحليفاً لـ«الحزب» هو يوسف فنيانوس الوزير السابق للأشغال أيضاً، ومعهما رئيس حكومة «محور إيران» حسان دياب، والذي كان – قبل وقت قصير من حصول التفجير – يودُّ أن يزورَ العنبر «رقم 12» لتسجيل بطولات اكتشاف نيترات الأمونيوم، لكن كلمة السر جاءته بالعدول.

والأهم أن البيطار يطلب من وزير الداخلية الموافقة على ملاحقة المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم «صندوق أسرار الحزب» في استباحة الدولة والمؤسسات وأفعاله غير المشروعة خارج الحدود، وهو المرشح لتبوُّء موقع الرئاسة الثانية مستقبلاً. بالطبع، فإن المحقق العدلي لا يُلاحق هؤلاء فحسب، بل هناك أيضاً المدير العام لأمن الدولة اللواء طوني صليبا المحسوب على رئيس الجمهورية، والذي يرفض مجلس الدفاع الأعلى إعطاء الإذن بملاحقته، وكذلك هناك وزير الداخلية الأسبق نهاد المشنوق الذي كان سيستمع إليه وإلى زميله زعيتر يوم «حرب الطيونة» المصغّرة.

وفق «خريطة طريق» نصر الله، تعذَّر الحل على يد مجلس القضاء الأعلى الذي زاره منسّق الارتباط في «الحزب» وفيق صفا، فانتقلت المهمة إلى جلسة مجلس الوزراء، التي كانت برئاسة رئيس الجمهورية ميشال عون، «الحليف» الذي أسهم في عزل لبنان عن محيطه العربي، والحالم بـ«حلف الأقليات» وبإيصال صهره جبران باسيل إلى سدّة الرئاسة الأولى خلفاً له. ما كان عون قادراً على تلبية مطلب نصر الله. أولاً، لأن التوقيت دقيق وحسّاس على أبواب انتخابات نيابية يُريد منها باسيل الحفاظ على الكتلة المسيحية الأكبر التي يُنافسه عليها رئيس حزب «القوات اللبنانية» سمير جعجع، كورقة في معركة انتخابات رئاسة الجمهورية في وجه الجميع. وثانياً، لأن العين الأمريكية على «الصهر» المُصاب بعقوبات أمريكية، ولا بدَّ من تقديم حسن سلوك سياسي بالحد الأدنى على العصا الغليظة تُرفع عن حامل الإرث العوني. وثالثاً، لأن المجتمع الدولي، المعوَّل عليه أن يمدَّ خشبة النجاة للبنان، ينتظر إصلاحات تُقوّي هيبة الدولة لا خطوات تقوّضها.

إزاء الواقع المأزوم، كان لا بدَّ من «7 أيار» جديدة، غير أن «غزوة عين الرمانة» جاءت مغايرة لـ«غزوة بيروت». هناك انطلقت شرارة الحرب الأهلية، ورُفعت خطوط التماس بين المسيحيين والمسلمين، وعلى جانبيها لا يزال يتمترس الطرفان حتى في أيام السلم، فالذاكرة أساساً ما زالت غير نقيّة، وتُراكم في طياتها سيرة استقواء وهيمنة وسيرة إحباط وتهميش.

في 7 أيار/مايو 2008 وقفت بيروت عارية، حيث انكفأ الجيش عن الدفاع عن أبناء المدينة، لا بل انسحب فاتحاً الطريق أمام جحافل ميليشيا «الثنائي الشيعي» لدخولها وفرض «اتفاق الدوحة» كملحق لـ«اتفاق الطائف». قيل يومها إن «غزوة بيروت ما كانت لتحدث لولا حصول اختلال في موازين القوى الإقليمية»، رغم أن مرحلة 2005 – 2008 امتلأت بدماء شهداء «ثورة الأرز» على خلفية الترهيب للإطاحة بالمحكمة الدولية الخاصة بجريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري.

شكّلت «غزوة بيروت» تاريخاً مفصلياً في حياة لبنان بتداعياته السياسية والأمنية التي لا تزال مستمرة حتى اليوم. وقعت البلاد أكثر فأكثر في قبضة محور إيران ترهيباً وترغيباً. جاءت «غزوة عين الرمانة» أو «حرب الطيونة» في 14 تشرين الأول/اكتوبر لتخطّ تاريخاً جديداً لا يزال من المبكر التنبؤ بما ستؤول إليه من نتائج وتداعيات. تفاجأت ميليشيا «حزب الله – حركة أمل» بحجم الاستعداد على المقلب الآخر، فثمة خبرة قتالية طفت إلى السطح، وظهر القناصة الذين أوقعوا «مجزرة» في صفوف «الغزاة» (سبعة قتلى وعشرات الجرحى). «غزوة 7 أيار» كانت «نُزهة» معبّدة الطريق، لكن الحال تغيّرت في «غزوة 14 تشرين» التي كان مرسوماً لها أن تفعل فعلها الترهيبي على القرار السياسي لعون، وأن تُوجّه رسالة لجعجع الذي يرى «حزب الله» أنه لا يزال خارج دائرة التطويع النهائي التي دخلها زعيما السُّنة والدروز سعد الحريري ووليد جنبلاط.

ستكون «القوات اللبنانية» ورئيسها في عين العاصفة منذ اليوم. فـ«اختبار 14 تشرين» صعبٌ بنتائجه على «حزب الله» الذي يُريد من حلفائه «مواقف واضحة من حزب القوات الذي يعمل لصالح الأمريكي وجهات عربية تريد أخذ البلد إلى الفتنة» بحسب رئيس المجلس التنفيذي للحزب هاشم صفي الدين، الذي يُريد أيضاً من الأجهزة الأمنية والقضائية «تحمُّل المسؤولية وجلب المجرمين إلى العدالة» موجهاً تهديداً جديداً «بأن أي تلكؤ بهذا الأمر سيُعتبر شراكة بسفك الدماء البريئة».

دخلت البلاد في فصل آخر من الأزمات. رفع «الثنائي الشيعي» كارت التعطيل في وجه حكومة نجيب ميقاتي، بعدما وضع مطلب إقالة البيطار بنداً أولَ في مجلس الوزراء الذي سيبقى معلقاً إن لم تحل قضية البيطار. وإذا تجرّأ ميقاتي على الدعوة لمجلس الوزراء، فسيستقيلون، ليسقطوا الميثاقية عن الحكومة كما فعلوا في حكومة فؤاد السنيورة عام 2006. وزاد «حزب الله» بند تطويق جعجع، الذي يرى متابعون أنه خرج رابحاً من «اختبار الطيونة» أمام بيئته السياسية والبيئة المسيحية التي قدّم نفسه حامياً لها إن تخاذل الجيش اللبناني عن القيام بدوره، ولا شك أنه سيحصد نتائج الاختبار في صندوقة الاقتراع في الانتخابات النيابية المقرر إجراؤها في 27 آذار/مارس 2022. ويذهب هؤلاء إلى اعتبار أن الرجل بات يحظى أكثر بحماية دولية، وأنه أسقط ما كان يُحضَّر له من خلال ربط نيترات البقاع بنترات المرفأ، تكراراً لسيناريو تفجير كنيسة «سيدة النجاة» التي ألصقت به لتُسقط عنه مفاعيل العفو العام وليمضي في السجن أحد عشر عاماً في جرائم سياسية نُسبت إليه، رغم تبرئته من تهمة تفجير الكنيسة.

يحصل كل ذلك، فيما يقف زعيم «تيار المستقبل» متفرجاً ومعه يقف زعيم «المختارة» على ضفة النهر، متوجسَّين من التقدّم المتنامي لحليف الأمس في حساباتهم السياسية للمرحلة المقبلة، ومنتظرين لما ستسفر عنه نتائج المواجهة في الإقليم، والتي دخل فيها لبنان كساحة ناشطة في لعبة عضّ الأصابع وتسجيل الأهداف في خضم عملية ترتيب أوراق المنطقة المنطلقة من أن الانسحاب الأمريكي منها محقّق.

تحوّل البيطار عنواناً لانكسار «حزب الله» أو لانتصاره في الداخل وامتداداً لانتصار محوره، لكنه أيضاً سيكون عنواناً لسقوط آخر حصون الدولة اللبنانية، أو بداية تدعيمها.

باب العمود في القدس مناوشات مسائية يومية تمهد لمواجهة مقبلة

أمام سياسة شرطة الاحتلال الرامية إلى تفريغ ساحة باب العمود من الشبان المتواجدين مساء فإن شبيبة المستوطنين يتواجدون في المنطقة وكأن هناك معركة إثبات وجود بدأت تفرض نفسها.

فلسطين-«القدس العربي»: سعيد أبو معلا

قبل حلول المساء بقليل تسيطر حالة من الهدوء على منطقة باب العمود، تقفل الأسواق ويغادر العمال إلى منازلهم طلبا للراحة. إنه هدوء يسبق العاصفة كما يقال، فما هي إلا فترة قصيرة حتى يحين موعد عاصفة الانتهاكات الإسرائيلية اليومية بحق المقدسيين ممن يتواجدون في المكان الذي اعتادوا على التواجد فيه مع ساعات المساء الأولى بشكل عفوي.

«مسكين ابن هذه المدينة، يمضي يومه ما بين اعتقالات ليلية، واقتحامات صباحية للمسجد الأقصى، واعتداء عليه وهو في عمله من غلاة التطرف، ونبش قبرا بأوي أحبته الذين رحلوا، وحينما يقرر أن يستريح تصيبه قنبلة صوتية في مدرج باب العمود» بهذه أسامة برهم واقع المدينة وتحديدا في ظل تنامي عدة منغصات عليه ولا سيما المساحة التي كانت تمنحه البهجة والجو الاجتماعي في المدينة التي تشهد التهويد على قدم وساق. يكمل برهم قائلا:

شبان فلسطينيون يواجهون شرطة الاحتلال في باب العمود

«وعندما يلجأ هذا المقدسي إلى بيته يتابع اخبار المدينة يرى أحدهم (مسؤولا) لا يميز بين عقبة درويش وعقبة البطيخ (أحياء مكونة من شوارع ضيقة ويوجد فيها مبانٍ تاريخية، وفي الغالب تربط شوارع وأحياء المدينة) يلبس ربطة عنق فاخرة يحكي عن وجع القدس ويطالب بميزانيات من أجل تعزيز صمود أهلها».

وأضاف «أتمنى لكم أحلاما أجمل من أحداثنا اليومية، وقصد بذلك هجمات شرطة الاحتلال في مدينة القدس على المقدسيين والشباب والفتية الذين يتواجدون مساء في منطقة باب العمود.

ويعتبر باب العمود الأكثر فخامة بين أبواب القدس من ناحية الزخارف والارتفاع الذي يصل لنحو ثمانية أمتار، وكان على مدار قرون الممر الرئيسي لجميع القوافل التجارية والأفواج السياحية المتجهة للقدس، لكنه اليوم أصبح رمزاً للسياسات التهويدية بالمدينة، بدءاً من القمع والقتل، مروراً بمحاولات تهويده والتضييق على مرتاديه من خلال تواجد فتية ومستوطنين شباب في المكان كل مساء.

يذكر أن آخر محاولة لمنع المقدسيين من التواجد عنده كانت مطلع رمضان الماضي، حيث خاض الشبان المقدسيون نضالاً يومياً إلى أن تمكنوا من تحقيق مطلب إزالة الحواجز الحديدية التي كانت تمنع وجود المقدسيين بجانبه، حيث تم الاحتفال بإزالتها بتاريخ 26 نيسان الماضي.

أما الإعلامية وابنة مدينة القدس الاحتلال فرق الخيالة (الأحصنة) لتفريق الشبان المتواجدين في منطقة باب العمود، وهو تواجد أصبح فيه من التحدي أكثر مما فيه من تحقيق هدف أو غاية تستوجب على الشباب التواجد في المكان.

وتنظم دوريات احتلالية راجله من 4 جنود جولة كل 15 دقيقة لطرد الشبان والتضييق عليهم وقد يتطور الأمر إلى الاعتداء والاعتقال.

كما يمكن رؤية ضابط من شرطة الاحتلال يتواجد في منتصف ساحة باب العمود لمراقبة الشبان المتواجدين.

شبيبة المستوطنين

في الوقت الذي تمنع فيه قوات الاحتلال تواجد الشبان في ساحة باب العمود، فإنها تسمح لمجموعات من المستوطنين بالتجول فيه، وبطريقة استفزازية.

فأمام سياسة شرطة الاحتلال الرامية إلى تفريغ ساحة باب العمود من الشبان المتواجدين مساء فإن شبيبة المستوطنين يتواجدون في المنطقة وكأن هناك معركة إثبات وجود بدأت تفرض نفسها.

وإزاء كل عملية تواجد لمجموعة من المستوطنين هناك أكثر من دورية جنود توفر الحماية لهم.

نشطاء أكدوا لـ«القدس العربي» أن الأمر لم يعد مرورا سريعا لمجموعات المستوطنين كما جرت العادة، بل أصبح تواجدا على شكل جماعات محاطة برجال الشرطة، وكأن هناك رغبة في تقسيم منطقة باب العمود بين المقدسيين والمستوطنين كما هو حال التقسيم الزماني للمسجد الأقصى، ومحاولة فرض التقسيم المكاني أيضا.

وثق نشطاء مقدسيون بكاميراتهم قيام فتية من المستوطنين باستفزاز المقدسيين بإشارات وألفاظ نابية، وعندما رد عليهم بعض الفتية الفلسطينيين لاحقهم عشرات الجنود وطاردوهم بغية اعتقالهم.

أيضا انتشرت فيديوهات لجنود من شرطة الاحتلال تتعامل مع المستوطنين الشباب برفق وحنية، فيما ابتسامة الشرطي تعلو محياه، لضمان عدم احتكاكهم مع المقدسيين، أما على بعد أمتار قليلة فيتم قمع المقدسيين بالهراوات والمياه العادمة والقنابل الغازية والمطاطية.

وبحسب مصادر صحافية فإن مستوطنا رش مقدسيا بغاز الفلفل الحارق قرب منطقة حي المصرارة القريب من باب العمود، وهو ليس الاعتداء الأول في الأيام السبعة الماضية.

وخلال الفترة ذاتها تم الاعتداء بوحشية على المقدسي علاء الحداد في محيط باب العمود، وإطلاق قنابل الصوت على المقدسيين في محيط الباب، وتعرض محمد أبو سنينة إلى الاعتقال من وحدة المستعربين.

ورغم كل هذه المخاوف فإن عشرات الفتية المقدسيين يصرون على التواجد في المنطقة ويخوضون نقاشات وجدالات وأحاديث ساخرة ومتهكمة على الجنود الذين يقيمون في الغرفة الخاصة بالشرطة المطلة على مدرجات باب العمود التي كانت في فترات سابقة نقطة استهداف لشباب القدس بالحجارة والزجاجات الحارقة.

كما أنهم يرددون شعارات دينية مثل: «خيبر خيبر يا يهود جند محمد سوف يعود» ويرددون أيضا أغاني وطنية حماسية من دون أن تُرهبهم الجنود المدججين بالسلاح.

وأمام عدم تجاوب الشباب والفتية المقدسيين لطلبات الجنود ولا لمضايقاتهم المختلفة جُلبت سيارة «المياه العادمة» وهو سلاح قوي لا يستهدف الشبان المتواجدين فقط إنما يهدف إلى إبعاد الجميع عن المكان في ضوء طبيعة الرائحة الكريهة التي تتركها المياه على المحلات والأدراج والبضائع.

وغالبا ما تستخدم هذه المياه من أجل تفريق المتظاهرين لكنها خلال الأسبوع الماضي لم تستخدم لهذا الغرض إنما كان الهدف منها إفراغ الساحة من مرتاديها. فإفراغ المحلات بالرائحة والمياه الكريهة حدث تكرر أكثر من مرة في الأسبوع الماضي.

يقول أحد النشطاء المقدسيين: «بتكون قاعد بأمان الله على درجات باب العمود بتشرب قهوة والهوا بهف هف حواليك، وفجأة تقتحم سيارة المياه العادمة المكان وتطلق بخرطومها ما يجعلك تكره نفسك لأيام».

الكثير من المواطنين أكدوا أن رائحة المياه العادمة هذه مختلفة، «فهي لا تفقد قدرتها على إيذاء من تلمسه إلا بعد أيام».

والأمر لم يتوقف على أغراق الشبان بالمياه العادمة بل امتد ليصل المناطق المحيطة به، وهو ما أدى إلى تضرر الكثير من بضائع المحال التجارية القريبة.

أما الاعتداءات الإسرائيلية على الشبان في المنطقة في يوم الأربعاء الماضي فقد أوقعت تسع إصابات في محاولة تفريغ المكان الذي يهوى أهل القدس الجلوس فيه.

وأطلقت قوات الاحتلال الرصاص المطاطي والقنابل الصوتية باتجاه الشبان، ما أدى إلى تسجيل عدد من الإصابات التي تعاملت الغرق الطبية الفلسطينية معها.

ورغم كم التضييق على المقدسيين حيث التفتيش والاعتقال والاحتجاز لساعات، أدى آلاف المواطنين صلاة الجمعة، في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وبحسب دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس، فإن نحو 45 ألف مصل أدوا صلاة الجمعة في رحاب المسجد الأقصى، رغم الإجراءات العسكرية المشددة، التي فرضتها سلطات الاحتلال.

كما اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي، الجمعة، ثلاثة مواطنين من باحات المسجد الأقصى المبارك، حيث وأوقفت ثلاثة مواطنين قادمين من مناطق الضفة الغربية، حيث دققت في بطاقاتهم الشخصية قبل أن تعتقلهم، وهم: علاء دويري، وخليل أبو سمرة، وصالح سعسع، وثلاثتهم من محافظة قلقيلية.

لا يتوقف الجهد على هذه الساحة فقط، إنما الخطط الاستيطانية في المدينة لا تتوقف، وأخرها خطط مستوطنة في محيط مدينة القدس المحتلة وخلف الخط الأخضر والمسماة «جفعات همتوس ومنطقة (E 1) وعطروت وبسغات زئيف».

وكانت الرئاسة الفلسطينية عن عبرت عن إدانتها ورفضها وتحذيرها للخطط الاستيطانية، معتبرة أنها «تمس بالخطوط الحمراء المتعلقة بمكانة مدينة القدس، وتؤدي إلى فصلها عن محيطها الفلسطيني».

ورغم أن الرئاسة وكالعادة أكدت أن مثل هذه المشاريع هي تحد للقانون الدولي والشرعية الدولية، والاتفاقات الموقعة، وللالتزامات الأمريكية إلا أن ذلك كله لا يعني أي شيء في الاستعداد لمواجهة قادمة، وحدهم شباب القدس وفتيتها مستعدين للدفاع عن أماكنهم الوحيدة التي حشرهم الاحتلال فيها وأصبحت ملاذهم الوحيد.

تركيا ترسم خطط معركتها المقبلة في سوريا وتنتظر موافقة الكبار في قمة العشرين

لدى أنقرة بنك أهداف في مسار تحركها وعملياتها العسكرية في سوريا، تعتبرها تشكل تهديدا لأمنها القومي، هي تل تمر وعي عيسى ومنبج وعين العرب إضافة لتل رفعت.

منهل باريش

قوات تركية–روسية في سوريا

انتقل التصعيد ضد أنقرة إلى داخل حدودها بعد القصف على منطقة قرقميش الحدودية مع سوريا، أقصى جنوب شرق ولاية غازي عينتاب، الاثنين، حيث سقطت خمس قذائف هاون، من الواضح أن مصدرها قرية زور مغار غرب مدينة القامشلي عين العرب/كوباني والتابعة إداريا بدورها إلى محافظة حلب. وتسيطر على المنطقة قوات سوريا الديمقراطية «قسد».

ورغم تعدد استهداف القوات التركية في إدلب وشمال حلب ورِيف الرقة والحسكة، إلا أنها المرة الثانية في أقل من عام تستهدف الأراضي التركية بقذائف الهاون، حيث جرى الاستهداف الأول شهر آذار (مارس) الفائت بقذيفتين مصدرهما محيط تل رفعت، لم يسفرا عن وقوع أي ضحية في ولاية كلس، وتعرضت دورية من القوات الخاصة التركية إلى هجوم بصاروخ مضاد للدروع م/د، الأحد، في محيط بلدة مارع في ريف حلب الشمالي، أدى إلى مقتل جنديين وإصابة آخر بجروح بليغة، وأعلنت وزارة الدفاع التركية، الثلاثاء، مقتل عنصرين من شرطة المهام الخاصة التركية بصاروخ موجه أطلق من مدينة تل رفعت واتهمت «وحدات حماية الشعب» الكردية بالهجوم.

وبعد يومي التوتر، عاد الهدوء الحذر للجبهات بين مناطق النفوذ التركي والمناطق التي تسيطر عليها «قسد» وقوات النظام السوري.

سياسا، ارتفعت حدت التصريحات التركية بشكل مطرد، ابتدأها الرئيس التركي، رجب طيب اردوغان، وأعرب في مؤتمر صحافي بعد اجتماع حكومي في المجمع الرئاسي في العاصمة أنقرة عن «نفاد صبر بلاده حيال الهجمات التي تستهدف القوات التركية في منطقة درع الفرات شمالي سوريا» ونقلت وكالة «الأناضول» التركية عن اردوغان أن «الهجوم الأخير على قواتنا، والتحرشات التي تستهدف أراضينا بلغت حداً لا يحتمل» مهددا «سنقضي على التهديدات من مصدرها هناك (شمالي سوريا) إما عبر القوى الفاعلة هناك أو بإمكاناتنا الخاصة».

وأشار وزير الخارجية التركية، مولود جاووش أوغلو إلى أن «مدى الصواريخ التي تستهدف الجنود الأتراك يبلغ حوالي 30 كيلومتراً» وانتقد دور أمريكا وروسيا في شمال سوريا، معتبرا انهما «لم تلتزمان بتعهداتهما بضمان انسحاب الوحدات الكردية من منطقة الحدود السورية» وحمل روسيا وأمريكا المسؤولية عن «الهجمات الأخيرة على المدنيين في هذه المنطقة». ووصف الإدانات الأمريكية للهجمات على تركيا أنها «غير صادقة» لأن واشنطن ما زالت تسلّح المقاتلين الأكراد، وختم الوزير التركي «بما أن روسيا وأمريكا لم تلتزما بتعهداتهما فيجب علينا الاعتماد على أنفسنا والقيام بما يجب فعله».

كذلك، تشكل عين عيسى إحدى الخواصر الرخوة للانتشار التركي كونها أهم المدن على طريق M4 في الرقة. وشهدت المدينة تصعيدا خطيرا العام الماضي، بين القوات التركية والجيش الوطني السوري المعارض من جهة، وقوات سوريا الديمقراطية «قسد» من جهة أخرى، في حين تعتبر تل تمر امتدادا طبيعيا لمنطقة عملية «نبع السلام» التركية.

إلى ذلك، كانت مدينة منبج في ريف حلب الشرقي، أهم المدن التي رغبت تركيا بالسيطرة عليها، وساهمت سيطرة «الوحدات» الكردية عليها بدفع تركيا إلى البدء بعملية «درع الفرات» ضد تنيظم «الدولة» مع خطر توسع المقاتلين الأكراد إلى ريف حلب الشمالي.

وأشار مسؤول تركي إلى أنه «من الضروري تطهير المناطق وخصوصاً منطقة تل رفعت التي تنطلق منها هجمات ضدنا باستمرار». وانتهى أحد المسؤولين «جرى أخذ القرار، والتنسيق اللازم سيتم مع دول محددة».

أهداف تركيا

رغم تركز التصريحات التركية على أن أهم أهدافها هي بلدة تل رفعت في ريف حلب الشمالي، إلا أن لدى أنقرة بنك أهداف صار واضحا للغاية في مسار تحركها وعملياتها العسكرية في سوريا، والتي تعتبر انها تشكل تهديدا لأمنها القومي، هي تل تمر وعين عيسى ومنبج وعين العرب إضافة لتل رفعت.

تشكل تل رفعت حساسية بالغة لدى تركيا ولدى مقاتلي الجيش الوطني وخصوصا «الجبهة الشامية» حيث ينضوي أغلبهم في الجبهة الشامية، وتعرضوا لخذلان كبير بعد توقف عمليات عفرين، ولم يسمح لهم بإكمال المعركة كما وعدوا من قبل قيادة الجبهة الشامية وأنقرة، حيث تحولت إلى مركز رئيسي للمدنيين الأكراد الذين هجروا من عفرين.

وتعتبر عين العرب/ كوباني صلة الوصل بين مناطق النفوذ التركي بين شرق الفرات وغربه وهي المدينة المهدمة بسبب الحرب ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» وتلاصق الحدود التركية تماما، وهي ما تعتبره أنقرة التهديد الأقرب لها.

كذلك، تشكل عين عيسى إحدى الخواصر الرخوة للانتشار التركي كونها أهم المدن على طريق M4 في الرقة. وشهدت المدينة تصعيدا خطيرا العام الماضي، بين القوات التركية والجيش الوطني السوري المعارض من جهة، وقوات سوريا الديمقراطية «قسد» من جهة أخرى، في حين تعتبر تل تمر امتدادا طبيعيا لمنطقة عملية «نبع السلام» التركية.

إلى ذلك، كانت مدينة منبج في ريف حلب الشرقي، أهم المدن التي رغبت تركيا بالسيطرة عليها، وساهمت سيطرة «الوحدات» الكردية عليها بدفع تركيا إلى البدء بعملية «درع الفرات» ضد تنيظم «الدولة» مع خطر توسع المقاتلين الأكراد إلى ريف حلب الشمالي.

في نقاش الاحتماليات، تعتبر تل رفعت هي الأبعد عن واقعية عملية عسكرية - بسبب الانتشار الروسي في مطار منغ العسكري المجاور لمدينة اعزاز، وهو ما سيقطع الطريق أمام الشرطة العسكرية الروسية هناك، للوصول إلى حلب.

أما احتمال الهجوم على منبج أو عين عيسى فقد أصبح مستبعدا للغاية بعد الاختبارات التركية السابقة وتفاهمات سوتشي عام 2019 والتي أعقبت العملية التركية في تل ابيض وراس العين، إثر الانسحاب الأمريكي.

وتدرك أنقرة ان أي عملية عسكرية جديدة في سوريا تحتاج إلى الموافقة الروسية، وان ما يعيقها تحديدا هو قرار الأخيرة، أكثر منه اعتراض أمريكي، خصوصا في عين العرب/كوباني فقد تراجع النفوذ الأمريكي في منطقة شرق الفرات إلى منطقة الحسكة ودير الزور، وتخلت واشنطن في وقت سابقا عن قاعدة صرين، أكبر القواعد الأمريكية في المنطقة، وغير البعيدة عن عين العرب وهو ما يرجح انها المنطقة الأضعف في شرق الفرات لـ «قسد».

اما الرضا الروسي عن عملية تركية، فهو محتوم بإزاحة قوات التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، المتراجع في شرق القامشلي. ما يعني انه في حال انتزاع الموافقة من روسيا ان تتركز المناطق ذات الأهمية لـ«وحدات الحماية» الكردية، وهي مدن عامودا والدرباسية غرب القامشلي، أو باتجاه المالكية ومثلث الحدود الثلاثي بين تركيا وسوريا والعراق، وهو ما سيقطع الطريق بين الذراع المتمثل بـ«الوحدات» الكردية في سوريا، والأم في جبال قنديل، حيث يتمركز حزب «العمالي الكردستاني».

بالطبع، فإن التصعيد من قبل قوات سوريا الديمقراطية «قسد» يرد إلى رغبتها في اختبار الإدارة الأمريكية الجديدة والتصريحات الأخيرة بمساندتها، مستغلة الحاجة الأمريكية لها، سابقا وحاليا، وسط تصاعد أنشطة تنظيم «الدولة الإسلامية» شرق الفرات، وهو ما يجعل الرئيس المشترك لـ«مجلس سورية الديمقراطية» رياض درار يستبعد وقوع عملية عسكرية تركية جديدة ضد قواته في الأراضي السورية مؤكدا «عدم وجود اتفاقيات أو ضوء أخضر» بهذا الخصوص.

وشار مسؤول تركي إلى أنه «من الضروري تطهير المناطق وخصوصاً منطقة تل رفعت التي تنطلق منها هجمات ضدنا باستمرار». وانتهى أحد المسؤولين «جرى أخذ القرار، والتنسيق اللازم سيتم مع دول محددة».

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10418 الأحد 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 11 ربيع الأول 1443 هـ

صالة «العرض» السياسي الأردنية: إخلاء مقاعد الصف الأول لمن؟

تحتاج دوائر القرار للوقوف بتعمق أمام قواعد مبررات واحتياجات الإصلاح الحقيقي بسبب اليأس الاجتماعي والضجر الأفقي من كثرة الحديث عن الإصلاح والتحديث من دون ممارسته في الميدان.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

قد تنجح سياسة أو فلسفة إخلاء مواقع الصف الأول في صالة العرض السياسي الداخلي الأردني إذا ما ارتبطت حقا باستراتيجية متدرجة مرتبطة بإرادة سياسية أفقية.

لكن مثل هذا الإخلاء النخبوي لمواقع الصف الأول قد يؤدي إلى دحرجة تأزيم سياسي غير مسبوق أو معهود لم يألفه الأردنيون إذا انتهت مقررات وتوصيات تحديث المنظومة السياسية للبلاد بمتوالية هندسية جديدة لها علاقة بالانتخابات والأحزاب هذه المرة أو بجملة تكتيكية لعوب فيها قدر من التحايل على الواقع فقط.

تحتاج دوائر القرار للوقوف بتعمق أمام قواعد مبررات واحتياجات الإصلاح الحقيقي بسبب اليأس الاجتماعي والضجر الأفقي من كثرة الحديث عن الإصلاح والتحديث من دون ممارسته في الميدان، لأن ما قاله معارض مثل الشيخ مراد العضايلة لا يزال ماثلا عندما يتعلق الأمر بسؤال الإصلاح الشامل على أساس انه احتياج للدولة والنظام هذه المرة.

سمعت «القدس العربي «العضايلة يقول ويكرر تلك القناعة. وسمعت عضو لجنة التحديث للمنظومة السياسية والباحث الأكاديمي الدكتور زيد عيادات يؤشر على أن الخطوات المتدرجة ينبغي ان يتعامل معها الجميع الآن بجدية لأن الكلفة لن تكون بسيطة.

المضمون الأعمق في خطاب التحديث والذي تضمن تنازلات للناس قدمتها الدولة ومؤسسات القرار ضمنيا بعد انتخابات شهيرة عبثت بها ميكانيزمات الهندسة.

وما يعنيه ذلك أن كلفة وفاتورة مراوغة التحديث إلين بعد إنضاج صفقته للمنظومة ستكون أكبر بكثير مستقبلا إذا بقيت الجملة السياسية في إطار اللاعبة والمراوغة وإذا لم يتم فعلا تجهيز بديل وطني ومنتج والأهم جاهز للعمل والواجب عندما تحين لحظة إخلاء مواقع ومقاعد الصف الأول.

ناقشت المعارضة الإسلامية ذلك خلف الستارة والكواليس. ولاحظت شخصيات خبيرة وعميقة بأن نمطية الإحلال والاستبدال يبدو أنها تؤثر في المناخ العام.

والفكرة من التحديث ومنظومته كانت أصلا التبديل والتغيير والتخلص من تكدس بعض النخب الكلاسيكية وإخلاء مقاعدها بالتدريج حفاظا على التوازنات إلى ان تتاح فرصة التحول لبرامج حزبية تحكم سلطة التشريع ثم تنتقل لاحقا وفي غضون عشر سنوات إلى لعب دور رئيسي في الإدارة وسلطة التنفيذ.

ذلك طموح كبير ومشروع تحول برعاية ملكية.

لكن الاقتراحات التي تتحدث عن عبث محتمل والشكوك متراكمة أيضا في الساحة، حيث يصر قطب برلماني مثل صالح العرموطي على ان الطريق الأقصر والأسرع والأفضل هو الالتزام بدفع كلفة البقاء في مستوى الإحتكام للدستور فقط.

المسألة تتعلق بالإجراءات وفقا للمحلل السياسي الدكتور عامر السبايلة، فإخلاء مواقع الصف الأول لا يحتاج لعصف ذهني بل لقرارات وإجراءات إصلاحية يمكن ان يصفق لها الجميع قبل البحث في تفاصيل المنظومة وتحديثها.

والسؤال المركزي في هذا السياق هو إخلاء مقاعد من لمن؟

عند بروز أي محاولة للإجابة على هذا السؤال يعيد بعض السياسيين الأمر لمضمون ومحتوى وثيقة تحديث المنظومة السياسية، فالأحزاب لديها فرصة مضمونة لـ 42 مقعدا على الأقل من 138 مقعدا في مجلس النواب المقبل.

وفرصتها بناء على التشبيك بين التيارات الحزبية متاحة في التقاط مقاعد أخرى من الدوائر المحلية بعد إعادة ترسيم حدودها الجغرافية والديموغرافية إداريا.

ويعني إفراز قيادات جديدة خصوصا من قطاعي الشباب والمرأة عبر تلك الرافعات الحزبية وانضمام قيادات حزبية لها حضور اجتماعي إلى مقاعد الصف الأول في البرلمان ولاحقا في الحكومة ان سارت العملية بهدوء.

وما يتحدث عنه بعض المراقبين الآن هو إطلاق العنان للتفكير العميق لهذه الصورة البانورامية في المستقبل.

وهو تفكير تنشغل فيه اليوم الأحزاب السياسية القادرة على المنافسة والمناولة وتنشغل فيه أيضا مشاريع أحزاب تحت التأسيس وتحظى بالعناية والرعاية الرسمية البيروقراطية وقد يخضع بعضها لاحقا للتسمين والتغذية.

دوائر الدولة والقرار يفترض أيضا ان تهتم، فالحديث عن نخبة وأدوات جديدة في الصف الأمامي بعيدا عن المنظومة أو الإلهاء تراقب مسبقا تركيبة الطبقة السياسية التي ستنتج عن تعديلات قانوني الانتخاب والأحزاب.

وتلك مسألة تستحق التوقف ومن الواضح ان الجميع ينشغل بها مرة في سياق الهندسة والجاهزية والاستعداد ومرات انطلاقا من الفضول والتكهن والرغبة في التوقع ودائما استنادا إلى طموح الحصول ولو على حصة أو قضمة من كعكة تحديث المنظومة السياسية أو مقعد من أي نوع في الصف الأمامي الجديد.

الزحام شديد لكنه حائر مسبقا.

التيار الإسلامي يناقش ويناور ويستعد. وجبهة نشطة باسم التيار الحزبي المدني تبحث عن فرصتها ومقعدها. وجبهة ثالثة بلون يساري كذلك.

لكن القضمة الكبرى قد تكون مرتبطة بجاهزية الإسلاميين وقدرة عملية التسمين والتغذية على حجز مسبق لمقاعد أمامية لا يمكن حسم حجمها وعددها إلا بعملية تأسيس لتيارات حزبية حقيقية، الأمر الذي يظهر بالتوازي هواجس ومخاوف الاحتياج لهندسة ما.

منظمة حقوقية تخاطب السيسي لطلب تفسير المحكمة الدستورية للمواد القانونية المنظمة لمدد الحبس الاحتياطي

تقدر الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان أعداد السجناء والمحتجزين بنحو 120 ألفا، فيما تقول منظمات أخرى إن في مصر 60 ألف محتجز، وتنفي الحكومة وجود معتقلين سياسيين في السجون.

القاهرة – «القدس العربي»: تامر هنداوي

خاطبت المبادرة المصرية للحقوق الشخصية (منظمة حقوقية مستقلة) مخاطبةً رسمية لرئيس الجمهورية، بصفته رئيسًا للمجلس الأعلى للهيئات القضائية، لمطالبة المحكمة الدستورية العليا عبر وزير العدل تفسيرًا للمواد 143 و151 و380 من قانون الإجراءات الجنائية، وهي المواد المنظمة لمدد الحبس الاحتياطي.

وتسعى المبادرة المصرية من خلال مخاطبتها، توحيد التطبيق العملي القضائي لتلك المواد لاختلاف تفسيرها بين المحاكم المختلفة، حتى لا تتعارض التطبيقات مع المادة 54 من الدستور التي توكل للقانون حق تنظيم مدد وأسباب الحبس الاحتياطي. وحتى لا تتعارض أيضًا مع المادة 143 من قانون الإجراءات الجنائية التي نظمت هذا الحق، بألا تتعدى بأي حال من الأحوال مدة الحبس الاحتياطي أثناء التحقيق أو التقاضي أو كليهما في حالة الجنح مدة الستة أشهر. كما تقرر المادة نفسها ألا تتعدى مدة الحبس الاحتياطي في حالة الجنايات 18 شهرًا، وفي حالة الجنايات المعاقبة بالسجن المؤبد أو الإعدام، فلا تتجاوز مدة الحبس بأي حال من الأحوال مدة السنتين. وقالت المحامية هدى نصر الله، المديرة القانونية بالمبادرة المصرية للحقوق الشخصية، والمحامية الموكلة للباحث بالمبادرة المصرية باتريك جورج زكي، أن المحاكم الجنائية عند نظرها موضوع الدعوى لا تكون مقيدة بآجال معينة لا تتجاوزها عند الأمر بحبس المتهم، أي أنها ليست ملزمة بمدة 15 أو 45 يوما، وقراراتها غير المنهية للخصومة لا تقبل الطعن عليها. لكن عليها التزام بتطبيق القانون، وألا يؤدى قرارها بحبس متهم إلى تجاوز أقصى مدة حبس احتياطي قررته المادة 143 من قانون الإجراءات الجنائية وفقا لنوع الاتهام (جنحة، جناية، جناية عقوبتها الإعدام أو الحبس المؤبد) وإلا اعتبر احتجازًا دون وجه حق.

ولفتت المحامية، إلى ما أثاره قرار محكمة جنح أمن دولة طوارئ باستمرار حبس باتريك جورج زكي الباحث بالمبادرة 70 يوما رغم تجاوزه أكثر من 19 شهرا محبوسا احتياطيا منذ القبض على ذمة القضية، وقد جاء قرار تجديد الحبس التفافا على أقصى مدة حبس احتياطي قررتها المادة 143 من قانون الإجراءات الجنائية، تذرعًا بالمادة 151 من قانون الإجراءات الجنائية، وادعاء بأنها تمنح المحكمة المحال إليها وحدها حبس المتهم أو الإفراج عنه بشكل مطلق في نصها: إذا أحيل المتهم إلى المحكمة يكون الإفراج عنه إن كان محبوسًا أو حبسه إن كان مفرجًا عنه من اختصاص الجهة المحال إليها.

وحسب المحامية، تذرعت محكمة الجنايات التي نظرت أمر تجديد حبس باتريك بالمادة 380 من قانون الإجراءات الجنائية من أجل تمديد الحبس الاحتياطي بدون حد زمني وتنص: لمحكمة الجنايات في جميع الأحوال أن تأمر بالقبض على المتهم وإحضاره، ولها أن تأمر بحبسه احتياطيًا، وأن تفرج بكفالة أو بغير كفالة عن المتهم المحبوس احتياطيًا.

ولفتت إلى التناقض بين المادتين 151 و380 من جانب وفقرات المادة 143 من جانب آخر، وقالت: تضع الفقرة الثالثة من المادة 143 من قانون الإجراءات الجنائية، وهي اللاحقة زمنيا للمادتين السابقتين، مددًا محددة للحبس الاحتياطي تماشيًا مع نصوص الدستور، ولا تترك لتقدير المحكمة فرصة تقييد حرية المتهمين خلال فترات محاكمتهم، وتنص الفقرة الثالثة من المادة 143 على: ولا يجوز أن تزيد مدة الحبس الاحتياطي على ثلاثة أشهر، ما لم يكن المتهم قد أعلن بإحالته إلى المحكمة المختصة قبل انتهاء هذه المدة، ويجب على النيابة العامة في هذه الحالة أن تعرض أمر الحبس خلال خمسة أيام على الأكثر من تاريخ الإعلان بالإحالة على المحكمة المختصة وفقًا لأحكام الفقرة الأولى من المادة 151 من هذا القانون لإعمال مقتضى هذه الأحكام، وإلا وجب الإفراج عن المتهم. فإذا كانت التهمة المنسوبة إليه جناية فلا يجوز أن تزيد مدة الحبس الاحتياطي على خمسة شهور إلا بعد الحصول قبل انقضائها على أمر من المحكمة المختصة بمد الحبس مدة لا تزيد على 45 يومًا قابلة للتجديد لمدة أو مدد أخرى مماثلة، وإلا وجب الإفراج عن المتهم.

وزادت: في جميع الأحوال لا يجوز أن تجاوز مدة الحبس الاحتياطي في مرحلة التحقيق الابتدائي وسائر مراحل الدعوى السابقة على الحكم الصادر بالإدانة في الجنايات، ثلث الحد الأقصى للعقوبة السالبة للحرية، بحيث لا يتجاوز ستة أشهر في الجنح و18 شهراً في الجنايات، وسنتين إذا كانت العقوبة المقررة للجريمة هي السجن المؤبد أو الإعدام.

وفي مخاطبتها إلى رئيس المجلس الأعلى للهيئات القضائية، نوهت المبادرة المصرية إلى حالات أخرى تم فيها اتخاذ قرارات بالإفراج عن المحبوسين احتياطيا حالما تنتهي المدد القانونية المقررة لذلك.

وضربت مثالا على هذا بحالة المتهم محمد حسني مبارك الرئيس المصري الأسبق في القضية رقم 3642 لسنة 2011 جنايات قصر النيل، حيث ثبت للمبادرة المصرية أن المادة نفسها تستخدم بصور متناقضة، وأن الكثيرين، ومنهم باحث المبادرة باتريك جورج زكي، يعانون من انتهاك حقهم في التنقل والاعتداء على حريتهم الشخصية التي تكفل الدستور بحمايتها نتيجة التناقض بين نصين قانونيين، فقد لجأت المبادرة إلى المسار القانوني الذي يجب اتباعه في هذه الحالة.

وتقدمت المبادرة المصرية بالطلب إلى رئيس الجمهورية، بصفته رئيسًا للمجلس الأعلى للهيئات القضائية، يطالبه بتفعيل المادة 33 من قانون المحكمة الدستورية العليا، وذلك بتكليف وزير العدل بطلب تفسير للمواد الثلاثة من قانون الإجراءات الجنائية للحد من إطلاق مدد الحبس الاحتياطي وضمان تطبيق المادة 54 من الدستور.

يذكر أن قرارات تجديد حبس باتريك جورج وكثيرين غيره تأتي في سياق إطلاق الدولة المصرية للاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان، التي نوّهت في أكثر من موضع إلى ضرورة تعزيز الضمانات المقررة في نصوص القانون بالفعل والتي تضبط مدد ومبررات الحبس الاحتياطي. ويأتي خطاب المبادرة كاقتراح بإجراء محدد لوقف هذا الانتهاك الفادح للحق في التنقل وللحريات الشخصية الأصيلة.

وتقدر الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان أعداد السجناء والمحتجزين بنحو 120 ألف سجين ومحبوس احتياطي ومحتجز، فيما تقول منظمات أخرى إن في مصر 60 ألف محتجز، وهي التقارير التي لا تعترف بها الحكومة المصرية وتؤكد أنه لا يوجد أي معتقلين سياسيين في السجون.

صورة أرشيفية لمحاكمة الإخوان في مصر

Volume 33 - Issue 10418 Sunday 17 October 2021

ليبيا: انتخابات ديسمبر تواجه خطر الطعن

يعاني حفتر من ضغوطات قد تمنع ترشحه أو تضعف من فرص نجاحه في الانتخابات المقبلة، خاصة فيما يخص دعم أمريكا له وقانون دعم الاستقرار الذي أقرته مؤخرا.

طرابلس – «القدس العربي»: نسرين سليمان

مع اقتراب موعد الانتخابات الليبية المقررة 24 كانون الأول/ديسمبر المقبل بات الخطر الذي يتربص بهذا الموعد يتضاعف يوما بعد يوم، حيث أصبح هذا الاستحقاق مهددا بالطعن أو الإلغاء والتأجيل فضلا عن التهديد الحديث بعودة الإنقسام والحروب، ونسف جهود المسار السياسي من قبل شخصيات في شرق ليبيا بدعم من برلمان طبرق.

هذا الأسبوع شهد تطورات خطيرة وجدية تمس ملف الانتخابات أولها التهديد الفعلي والاعتراف بالرغبة في تشكيل حكومة موازية من قبل نائب رئيس حكومة الوحدة الوطنية حسين القطراني الذي أصدر بيانا غاضبا هو ومجموعة من المسؤولين من شرق البلاد على اختلاف مستوياتهم الوظيفية.

فقد أصدر القطراني على لسان كافة من اجتمع معهم من مسؤولين في الشرق بيانا قال من خلاله إن رئيس الحكومة عبد الحميد الدبيبة يقع في الدكتاتورية الفردية، والحسابات الشخصية، كما اتهموه بالفشل في إدارة الاختلاف السياسي.

وقال القطراني إن الدبيبة أصدر قرارات باسم مجلس الوزراء بشكل فردي، وقرارات أخرى بالتعدي على اختصاص بعض الوزراء.

وتابع نائب رئيس الحكومة أن رئاسة الحكومة لم تلتزم بتحديد اختصاصات نواب رئيس الوزراء، كما ينص الاتفاق السياسي، وبما يساهم في تعزيز فكرية المركزية الإدارية.

واستنكر البيان ما وصفه بتعنت رئيس الحكومة واحتفاظه بوزارة الدفاع، وعدم اتخاذه الإجراءات اللازمة لتسمية وزير للدفاع، لافتا إلى أن تصريحات غير مسؤولة صدرت عن الدبيبة من شأنها زيارة الفرقة والشقاق.

ودعا البيان رئيس الوزراء لمعالجة ما تم ذكره بشكل عاجل، مهددين باتخاذ إجراءات تصعيدية يتحمل الدبيبة تبعاتها أمام الليبيين والمجتمع الدولي.

القطراني لم يكتف بذلك بل صعد اللهجة في تصريحات صحافية منفصلة قال فيها إن إنشاء حكومة موازية في الشرق الليبي خيار قائم وقريب، مضيفا أن موقفهم الأخير جاء نتيجة ضغط كبير من الرأي العام والأجهزة فيها في إشارة إلى توقف مرتبات المنتسبين للقيادة العامة التابعة لحفتر.

وقال القطراني إن الميزانية لم تعرض عليه أو على أغلب الوزراء، مشيرا إلى أن رئيس الحكومة الدبيبة اكتفى بعرضها على أشخاص محدودين، وأن رئيس الحكومة قليل التواصل معه ولا يرد على هاتفه إلا في حالات نادرة، مضيفا أنه كان هناك تواصل بين مقربين من الدبيبة والقيادة العامة في رمضان الماضي، ولا علم له إن كان هناك أي مشاكل حدثت فيما بعد.

ورأى القطراني أنه ليس هناك مبرر لاستمرار احتفاظ الدبيبة بحقيبة وزارة الدفاع، مطالبا إياه بالافصاح عن أسباب احتفاظه بالحقيبة.

التهديد بالانقلاب من قبل القطراني لم يكن الوحيد الذي هز تماسك موعد انتخابات كانون الأول/ديسمبر لهذا الأسبوع بل استمر الخلاف بين مجلسي النواب والأعلى للدولة على قوانين الانتخابات البرلمانية والرئاسية والتي يصر كل منهما على موقفه تجاهه، فطرف يرفض إشراك آخر، وآخر يصر على وجوده بصحيح القانون.

حيث طالب المجلس الأعلى للدولة في خطاب أرسله إلى مجلس إدارة المفوضية الوطنية العليا للانتخابات، إيقاف قوانين الانتخابات التي أقرها مجلس النواب مؤخرًا، باعتبارها مخالفة للاتفاق السياسي والإعلان الدستوري، وذلك إلى حين التوافق حولها مع المجلس الأعلى للدولة.

وأشار مجلس الدولة في خطابه، إلى مراسلة سابقة في كانون الأول/ديسمبر 2018 إلى المفوضية لإيقاف العمل بالقانون رقم (6) لسنة 2018 بشأن الاستفتاء على الدستور إلى حين توافق المجلس الأعلى للدولة ومجلس النواب، ووقتها قامت المفوضية بإيقاف العمل بالقانون، وفق ما نشرته صفحة المكتب الإعلامي للمجلس على فيسبوك.

ودعا المجلس في خطابه باتخاذ الخطوة نفسها، معللا ذلك بقيام بعض أعضاء مجلس النواب باتخاذ إجراء أحادي الجانب بشأن إصدار قانون انتخاب رئيس الدولة وقانون انتخاب مجلس النواب، قائلا أنه يعتبر مخالفة للنظام الداخلي لمجلس النواب، والاتفاق السياسي الليبي المضمن بالإعلان الدستوري.

وختم المجلس مراسلته بأنه يعتبر إصرار مجلس النواب على الاستمرار في تجاهل الاتفاق السياسي في الحقيقة انقلابا على المسار السياسي والإعلان الدستوري قائلا أنه يرفضه ولا يسمح به وحمل المجلس مجلس النواب المسؤولية القانونية والأخلاقية والأمنية في حال اتخاذ أي إجراء يتجاوب مع القوانين المذكورة.

وقبل يوم واحد من البيان أعلن المجلس عن رفضه القاطع لقوانين الانتخابات التي أقرها مجلس النواب مؤخرًا، باعتبارها صدرت بطريقة غير توافقية، وذلك خلال اجتماع رئاسة المجلس الأعلى للدولة مع رؤساء اللجان الدائمة بالمجلس في العاصمة طرابلس.

تصريحات المجلس الأعلى للدولة وإصرار مجلس النواب يضع الانتخابات تحت تهديد الطعن حيث يستند مجلس النواب في رأيه المعارض للقوانين الانتخابية على صحيح القانون، حيث يجمعهم الاتفاق السياسي في صياغة هذه القوانين.

العديد من المتتبعين يرون أن اصرار البرلمان مدعما بتصعيدات المسؤولين عن الشرق طرحا في الوقت الذي يعاني فيه حفتر من ضغوطات قد تمنع ترشحه أو تضعف من فرص نجاحه في الانتخابات المقبلة، خاصة فيما يخص دعم أمريكا له وقانون دعم الاستقرار الذي أقروه مؤخرا.

والإنقلاب وحفتر يخضع ملزما للمساءلة القانونية

حيث كشف موقع «ميدل إيست آي» إن حفتر يواجه مجموعة انتكاسات في واشنطن، بعد تعليق شركات الضغط لصفقة تبلغ قيمتها مليون دولار مع مساعد الرئيس الأمريكي السابق لاني ديفيس وعضو الكونغرس السابق ديفيس وليفينغستون، للضغط على إدارة الرئيس جو بايدن من أجل دعم حفتر في الانتخابات المقبلة.

وقال الموقع إن مجموعة رولينغز الاستشارية الدولية التي تسوق لحفتر بين الأوساط الأمريكية أنهت اتفاقها، بعد إقرار مجلس النواب الأمريكي لقانون استقرار ليبيا، مضيفا أنها مطالبة بكشف تفاصيل عقودها في موقع وزارة العدل.

وأضاف الموقع نقلا عن مصدر في الكونغرس أن المشرعين سيتجهون لدعم مشروع قانون الاستقرار نظرا لأن أعضاء الكونغرس يشعرون بالقلق من أن وجود المرتزقة الأجانب قد يعرقل الانتخابات المزمع عقدها نهاية العام الجاري، موضحا أن مشروع قانون الاستقرار يهدف إلى خلق بيئة مواتية لإجراء الانتخابات، والتي تأتي على رأس أولويات الكونغرس.

وأشار الموقع إلى أن الكونغرس سيقرر الأسابيع المقبلة إدراج تعديلين في النسخة النهائية على قانون الاستقرار، وهذا شكل قلقا كبيرا بالنسبة لحفتر حيث ينص التعديل الأول، الطلب من الرئيس الأمريكي مراجعة المخالفين لحظر الأسلحة الذي تفرضه الأمم المتحدة على ليبيا والنظر في فرض عقوبات عليهم، بحسب الصحيفة وعلق الموقع بأن التعديل الثاني يطلب من وزارة الخارجية الإبلاغ عن جرائم حرب أو عمليات تعذيب قام بها مواطنون أمريكيون في ليبيا.

كما قررت المحكمة الجزئية بفرجينيا الأمريكية أن يكون تاريخ 28 تشرين الأول/ أكتوبر الجاري موعداً نهائيا لتقديم حفتر إفادته والرد على الأسئلة في التهم بارتكابه جرائم حرب في ليبيا.

وكانت قاضية المحكمة الجزئية بفرجينيا ليوني برينكيما، قد رفضت مرة أخرى دفع محامي حفتر بالحصانة في وجه الدعوى المرفوعة عليه والتحجج بأن المثول والإجابة على تساؤلات المحكمة ستؤدي إلى إفشاء أسرار الدولة الليبية.

وقال رئيس التحالف الليبي الأمريكي عصام عميش، إن القاضية بالمحكمة الفيدرالية لمقاطعة شرق فرجينيا ليونا برينكما، فصلت في طلب محامي حفتر لمنح موكله حق عدم المثول أمام المحكمة لاحتمال تعرضه لحكم الإعدام أو السجن إذا أدلى بأسرار عسكرية خلال شهادته، وقررت أن هذا الموضوع منته، ولن يكون لحفتر عذر في عدم المثول أمام القضاء بسبب رسالة محامي حفتر المزورة وهو مطالب بالمثول والشهادة أمام المحاكم الأمريكية.

وفي ذات السياق قال رئيس التحالف الليبي الأمريكي عصام عميش إن جلسة اليوم تميزت بحضور القاضية الرئيسية لهذه القضية لأول مرة، وحضور كل فرق المحاماة للقضايا الثلاث التي تمثل أسر الضحايا الليبيين وكذلك حضور المحامي الرئيسي لحفتر.

وأضاف عميش أن فريق التحالف الليبي الأمريكي استعان في الرد على ادعاء محامي حفتر برسالة وزارة الدفاع بحكومة الوحدة الوطنية التي أكدت أن ما استند إليه محامي حفتر وثيقة مزورة بالإسفاف لرسالة رسمية من خالد المشري رئيس المجلس الأعلى التي فندت كذلك ادعاءات محامي حفتر الكاذبة

وحول تخلف حفتر عن المجيء إلى المحكمة والمثول أمامها أكد رئيس مؤسسة الديمقراطية وحقوق الإنسان عماد الدين المنتصر أن محامي الضحايا الذين رفعوا قضايا ضد حفتر أمام المحكمة الفيدرالية بفرجينيا طالب بمعاقبته على التخلف عن موعد الاستجواب، موضحاً أن حفتر تخلف مجددا عن موعد الاستجواب أمام المحكمة.

وأوضح المنتصر أن العقاب في المحكمة المدنية يكون بفرض غرامة مالية كبيرة ثم إصدار أمر قبض مدني.

يذكر أن حفتر متهم أمام محكمة فرجينيا في عدة دعاوى قضائية فيدرالية منها القتل والتعذيب في الحروب التي شهدتها ليبيا مؤخراً.

حدث الأسبوع

الحكومة التونسية الجديدة أولويات عديدة ومهام صعبة

تونس–«القدس العربي»: روعة قاسم

أكثر من عشر سنوات مرت على الإطاحة بنظام الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، ولم تعرف تونس الهدوء والاستقرار المنشودين، وذلك بالرغم من كتابة دستور جديد للبلاد انبثقت عنه مؤسسات تم انتخاب من يشغلها في محطات عديدة. فهذه المنجزات الديمقراطية لم تكن هي على ما يبدو مطالب أغلب التونسيين الذين ثاروا على بن علي يوم 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 لتتم الإطاحة به منهم ومن غيرهم يوم 14 كانون الثاني/يناير 2011. فهناك مطالب أخرى غفلت عنها الطبقة السياسية وهو ما كلفها غاليا وسيكلف من جاء بعدها غاليا أيضا إن هو لم يستمع إلى نبض شارعه ولم يركز طاقته وجهده على هذه المطالب الحقيقية.

لقد كانت مطالب التونسيين اجتماعية بالأساس وكانت الديمقراطية والحريات ضمن اهتمامات النخبة التي ما زالت إلى اليوم تسخر من الجياع المطالبين بتحسين أوضاعهم المعيشية وتنظر إليهم باحتقار وفوقية. وبالتالي فإن استيعاب الدرس والاستماع إلى نبض الشارع وجعل مطالبه لا مطالب النخبة ضمن الأولويات هو مفتاح النجاح السياسي في تونس للحكومة الحالية ولأي حكومة تأتي بعدها.

الحدث الأبرز

مثّل الإعلان عن تشكيل حكومة نجلاء بودن الحدث الأبرز في تونس في الأونة الأخيرة وذلك بالنظر إلى الجدل الواسع الذي رافق تشكيل هذه الحكومة التي ترأستها امرأة لأول في تونس والعالم العربي. ففي حين رحب البعض بهذا التشكيل ورأى فيه خطوة هامة للخروج بتونس من أزمتها الراهنة ومن الوضع الإستثنائي الذي تعيشه البلاد منذ 25 كانون الثاني/يناير من هذا العام، شكّك البعض الآخر في شرعية هذه الحكومة واعتبر تشكيلها وأداءها لليمين الدستورية بدون المرور بالبرلمان مواصلة للانقلاب على الشرعية الذي قام به رئيس الجمهورية قيس سعيد عندما حلّ الحكومة وجمّد عمل البرلمان وجمع لاحقا كل السلطات بيده.

ولعل اللافت في كل هذا هو ردود الأفعال العديدة التي أثارها تكليف نجلاء بودن بتشكيل الحكومة باعتبارها أول امرأة تتقلد الأخر على الوزراء وسيرهم الذاتية وأيضا على مسألة الشرعية المشار إليها، وكذلك على مدى قدرة هذا الفريق على النجاح في مهامه الجديدة من عدمه، خاصة أن جلّ أعضاء الحكومة الجديدة، وعلى غرار رئيستهم، قادمون من مدارج الجامعة التونسية ومخابر بحوثها.

رئيسة وزراء أم حكومة؟

وعلى غرار نجلاء بودن، فإن الفريق الحكومي الجديد يتشكل من التكنوقراط غير المتحزبين والذين لم تعرف عنهم انتماءات سياسية سابقة، وهو اختيار بدا أن قيس سعيد هو من يقف وراءه باعتباره لا يستسيغ الأحزاب السياسية، ويعتبرها وبالا على الديمقراطية وعبر عن هذه الأفكار بطريقته خلال حملته الانتخابية الرئاسية منذ سنتين. وتضم الحكومة أيضا تسع نساء رغم الحديث عن التناصف بين الجنسين الذي سبق تشكيلها ويؤكد على أن نجلاء بودن هي رئيسة حكومة فعلية مشرفة على من خلال حكم نفسه بنفسه باختيار من يراه مناسبا لتولي شؤون الحكم.

الديمقراطية والتنمية

لقد ركّز التونسيون جهودهم في السنوات العشر الأخيرة على إنشاء ديمقراطية حقيقية لتكون الأولى في العالم العربي غير الطائفية وغير المحروسة من جيش أو مؤسسة ملكية، لكن النجاح المرجو فإنها ستتمكن من الولوج دون عناء إلى قلوب التونسيين وستنال دعمهم، وإذا حصل العكس فإن مصيرها سيكون كمصير من سبقها إلى القصبة في السنوات الأخيرة، أي الخروج مذمومة مدحورة غير مأسوف عليها مع شعب لا يرحم. فرجل الشارع التونسي العادي، وبعيدا عن الساسة والنخب، لم يعد يعنيه كثيرا المسار الديمقراطي الذي انخرطت فيه البلاد منذ سنة 2011 بعد أن تحولت هذه الديمقراطية إلى غاية في حد ذاتها، وحاد الساسة عن الهدف الأصلي من وراء ترسيخها وتناسوا أنها مجرد وسيلة لتحقيق سعادة الإنسان وتمكينه من حياة كريمة بين الجنسين كشرط لقبولها من قبل الهيئة المستقلة للانتخابات.

ويرى البعض أن نجلاء بودن هي وزيرة أولى في نظام رئاسي أو ربما «رئاسوي» وليست رئيسة حكومة في نظام برلماني، وذلك بالرغم من أنها من قامت بتشكيل الحكومة التونسية الجديدة وهو ما لا يحصل في الأنظمة الرئاسية حيث يشكل «الحكومة» أو الفريق المساعد للرئيس المتكون من كتاب الدولة وغيرهم، الرئيس نفسه. ويؤكد هؤلاء على أن بودن ستكون أداة طيعة بيد رئيس الجمهورية قيس سعيد باعتباره من قام بتعيينها في منصبها. في حين يرفض البعض الآخر هذا الوصف ويؤكد على أن نجلاء بودن هي رئيسة حكومة فعلية مشرفة على

ذلك كان على حساب التنمية التي كانت آخر اهتمامات الطبقة السياسية وهو ما جعل الأوضاع الاجتماعية تزداد سوءا ليصل الأمر إلى انفجار كاد أن يأتي على الأخضر واليابس. فلا ديمقراطية بدون تنمية حقيقية تدعمها وتجعلها تترسخ في تربتها وفي قناعات الجماهير التي ستعمل على حمايتها عن قناعة خشية من خسارة المكاسب المنجزة عنها.

ففي غياب المكاسب التنموية لن تجد الديمقراطية سندا جماهيريا يدعمها ويحول دون استهدافها من هذه الجهة أو تلك، فينهار في لمح البصر ما بني طيلة سنوات أمام أعين الجميع. ويزداد الطين بلة إذا كانت هذه الديمقراطية صورية تشترى فيها ذمم الناخبين بالمال السياسي الخارجي الذي يعتبر وفق المعايير الدولية للانتخابات الحرة والنزيهة نوعا من أنواع التزوير وذلك على غرار الديمقراطية التونسية التي افتضحت تجاوزات أحزابها بتقرير صادر عن محكمة المحاسبات، وهو تقرير لو تم اعتماده كأساس للمحاسبة لألغيت كل النتائج الحاصلة في السنوات الأخيرة ولتم حل أغلب الأحزاب ولأودع أغلب الطيف السياسي في السجون جراء هذا التلاعب بالديمقراطية وبالإرادة الحرة للناخب.

ولعل السؤال الذي يطرح هل تستطيع حكومة نجلاء بودن أن تخرج بالبلد من هذه التدابير الاستثنائية المؤقتة في أسرع الآجال وتعيد قاطرة الديمقراطية إلى سكتها لتواصل مسيرها، وتقوم بتحصنها بالإنجازات الاقتصادية التنموية التي عجز عن تحقيقها من سبقها إلى القصبة خلال العشرية الأخيرة؟ فهل كتب على الشعوب العربية أن تختار بين الديمقراطية والتنمية، وأصبح قدرها هو العجز عن تحقيق الإثنين معا؟ وهل اقترنت الديمقراطية العربية بالفقر والإنهيار الاقتصادي، فيما اقترن الإستبداد بالتنمية في هذه الرقعة من العالم؟

التسقيف الزمني

إن ما هو أكيد أن هناك انقساما في الشارع التونسي حول الإجراءات الاستثنائية التي اتخذها رئيس الجمهورية بين رافض ومؤيد وحتى متحفظ، لكن هناك أيضا شبه إجماع على ضرورة تحديد سقف زمني للخروج من هذا الوضع الاستثنائي، وللتفرغ من التعديلات الدستورية، ومن تنقيح القانون الانتخابي، مع ضرورة تحديد موعد لإجراء الانتخابات المقبلة. إذ لا يعقل أن تتواصل هذه الإجراءات الاستثنائية وتواصل هذه الحكومة العمل في ظلها إلى ما لا نهاية وبدون آجال واضحة وجلية ومضبوطة سلفا، فيضطر التونسيون مجددا إلى الخروج إلى الشارع للتظاهر والاحتجاج ولإجبار حكامهم على التسقيف الزمني مثلما حصل مع المجلس التأسيسي سنة 2013.

إن ما هو أكيد أن هذه الحكومة لن تعيق عملها الصراعات الحزبية العنيفة جسديا ولفظيا التي كانت قائمة، ولا تنازع الصلاحيات بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة المدعوم من الأحزاب الكبرى، وهو تنازع كان من الأسباب التي حالت دون نجاح الحكومات السابقة. فقد رأى البعض أن الحظ في صف هذه الحكومة التي تنطلق بأوفر الحظوظ للنجاح وذلك رغم الظروف الاقتصادية والإجتماعية الصعبة والخانقة الموروثة عن الفترة السابقة.

فرغم أن كل الأرقام والمؤشرات الاقتصادية كارثية وتنبئ بصعوبة المهمة وربما استحالتها بنظر البعض، وزادها صعوبة التصنيف السيادي الإئتماني الأخير الذي تراجع وجعل تونس تصنف كبلد ذو مخاطر عالية لا تقرضه المؤسسات المالية الدولية ولا يأتيه المستثمرون الأجانب ويشترط عليه أن يدفع مسبقا ثمن بضائعه المستوردة، إلا أن هناك بعض النقاط المضيئة مثل المداخيل من العملة الصعبة المتوقعة من القطاع الفلاحي والمتأتية من تصدير منتوجات زراعية هامة وبكميات كبيرة والتي يمكن أن تحرك عجلة الاقتصاد. كما أن القطاع السياحي قد يشهد انتعاشة مقارنة بنفس الفترة من السنة الماضية رغم أن أهم مداخيل السياحة تضخ في أرصدة بنكية في الخارج بسبب فساد المشرفين على القطاع وذلك رغم تمتع الفنادق بالمواد الغذائية المدعمة من قبل الدولة والتي يستهلكها السائح الأجنبي.

شعب متمرد

إن مهمة حكومة بودن وباختصار تبدو صعبة لكنها غير مستحيلة خاصة إذا ما حافظت على حزامها الشعبي من خلال محاربة الفساد محاربة فعلية وجدية لا كتلك الحرب التي شنها رئيس الحكومة الأسبق يوسف الشاهد والتي ذرت الرماد على العيون وحملت وزر فساد سنوات إلى رجل أعمال وحيد وبعض الأنفار الذين ثبتت لاحقا براءتهم. فإذا ما فقدت هذه الحكومة الحزام الشعبي الداعم لها والمستمد من شعبية رئيس الجمهورية بالأساس، فإن مصيرا كارثيا بانتظارها بعد أن يتم الإجهاز عليها باحتجاجات شعبية عارمة قد تكون أكثر شراسة من تلك التي خرجت يوم 25 تموز/يوليو 2021 احتجاجا على حكم منظومة ما بعد الثورة.

فالشعب التونسي وإن بدا للبعض مسالما وصبورا على حكامه يمنحهم الكثير من الوقت فيغتر أغلبهم معتقدين أن الأمور قد استتبت لهم وإلى الأبد، إلا أن هذا الشعب لا يصمت على الأذى ولديه القدرة على التمرد على الأوضاع السائدة وعلى قلب الموازين في لمح البصر، وهو ما يثبته التاريخ القديم والحديث على حد سواء. وبالتالي فإن على هذه الحكومة أن تحذر وأن لا تغتر بالتفويض الشعبي من قبل عدد هام ومعتبر من التونسيين. فالرمال جد متحركة في هذا البلد ولا يمكن أن تؤتمن بأي حال من الأحوال، ولو دامت لغيرك لما آلت إليك.

كرات تونس وملاعب الاتحاد العام للشغل

صبحي حديدي

قد يكون من المشروع المساجلة بأنّ كرة الشأن التونسي الراهن، باستعصاءاته المتعددة المتنوعة كافة، ليست في ملعب الرئيس التونسي قيس سعيّد بصفة حصرية، أو حتى مركزية؛ وليست، بنسبة غير قليلة، في ملعب «حركة النهضة» وحلفائها أو أيّ تجمّع سياسي آخر معارض لإجراءات سعيّد الاستثنائية؛ كما أنها، في تحصيل حاصل محزن وبائس، ليست في أية باحة يمكن أن تشغلها حكومة نجلاء بودن الجديدة.

هي، في المقابل، يتوجب أن تستقرّ بنسبة عالية، وقد يساجل البعض بأنها الأعلى، في الساحات النقابية والسياسية والاجتماعية والحقوقية والمطلبية التي يهيمن عليها «الاتحاد العام التونسي للشغل»، ليس من موقعه التاريخي الفاعل على صعيد الساحات المذكورة وسواها، فحسب؛ بل، في المستوى العملي، لأنّ هذه المؤسسة الكبرى شغلت أيضاً وظيفة الوسيط في تفكيك النزاعات الحزبية واقتراح الحلول من جهة أولى، كما أنها من جهة ثانية تورّطت منذ البدء في إعطاء الانطباع بأنها في صفّ الرئيس واضطرت لاحقاً، وبسبب من هذا التورّط تحديداً، إلى الإيحاء بالاختلاف معه في هذه أو تلك من إجراءاته الاستثنائية الانفرادية.

ولعلّ التعبير الأوضح عن هذه الحال/ المعضلة إنما يتجلى في مسلسل تصريحات الأمين العام للاتحاد نور الدين الطبوبي، المتضاربة المتناقضة؛ كما في مناشدته الرئيس سعيّد أن يحكم ويكون مؤتمناً على الشعب أو أن يرجع الأمانة لأصحابها الشعب التونسي، مذكّراً بأنه «لا أحد يزايد على الاتحاد في وطنيته وفي عقلية الممارسة التقدمية والفكر التنويري والروح التقدمية وروح المسؤولية، ولكن البلاد وصلت إلى منحدر خطير ينعكس على الوضع الصحي والتربوي المتردي وعلى جميع الأصعدة». أو، في المقابل، بيان الاتحاد بأنّ التدابير الاستثنائية «اتّخذها رئيس الجمهورية وفق الفصل 80 من الدستور توقّياً من الخطر الداهم وسعياً إلى إرجاع السير العادي لدواليب الدولة». أو، ثالثاً، وعيد الطبوبي الموجه إلى سعيّد، بأنّ «إهدار فرص تغيير وإصلاح البلاد تجلى في عدم مكافحة الفساد بوضوح وشفافية خاصة في ما يتعلق بمعالجة الترسانة التشريعية والقانونية»؛ مشفوعاً بإنذار لا يخفى: «من يريد أن يحكم تونس عليه أن يقرأ تاريخها جيداً، وسيجد عنوانها الرئيسي هو الاتحاد التونسي للشغل؛ هذه الخيمة التي يؤمها اليمين واليسار ومختلف شرائح الشعب التونسي». أو، أخيراً، إلحاح الطبوبي على أنّ الاتحاد لن يقبل حكومة غير خاضعة للرقابة البرلمانية، ثمّ صمته (حتى الساعة، على الأقلّ) عن أداء الحكومة اليمين الدستورية على دستور شبه معطّل، واجتماعها فعلياً (برئاسة سعيّد نفسه!) بينما البرلمان مجمّد عاطل عن العمل.

هل هذه، حقاً، منظمة فرحات حشاد ومحمد الفاضل بن عاشور، الأعرق في تاريخ البلد، وفي إطارها ينتظم ويناضل أكثر من نصف مليون عضو عامل في مختلف قطاعات الإنتاج العامة والخاصة، المناضلة أيام الاحتلال الفرنسي وعهود الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، عضو «رباعي الحوار الوطني» الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة 2015؟ ولأنّ الـ«نعم» هي الأكثر وجاهة في الإجابة على الأسئلة السابقة، وضمن سياق أوّل هو وضع الاتحاد في سياقات ما يعنيه من ماضٍ وحاضر ومستقبل؛ فإنّ السؤال الوجيه التالي يصحّ أن يسيّر هكذا، بما ينصف الاتحاد من حيث الموقع والوظيفة والرسالة والواجب: هل سيعتمد الاتحاد سياسة منهجية متجانسة إزاء مسير سعيّد، خطوة واضحة إثر أخرى أكثر وضوحاً، من الانقلاب إلى ترسيخ دكتاتورية فردية مطلقة، أياً كانت أقنعتها «الدستورية»؟ وإلى جانب مسؤولياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، هل سيسكت الاتحاد أيضاً عن مشاقّ حياة التونسة اليومية ومصاعبها المعيشية والصحية والتعليمية والتنموية...؟

الكرات تتزايد، حاملة تحديات لا عدّ لها ولا حصر، وملاعب الاتحاد مفتوحة (أم الأحرى القول إنها مضطرة) لاستقبالها؛ بمنأى صريح واضح، ونقابيّ ملتزم، عن لغة التخبط بين تأييد واعتراض، تأتّاة هنا وغمغمة هناك...

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10418 الأحد 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 11 ربيع الأول 1443 هـ

المعطى الجندري في تشكيل الحكومة التونسيّة استثناء أم مناورة؟

د. منية العلمي

أرجعت معظم التّقارير الدوليّة، ومنها برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ المعوقات الهيكليّة التّي تعاني منها مجتمعاتنا العربيّة الإسلاميّة إلى مجالات ثلاثة تشهد سلبيّات عميقة، أولها وأساسها النّقص في إنتاج المعرفة، وثانيها النّقص في الحريّات، وثالثها النّقص في المساواة بين الجنسين. وهو ما يعزّز فكرة أن المساواة ليست ترفا فكريّا وحقوقيّا بل ضرورة حيويّة لكافة المجتمعات.

ولقد عملت تونس منذ دستور1959 على تجاوز كلّ العراقيل المعطلة لمدنيّة المجتمع ولتقدّمه وازدهاره، بأن أرست مقوّمات الجمهوريّة النّاشئة، على الحريّة والعدالة والنّظام، بما تتضمّنه تلك القيم من بداهة المساواة بين الجنسين في مستويات العدالة والحريّة، والحقوق والواجبات، وفي هذا الصّدد، لا يخفى ما أقدمت عليه تونس منذ الاستقلال من انشغال باكر بالمستوى التّعليمي من خلال إجباريّته، ومجانيّته، وتعميمه، من دون فصل بين الذكور والإناث، وذلك لسبق وعيها على كثير من الدّول العربيّة والإسلاميّة بالمسألة التعليميّة كرهان حضاريّ يضمن لها السيّادة والرّيادة، وكان دستور 2014 محافظا على تلك القيم، معزّزا لها، إذ صرّح في الفصل21 منه، بالمساواة التّامة بين المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، فهم سواء أمام القانون من غير تمييز، كما ركزّ على مسألة المساواة في المهام والمسؤوليّات السياسيّة، بل وقرّر مفهوم المناصفة في القوائم الانتخابيّة. ومن الحقوق والحريات العامّة الحق في المشاركة السياسيّة عبر الانتخاب والتّرشّح، وتقلد المناصب في الدّولة، وهي حقوق ضمنها الفصل 34 في فقرته الأولى، حيث قرّر أنّ «حقوق الانتخاب والاقتراع والتّرشّح مضمونة طبق ما يضبطه القانون، وفي فقرته الثانية عمل نفس الفصل على أن «تعمل الدولة على ضمان تمثيلية المرأة في المجالس المنتخبة» وفي الفصل42 وتحديدا في فقرتيه الثانية والثالثة التزمت الدّولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة، والعمل على دعمها، وذلك بأن تضمن الدّولة تكافؤ الفرص بين الرّجل والمرأة في تحمّل مختلف المسؤوليات وفي جميع المجالات.

كسب معركة المعرفة

وبعيدا عن هذه السرديّة القانونيّة الدّافعة نحو تقليص الفجوة بين الجنسين عبر الدستور، وفي عود على بعض رموز الاستثناء التونسي، فحريّ بنا أن نذكر ما خاضته تونس لأجل كسب معركة المعرفة على اعتبارها المقوّم الرئيس لإرساء المساواة خارج الدّستور، بل في مجالها الحيويّ النّابض داخل المجتمع، فلقد دفعت تونس نحو إنتاج المعرفة، والأمثلة كثيرة على ذلك في مختلف المجالات، ومنها اليوم مرّشحتا لجائزة نوبل في الكيمياء، منجي باوندي، ولو عدنا إلى التّاريخ المعاصر، فإنّنا لا يمكن أن نلتفت عن أوّل طبيبة عربيّة مسلمة وهي الدكتورة توحيدة بن الشيخ والتّي بدأت تزاول مهنتها في تونس غداة حصولها على أوّل دكتوراه في الطب من فرنسا سنة 1936.

وتعتبر بشيرة بن مراد رائدة الحركة النسويّة، إذ أسّست أوّل اتحاد نسائي في سنة 1936 كذلك، مع نساء أخريات باسم «الاتحاد النسائي الإسلامي التونسي» وظل الاتحاد ينشط بدون رخصة وفي ظروف قاسية إلى حدود سنة 1951 ولقد كانت مطلبيّة تعليم النساء في مقدمة نضالاته.

وتعدّ مية الجريبي أوّل امرأة تترّأس حزبا سياسيّا في تونس، ولقد عرفت بشراستها في النضال منذ الثمانينات. وفي مجال الأعمال، لا تكاد تخلو قائمة للتّتويج من فائزات تونسيّات في عوالم السيّاسة، والمال والأعمال، وكذلك النشاط السياسي والجمعياتي، في إشارة إلى مجال المبادرة الواسع والمفتوح أمام المرأة التونسيّة في إطار تكافؤ الفرص بينها وبين الرّجل. ولقد برزت راضية النصراوي رئيسة الجمعية التونسية لمناهضة التعذيب، في إطار حقوق الإنسان والدفاع عن ضحايا التعذيب، وكشفت بجرأة عن تواصل عمليّات التعذيب في مراكز الاحتفاظ وفي السّجون، وتمّ ترشيحها لجائزة نوبل للسّلام.

وإن كانت هذه المقدّمة تبدو شعاراتيّة أكثر منها عاكسة لحقيقة الأرقام، ذلك أنّه وبرغم المكتسبات الهامة التي حظيت بها المرأة التونسيّة، فإنّ بعض المجالات تحتاج إلى سدّ الفجوة الجندريّة التي لازمتها، إذ نجد مثلا فقط 9.1 في المئة من مجمل رؤساء المؤسّسات المسجلين في الاتّحاد التونسي للصناعة والتّجارة والصناعات التقليدية من النّساء، ويعتبر وصولهن إلى مصادر التمويل أصعب بالمقارنة مع الرّجال، وما زالت نسبة انخراط النساء في النّقابات ضعيفة، كما أنّ حضورهن في هيئات القرار لا يتجاوز 9 في المئة داخل النّقابات الأساسية والمكاتب الجهويّة، كما أنّ النساء يشتغلن عادة في القطاع الفلاحي ضمن إطار العائلة، بدون أجر، وفي القطاع غير المنّظم، أو في المصانع والخدمات، في ظروف هشّة. كما أنّه و برغم أن 62 في المئة من طلبة الجامعات إناث ولكن في المقابل، فإنّ البطالة مرتفعة لدى النّساء 5.16 في المئة أكثر من الرّجال 9.61 في المئة، ما يبيّن أنّ المساواة ليست قضيّة نسويّة، بل قضيّة مجتمع وكرامة إنسانيّة لا يمكن معالجتها إلا في إطار مشروع سياسي حقوقي شامل يقع من خلاله تجاوز التّناقضات والتوتّرات بين المفاهيم الأساسية للحداثة السياسيّة.

فتقليص الفجوة الجندريّة، ينّمي الموارد البشريّة، ويضمن تكافؤ الفرص في مجالات العمل والإبداع، ويؤسّس لعقد اجتماعيّ وتشاركيّ.

استثناء تونسيّ

ويعتبر انتقاء رئيس الجمهوريّة التونسيّة قيس سعيّد نجلاء بودن على رأس الحكومة التونسيّة، ميعثا في الأمل في إرساء ثقافة المساواة في تقلد النّساء للمناصب العليا بالبلاد، في استثناء تونسيّ مجدّد على الصّعيدين العربي والإسلاميّ، وعلى نفس التصوّر الدستوري والحقوقيّ، وفي خضمّ توّفر الكفاءة النسائيّة التونسيّة أعلنت رئيسة الحكومة نجلاء بودن يوم الاثنين 11 تشرين الأول/أكتوبر 2021 عن تركيبة حكومتها، والتي شهدت تمثيلية واسعة للمرأة في دوائر القرار، فلقد شهدت حكومة بودن حضور 10 نساء من بين 26 عضوا بين وزراء وكتاب دولة وبذلك سجلت تمثيلية المرأة 38 في المئة، في حين سجلت حكومة المشيشي السّابقة تنصيب 8 نساء من بين 31 عضوا، وبذلك سّجلت تمثيليّة النّساء نسبة 26 في المئة، أمّا الحكومة التي أشرف عليها إلياس الفخفاخ، فقد ضمت 6 نساء من بين 32 عضوا، أي بنسبة 19 في المئة، ولقد سجلت هذه التمثيليّة ارتياحا لدى غالبيّة فئات الشّعب التونسي ولدى عموم المهتمين بالشأن السياسي في الداخل والخارج، وللملاحظ أنّ هذه المرّة الأولى التّي تسند للنساء فيها مثل هذه التمثيليّة التي قاربت المناصفة، في وضع صعب تعيشه البلاد وبعد تعاقب عشر حكومات على تونس منذ الثورة، بما خلفته تلك الحكومات من ملفات شائكة وقضايا راكدة وموروث تصعب إدارته من أفضل الساسة المحنكين، فهل هو انتقال سعيّد بالمعنى السياسي والسلطوي للتّأنيث بعد أن فشلت حكومات الذّكور؟ أم هو تفعيل لفصول دستوريّة وتعزيز لمكاسب النساء على أرض القرار إيمانا بنضالاتهنّ الطويلة، وبنجاحاتهنّ الثابتة، أم هو تلميع لصورة تونس أمام الدوائر الخارجيّة الأمميّة في وضع تحتاج فيه تونس لكلّ العلامات المستنيرة والإيجابيّة حتّى تخرج من مأزق ماليّتها المنخرمة، واقتصادها الهزيل، ونسبة نموّها الضعيفة؟

الواقع إنّنا نعتقد، وفي قراءة موضوعيّة للمشهد الحكومي المنصف في رأينا وليس المؤنث، أنّه قد آن الأوان لتفعيل نهج سارت عليه تونس كاختيار جمهوريّ ودستوريّ مدنيّ منذ استقلالها، وإن كانت المرأة فيه وفي عديد المراحل السياسيّة التي مرّت بالبلاد، موظفة بمكاسبها وإنجازاتها للتلميع ولتحقيق السّبق وللدّعاية الحزبيّة والسياسية بحضور محتشم في مختلف المواقع، فإنّها اليوم ومهما كانت دواعي هذا الحضور، تستعيد في رأينا مكانتها الدستوريّة والحقوقيّة كمواطنة فاعلة في لحظات عسيرة تعيشها البلاد، بل إنّنا نشكر لها قبولها بهذا التنصيب الذي هابته عديد الأسماء البارزة في عوالم السياسة والاقتصاد، ونحن على ثقة في أنّه مهما كانت دوافع هذه الاختيارات المقلصة للفجوة الجندريّة، فإنها سوف تعود بالنفع على البلاد. وأنّ هذه التجربة سوف تزداد نجاحا كلما ازدادت إيمانا بالكفاءة سواء كانت تلك الكفاءة مذكرة أو مؤنثة. فهل انتصر الجندر في مقابل سقوط آلة المحاصصات، وهل بإمكاننا التهليل لذلك الانتصار دون القضاء على الفجوة الجندريّة بالعمل على تغيير في البنى الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة التسلطيّة، التّي تولّد الاضطهاد والتمييز ليس ضدّ النساء فقط، بل ضدّ كلّ الفقراء والفئات الهشّة.

فالمساواة بين الجنسين تُنتج قيم الاحترام والتوافق، وتساهم في التنمية المستدامة المنشودة، وتزيد في مؤشر التّماسك المجتمعي وكذلك مؤشّر السّعادة

Volume 33 - Issue 10418 Sunday 17 October 2021

تونس: مهد الربيع العربي ومُلهمة الثورات باتت على شفا مُنحدر لبناني

رشيد خشانة

تبدو تونس والمغرب في منافسة على عدد الحقائب الوزارية المخصصة للنساء في تشكيلة الحكومتين الجديدتين. وحرصت وسائل الاعلام القريبة من الدولة العميقة في البلدين على إبراز هذا البعد، مُشيرة إلى وجود عشر وزيرات في الحكومة التونسية، من أصل 25 وزيرا، فيما حازت السيدات في المغرب، على تسع حقائب من أصل 39 وزارة وكتابة دولة. والظاهر أن التونسيين تفوقوا في هذه «المنافسة» بتسمية نجلاء بودن على رأس الحكومة، للمرة الأولى في تاريخ البلد والعالم العربي.

قصقصة أجنحة رئيسة الوزراء

على أن هذا التعيين أتى على خلفية قصقصة أجنحة رئيس الوزراء، بموجب القرارات الاستثنائية التي اتخذها الرئيس قيس سعيد، يوم 22 أيلول/سبتمبر الماضي، والتي علق بمقتضاها أعمال البرلمان واستحوذ على مفاتيح السلطة التنفيذية بالكامل. ولم يكن سعيد يُخفي، منذ صعوده إلى سدة الرئاسة في 2019 وحتى قبل ذلك، إعجابه بالنظام السياسي الأميركي، حيث لا يوجد رئيس حكومة، بل وزراء فقط، وحيث يجمع الرئيس بين يديه سلطات واسعة.

ولمن لم يفهم، تراس سعيد الاجتماع الأول لمجلس الوزراء، وهو أمر لم تشهده تونس منذ سنوات بعيدة، كناية على أنه قبض على دواليب الدولة. لا بل هو لم يُخف، في تصريحاته الأخيرة، أن من يتولى رئاسة الحكومة، سيكون معاونا للرئيس، وهو ما جعل حاكم المصرف المركزي مروان العباسي، يعتذر عن عدم تولي رئاسة الحكومة، بالرغم من العروض الملحة من قصر قرطاج.

رسالة إلى الشركاء الغربيين

من الواضح أن التركيز على الحضور النسائي هو رسالة إلى الحلفاء الغربيين، أملا بالتخفيف من الانتقادات التي تتعلق بأوضاع الحريات وحقوق الانسان. ولم تقتصر تلك الانتقادات على تقارير المنظمات غير الحكومية ووسائل الاعلام، بل شملت أيضا مؤسسات رسمية مثل مجلس الشيوخ الأميركي ومنظمة الفرانكفونية، التي قررت إرجاء قمتها إلى العام المقبل، بعدما كانت مقررة لشهر نوفمبر القادم في جزيرة جربة.

وشكل قرار الارجاء، الذي ساهم فيه رئيس وزراء كندا جوستين ترودو والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، نكسة ديبلوماسية للحكومة، التي كانت تأمل باستقطاب تعاطف دولي يُخفف عنها الضغوط الداخلية والخارجية. وتنبع تلك الضغوط من غياب رؤية للمستقبل، بالإضافة إلى تدهور أوضاع الحريات على نحو غير مسبوق منذ الاطاحة بالرئيس الأسبق زين العابدين بن علي في العام 2011.

انتخابات برلمانية مبكرة؟

ولم يُقدم الرئيس سعيد، منذ تجميده أعمال البرلمان ولجوئه إلى سن مراسيم رئاسية، أية خطة للإنقاذ الاقتصادي والسياسي، وفي مقدمها الاستفتاء على دستور جديد، وإجراء انتخابات برلمانية مبكرة في غضون ستة أشهر. لكن عمليات سبر الآراء تُرجح أن يكون الفائز بالمركز الأول، هو حزب بن علي «الحزب الدستوري الحر» بزعامة المحامية عبير موسي غريمة «حركة النهضة» والتي يُعتبر حزبها أكثر الأحزاب اليمينية شعبوية. أما الرئيس سعيد فهو لا يملك قوة سياسية تقف خلفه، إذ يبدو وحيدا وسط التجاذبات القوية بين الأحزاب.

الرئيس... وحيد

بيد أن رؤية الرئيس للنظام السياسي البديل، الذي يسعى إلى إرسائه، لا تختلف عن المشاريع الشعبوية التي اعتمدتها سابقا أنظمة مستبدة، ومنها النظام «الجماهيري» الذي أرساه الزعيم الراحل معمر القذافي، في ليبيا المجاورة، والذي أبدى سعيد في مناسبات عدة، إعجابه به بوصفه أنموذجا لـ«الديمقراطية المباشرة».

وكيفما كانت طبيعة النظام السياسي المأمول، مازال الزمن التونسي مهدورا في المناكفات والصراعات، التي قسمت البلد إلى أنصار الرئيس من جهة وخصومه من جهة ثانية، حتى بات الطرفان يتناوبان على التظاهر في الشارع الرئيسي بالعاصمة، إما للتأييد أو للتنديد.

ملفات أغفلتها رئيسة الحكومة

وتزداد الحاجة إلى خطة سياسية/اقتصادية بعد خطاب رئيسة الحكومة، الذي لم تتطرق فيه إلى عمق الأزمات الراهنة، ومن بينها تفاقم عجز الموازنة وارتفاع حجم الديون الداخلية والخارجية وإصلاح أوضاع المؤسسات العمومية الخاسرة، وتعديل الميزانين التجاري والغذائي المنخرمين. وقد تضاعف عجز الميزان الغذائي ثلاث مرات في الأشهر التسعة الأولى من العام الجاري، بحسب إحصاءات رسمية. أما في المدى القريب فتحتاج تونس، بشكل ملح وعاجل، إلى إيجاد مصادر لتمويل الموازنة التكميلية، ثم موازنة 2022.

لكن مؤسسات التسليف العالمية لن تُقرض مجددا، ما لم تقدم الحكومة الجديدة خطة للإصلاحات تحظى بالقبول من المؤسسات المانحة، وهي خطة غير موجودة حاليا. كما أن تلك المؤسسات المانحة لا تُقرض من دون الحصول على ضمانات بالسداد من الحكومات الشريكة لتونس، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وهي ضمانات يعسُر تحصيلها في ظل عدم الاستقرار السياسي السائد في البلد، طيلة السنوات الأخيرة، وبخاصة بعد 25 تموز/يوليو الماضي. وزاد الطين بلة التخفيض الجديد من تصنيف تونس، والذي وضعها على شفير منحدر لبناني.

حوار مع النقابات؟

من هنا سُتُضطر الحكومة الجديدة إلى فتح حوارات مع المنظمات النقابية، لأن إطلاق أية إصلاحات لن ينجح، ما لم يحظ بدعم مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية.

إلا أن حبل الود مازال مقطوعا بين الرئاسة من جهة والنقابات والأحزاب السياسية، التي وصفها الرئيس سعيد بـ«الشياطين» و«الجراثيم» و«الخونة»... وهو لا يُخفي عداءه للأحزاب، وبخاصة «حركة النهضة» التي يُحملها مسؤولية تدهور الأوضاع واختراق مؤسسات الدولة، مُبررا بذلك الاجراءات التي اتخذها في 25 تموز/يوليو الماضي، والتي وُصفت بالانقلاب. كما أن العلاقات التي كانت متينة بين الرئاسة والقيادات النقابية انقطعت من طرف واحد من دون سبب واضح، وتحولت إلى نوع من التنابذ، يعسُرُ معه إصلاح ذات البين، على الرغم من أن قيادة «الاتحاد العام التونسي للشغل» (وهو أكبر النقابات المهنية) باركت الإعلان عن حكومة بودن، وتوسمت الخير فيها.

لابُد من صندوق النقد

ستكون الحكومة الجديدة مُكرهة على الجلوس إلى ممثلي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لتحصيل الموارد المالية اللازمة لغلق موازنة 2021 ووضع موازنة 2022 والتصديق عليها. لكن السؤال هو: من سيقوم بالتصديق طالما أن أعمال البرلمان مُعلقة بلا سقف زمني؟ الأكيد أن الموازنة الجديدة ستحظى بموافقة رئيس الجمهورية، الذي منح الثقة للحكومة يوم أدى أعضاؤها القسم أمامه، قبل أن يتقلدوا مسؤولياتهم. لكن تصديق الرئيس على الموازنة عوض تقتصر على إخراج البلد من عنق الزجاجة، وتنفيذ برنامج للإصلاحات السياسية والاقتصادية، مثلما يشترط ذلك صندوق النقد الدولي، قبل إقدامه على منح تونس دولارا واحدا.

غير أن التونسيين، الذين ينتظرون الحلول من المؤسسات المالية الدولية، يمكن أن يجدوا مساعدة أهم لدى الجارتين الجزائر وليبيا، على الرغم من المصاعب المالية التي يُجابهها البلدان لأسباب مختلفة، إذ بلغت ديون ليبيا 100 مليار دولار بحسب رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة. ويُشكل العجز الطاقي أحد مصادر الصعوبات الاقتصادية، التي تعاني منها تونس، بسبب النضوب التدريجي لمصادر الطاقة التقليدية وتعثُر خطط اعتماد مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة.

وزيرة العدل الجديدة تعتزم فتح الملفات التي أغفلتها الحكومات السابقة، وبينها ملف الاغتيالات التي ذهب ضحيتها المعارضان شكري بلعيد ومحمد البراهمي، وملف التحقيق في العمليات الإرهابية التي شهدتها تونس بين 2013 و2015. هذه الخطوة، معطوفة على اعتقال بعض المشتبه في ضلوعهم في شبكات الفساد، ستمنح الرئيس وحكومته شعبية تتجلى عناوينها في عمليات سبر الآراء، التي وضعت سعيد في مقدم الشخصيات السياسية الأكثر شعبية. ويرى الباحث الفرنسي بيار فرمروران، الخبير في الشؤون المغاربية، أن الاجراءات الاستثنائية التي لجأ إليها سعيد لاقت تجاوبا لدى قطاعات واسعة من المجتمع، لأنهم كانوا ينتظرون قرارات تضع حدا لعبث أعضاء مجلس النواب. غير أن هذه الشعبية يمكن أن تتآكل وتتبدد إذا ما اندلعت أزمات اجتماعية، أسوة بما حصل على أيام حكومتي حبيب الصيد (2015–2016) ويوسف الشاهد (2016–2019).

شروط صندوق النقد الدولي

واللافت أن الإعلان عن التشكيلة الحكومية لم يتضمن أية إشارة إلى سقف زمني لعملها، ولا يُعرف ما إذا كانت ستستمر إلى حين إجراء انتخابات برلمانية مبكرة، أم أن مهمتها تقتصر على إخراج البلد من عنق الزجاجة، وتنفيذ برنامج للإصلاحات السياسية والاقتصادية، مثلما يشترط ذلك صندوق النقد الدولي، قبل إقدامه على منح تونس دولارا واحدا.

غير أن التونسيين، الذين ينتظرون الحلول من المؤسسات المالية الدولية، يمكن أن يجدوا مساعدة أهم لدى الجارتين الجزائر وليبيا، على الرغم من المصاعب المالية التي يُجابهها البلدان لأسباب مختلفة، إذ بلغت ديون ليبيا 100 مليار دولار بحسب رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة. ويُشكل العجز الطاقي أحد مصادر الصعوبات الاقتصادية، التي تعاني منها تونس، بسبب النضوب التدريجي لمصادر الطاقة التقليدية وتعثُر خطط اعتماد مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة.

زيادات في الأسعار؟

وزاد ميزان الطاقة تدهورا مع ارتفاع سعر برميل النفط إلى 75 دولارا، بينما وُضعت ميزانية 2021 على أساس سعر مرجعي لا يتجاوز 45 دولارا للبرميل الواحد. ومن هنا ستكون حكومة بودن مضطرة للترفيع من أسعار الوقود، ما سينعكس زيادة عامة في الأسعار، ويتسبب ربما باضطرابات اجتماعية.

في هذا الإطار تشكل دول الجوار منصة إنقاذ لحكومة بودن، بُغية التخفيف من الضغوط المالية، بشراء الوقود بأسعار أدنى من أسعار السوق، بالاضافة لرسوم العبور التي تتقاضاها تونس في مقابل مرور أنبوب الغاز، الذي ينقل الغاز المسيل من الجزائر إلى إيطاليا عبر المتوسط.

أكثر من ذلك أعلن الرئيس عبد المجيد تبون أنه «متشوق لزيارة تونس قريبا» مؤكدا أن نصف أعضاء الحكومة سيرافقه خلال زيارته لتونس «بُغية التوقيع على اتفاقات في عدة قطاعات». مع ذلك يبقى استقرار البلد متوقفا على مدى التقدم في إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية جذرية، تفادتها الحكومات السابقة مخافة كلفتها الاجتماعية، فهل تُقدم عليها الحكومة الحالية، علما أن أي إخفاق في هذا المسار الإصلاحي سيتحمل رئيس الجمهورية كلفته بمفرده، لأنه هو من اختار رئيسة الحكومة ومن عين أعضاءها.

شحة مصادر التمويل

في هذا الإطار حذر المصرف المركزي في أعقاب اجتماع مجلس إدارته، من شحة مصادر التمويل، وحض الحكومة الجديدة على إطلاق رسائل إيجابية للمستثمرين في الداخل والخارج، تقوم على تكريس الشفافية والحوكمة في القطاع العام وتحسين مناخ الأعمال، بدلا من الضبابية السائدة حاليا.

ويمكن القول إن البلد الذي كان مهدا للربيع العربي، وملهما لثورات ديمقراطية سلمية في العالم، فقد كثيرا من بريقه، بعدما تناهش الطامعون جثته، وخيب سياسيوه الآمال التي عُلقت عليهم.

بين حركة النهضة وحكومة الرئيس التونسي: هل ترفع المتاريس؟

نزار بولحية

ما الذي جرى في الأيام الثلاثة التي فصلت بين الإعلان الاثنين الماضي عن تنصيب حكومة نجلاء بودن وبين خروج حركة النهضة ظهر الخميس الماضي بأول رد فعل رسمي على تلك الخطوة؟ هل حصلت محاولات من هذا الجانب أو من ذاك لجس النبض واختبار خطوط التواصل بين الطرفين ولم لا حتى التفاوض؟ وهل حاول النهضويون هنا بالأساس ان يقدموا عرضا ما قد يضفي على تلك الحكومة الشرعية الدستورية المطلوبة من جهة ويحفظ من الأخرى دورهم وموقعهم في العملية السياسية في تونس؟ حتى وان توقع البعض حدوث شيء من ذلك فإن الصيغة التي صدر بها بيان الحركة لم تكن توحي بنجاح أي مسعى في ذلك الاتجاه بعد ان أكد على «رفضها لمخالفة الصيغ والإجراءات الدستورية في عملية تشكيل الحكومة» ووصفها بـ«حكومة الأمر الواقع وحكومة الأمر مئة وسبعة عشر اللادستوري» بحسب ما جاء في نصه.

لكن هل يعني ذلك ان الباب المغلق بين الجانبين سيظل كذلك ولن تكون هناك أي امكانية أو فرصة لأن يوارب أو يشرع ولو بعض الشيء؟ معظم خصوم الحكومة التونسية تندروا بالتساؤل عن أي دستور أقسم الوزراء والوزيرات على احترامه؟ لكن فرضا انها ستعرض في وقت لاحق على مجلس نواب الشعب ألن يكون من شبه المؤكد حينها ان البرلمانيين ان حضروا جلسة التصويت سيتعجلون المصادقة عليها بغض النظر عن مواقفهم منها أو عن ملاحظاتهم أو تحفظاتهم حول هذا الوزير أو ذاك وقد يفعلون ذلك أيضا ولعدة أسباب بالإجماع؟ لكن أين هو ذلك البرلمان الذي يمكن ان يحصل فيه ذلك بعد ان حافظ الرئيس التونسي على وجوده على الورق وجمد في الوقت نفسه ومنذ الخامس والعشرين من تموز/يوليو الماضي كل نشاطاته وأعماله؟ من الواضح ان قيس سعيد لا يهتم على ما يبدو لذلك وبالنسبة له قد لا يبدو الأمر ضروريا جدا الآن على الأقل في ظل فهمه وتفسيره للتدابير الاستثنائية التي أقرها. ولأجل ذلك فلاشيء يدعوه للتفكير في تلك الفرضية. وهذا في حد ذاته واحد من الأسباب التي تبرر وجود أكثر من حاجز عال وسميك يفصل تلك الحكومة عن أكبر حزب في البلاد. لكن هل سيبقى ذلك الوضع قائما وثابتا على حاله؟ وهل انتهت علاقة حكومة بودن بالنهضة قبل ان تبدأ؟ أم ان الأمر

الغنوشي رئيس حركة النهضة

سيكون قابلا للتعديل والتغيير بين يوم وآخر خصوصا ان لا أحد يعرف اليوم في تونس كم ستدوم عهدة الحكومة التونسية الجديدة بالضبط أو ما خططها أو برامجها للشهور القليلة المقبلة لانتشال تونس من كل أزماتها العميقة والمركبة وفي أي مناخ سياسي سيكون ذلك ممكنا؟ كما لا أحد يدري وبالمثل أيضا ان كانت حركة النهضة ستقدر في الظروف الحالية على العودة سريعا ومجددا إلى صدارة المشهد السياسي المحلي وان تفرض نفسها كطرف سياسي لا يمكن حجبه أو تجاوزه أو غض الطرف عن وجوده؟

ربما عكس انقسام التونسيين حين تابعوا صباح الاثنين الماضي على شاشات التلفزيون الرسمي وقائع تنصيب حكومة نجلاء بودن في قصر قرطاج بين مرحب ومعارض أو حتى غير مبال أو مهتم بالحدث، طبيعة الظرف الذي ولدت فيه تلك الحكومة. غير انه وبعيدا عن الهواجس الاقتصادية والمالية التي قد تكون خامرت أذهانهم في ذلك الوقت فإن تكثف طبقة سميكة من الضباب الحاد في الأفق السياسي للبلاد بفعل حالة الغموض الشديدة التي تطغى على المشهد الحالي ولا تجعل أي أحد قادرا على ان يعرف إلى أي وقت يمكن ان تستمر تلك الإجراءات أو التدابير الاستثنائية التي أعلنها الرئيس قيس سعيد منتصف تموز/يوليو الماضي وإلى أين ستفضي، وهل انها ستقود حتما إلى إقرار انتخابات مبكرة أو استفتاء شعبي حول تغيير النظام السياسي أو الدستور أم لا، هو ما يثير حيرة الكثيرين ويجعلهم يتخوفون مما قد تخبأه لهم الأيام المقبلة من تقلبات أو مفاجآت.

الحركة التصحيحية

ولعل ما قد ينضاف إلى ذلك كله هو انه لم يحصل وعلى امتداد عقد كامل من عمر تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس ان وجد أكبر حزب في البلاد وصاحب الكتلة الأكبر في برلمانها أي حزب حركة النهضة، نفسه مقصيا لا من المشاركة في الحكومة المعلنة من قصر قرطاج بل حتى من أي مشاورات أو اتفاقات حول تركيبتها أو برامجها. ومن المؤكد انها بالفعل حكومة الرئيس التي لطالما ثار الجدل والنقاش في الشهور الأولى التي تلت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي جرت قبل عامين بين مناصر للفكرة ومعارض لها حول الحاجة إليها من عدمها. وفي الأصل فإن ما دعاه الرئيس التونسي بالحركة التصحيحية كان نوعا من الاستثمار البارع في مشاعر ومواقف جزء كبير من المهمشين والمنهكين من ثقل الأعباء المعيشية بعد ما تعرضوا لعمليات قصف إعلامي وتوجيه متواصل جعلت من ذلك الحزب بالذات يقدم على انه وحده المسؤول عن كل الكرب الذي حل بهم. لكن الآن مالذي ستفعله تلك الحكومة وهي تواجه من لحظة ولادتها إشكالا في دستوريتها؟ كل ما قالته نجلاء بودن الإثنين الماضي في حفل تنصيبها على رأس تلك الحكومة هو ان «استعادة الثقة في الدولة واستعادة ثقة الشباب في نفسه وهي ثقة لا تتحقق إلا بشعوره انه مواطن كامل الحقوق، واستعادة ثقة المواطن في الإدارة وفي المرفق العمومي واستعادة ثقة الأطراف الأجنبية في تونس» ستكون أولويات عملها في المرحلة المقبلة.

لكن السؤال هو ليس فقط مالذي تملكه بودن لتحقيق تلك الوعود، بل كيف يمكنها ان تجعل التونسيين يستعيدون الثقة في دولتهم ان بقيت جسور الحوار بين الرئاسة وهي صاحبة القرار الأول والأخير في البلاد وبين القوى السياسية والمدنية مقطوعة؟ ويبدو المشكل هنا مزدوجا، فهو قانوني من جانب وسياسي من الآخر. فالصلاحيات الممنوحة لرئيسة الحكومة محدودة جدا وهي تكاد تجعل من الفريق الحكومي مجرد أداة لتنفيذ قرارات الرئيس وسياساته. إذ وفقا للفصل السابع عشر من الأمر الرئاسي الذي أصدره الرئيس قيس سعيد في ايلول/سبتمبر الماضي حول التدابير الاستثنائية للحكومة فإن الأخيرة «تسهر على تنفيذ السياسة العامة للدولة طبق التوجيهات والاختيارات التي يضبطها رئيس الجمهورية».

أما رئيس الحكومة فهو وكما جاء في الفصل التاسع عشر من ذلك الأمر الرئاسي «ييسر الحكومة وينسق أعمالها ويتصرف في دواليب الإدارة لتنفيذ التوجهات والاختيارات التي يضبطها رئيس الجمهورية». وهذا بالطبع أبعد ما يكون عن الصلاحيات التي تمتعت بها الحكومات التونسية المتعاقبة في السنوات العشر الأخيرة. ولعل هذا الوضع الفريد من نوعه يعكس الجانب الآخر للمشكل أي وجهه السياسي. فالرئيس سعيد لا يبدو مستعدا لأي حوار مع من يصفهم بالفاسدين وباللصوص. وهو وان لم يضع حتى الآن وبشكل صريح جميع الأحزاب في سلة واحدة فإن خطاباته لا تدعو مجالا للشك في انه لا يتحمس كثيرا لان يكون الحوار الوطني الذي وعد بتنظيمه مباشرة بعد تنصيب الحكومة مفتوحا على الأحزاب الوطنية حتى بما فيها تلك التي وقفت معه وأيدت قراراته الأخيرة. والسؤال هنا مالمتوقع في ظل كل تلك العوامل من الحكومة الجديدة؟ وهل انها ستكون بالفعل مخليا للرئيس في وجه خصومه وعلى رأسهم حركة النهضة؟

مزاج شعبي عام

ان استناد قيس سعيد إلى مزاج شعبي عام يميل بشدة إلى فتح كل الملفات ومحاسبة المسؤولين عن السنوات العشر الأخيرة على ما يصفها هو وفي كثير من المرات بـ«الجرائم» و«عمليات التنكيل بالشعب التونسي» قد يدفعه في وقت ما لان يوجه لها الأوامر بإطلاق الصواريخ القانونية التي لطالما هدد بها. أما إلى أي مدى قد تصل تلك الصواريخ وهل انها ستؤدي بالنهاية إلى ضرب أكبر حزب في البلاد وإخراجه نهائيا من الساحة عبر إصدار قرار قضائي بحله مثلما يدعو البعض ويتمنى الآخر، ربما سيرتبط ذلك وإلى حد كبير بعدة عناصر لا داخلية فقط بل حتى خارجية. ومن الجانب الآخر فإن موجة الاستقالات الاخيرة من حركة النهضة والتي شملت الشهر الماضي أكثر من مئة قيادي من الصفوف الأولى قد تكون مؤشرا على مخاض جديد تعيشه الحركة بعد أكثر من أربعة عقود من ولادتها.

كما ان اكتفائها حتى الآن بإصدار بعض المواقف والبيانات وعدم دخولها في مواجهة مفتوحة مع الرئيس قد يحمل عدة تأويلات كأن تكون لديها الرغبة في عدم قطع شعرة معاوية تماما مع قصر قرطاج. غير انه من الواضح ان استعداد قيس سعيد وحكومته لتقبل أي إشارات أو رسائل إيجابية منها يبدو ضعيفا جدا وربما حتى منعدما. ولأجل ذلك فإن الحواجز والمتاريس ستبقى موجودة بين حكومة نجلاء بودن وحركة النهضة إلى ان يأتي ما يخالف ذلك.

تونس: حكومة الرئيس وتفاؤل لا يخفي المخاوف

هشام الحاجي

تكاد الكتابة الهادئة والباحثة عن الموضوعية تصبح أمرا صعب التحقق حين يتعلق الحال بالشأن التونسي في ظل ما يتأكد من وجود استقطاب حاد في الرأي العام بين شق مساند لرئيس الجمهورية قيس سعيد وشق آخر معارض له. وتسرب هذا الاستقطاب ولو بدرجات متفاوتة إلى وسائل الإعلام والخبراء التونسيين.

ويبدو ذلك «طبيعيا » إلى حد معين في ظل الأسئلة الحارقة التي يطرحها التونسيون والتونسيات حول وضعيتهم وخاصة حول مستقبلهم. ولا يمكن تلمس ملامح الإجابة عن هذه الأسئلة من دون التوقف عند أسباب الوصول إلى الوضع الحالي وخاصة عن دلالات وأبعاد تحول رئيس الجمهورية قيس سعيد إلى «صاحب السلطة الوحيد» بعد تجميد عمل مجلس نواب الشعب، وهو تجميد سيتواصل حسب عديد المؤشرات أشهرا أخرى، وربما تبقى الوضعية على ما هي عليه إلى حدود الاستحقاق الانتخابي المقبل والذي سيكون مبدئيا سنة 2024.

ولا شك ان الإجراءات التي أعلن عنها قيس سعيد تزامنا مع الاحتفال بذكرى تأسيس الجمهورية يوم 25 تموز/يوليو الماضي فرضت واقعا سياسيا جديدا، ولكن الخطوة التي أقدم عليها لم تفاجئ المتابعين عن قرب للمشهد التونسي في الأشهر الأخيرة والذي بلغ الوضع فيه حد التخوف الحقيقي من انهيار الدولة. ولم يتحرك قيس سعيد، بكل تأكيد من منطلق مبدئي فقط بل قادته بعض الاعتبارات التي من أهمها ان «صراعه السياسي والشخصي» مع رئيس حركة النهضة قد بلغ نقطة اللاعودة وان من سيباغت الآخر هو الذي سيكسب «المعركة» وان تدهور صورة مجلس نواب الشعب في أعين قطاعات واسعة من الرأي العام الوطني تخدم لفائدته علاوة على وجود سياق إقليمي ودولي له تحفظاته التي لا تخفى على «الإسلام السياسي».

وقد استفاد قيس سعيد في توجيه «صاروخه» من استعلاء راشد الغنوشي واستهانته من قدرة قيس سعيد على الفعل والمباغتة

وليس الدافع الظرفي هو الذي كان لوحده وراء إجراءات 25 تموز/يوليو الماضي، بل ان قيس سعيد اعتبر ان «اللحظة قد أتت» ليضع موضع التنفيذ رؤيته السياسية التي تقوم مرحليا على مرتكزين أساسيين وهما العودة إلى نظام رئاسي وهو ما عبر عنه في الأشهر التي سبقت تموز/يوليو من خلال إبراز إيجابيات دستور حزيران/يونيو 1959 المختلف إلى حد كبير عن دستور 2014 وخاصة إعادة النظر في دور السلطة التشريعية وفي آليات «تصعيد» ممثلي الشعب، لأنه يدافع عن تصور يلغي دور الأحزاب السياسية ويميل أكثر إلى «الديمقراطية المباشرة». ومن هذا المنطلق دافع قيس سعيد منذ وصوله إلى سدة رئاسة الجمهورية عن «حكومة الرئيس» وسعى بشكل مباشر أو بدعم من بعض الأحزاب إلى فرض هذا التوجه وقد نجح أخيرا في تحقيق مبتغاه في حكومة نجلاء بودن التي كلفها بتشكيل الحكومة بعيدا عن دور الأحزاب السياسية والتي أدى أعضاؤها اليمين الدستورية أمامه وخاصة من دون نيل ثقة مجلس نواب الشعب الذي لم يعد عمليا موجودا.

أكبر امتحان سياسي

ويمكن القول ان شروع حكومة نجلاء بودن في العمل يمثل أكبر امتحان سياسي لقيس سعيد الذي نجح، وهو الغريب عن الطبقة السياسية، في الوصول إلى رئاسة الجمهورية. ولم يُعرف له برنامج عمل واضح واستفاد في السنتين الماضيتين اللتين قضاهما في قرطاج في حالة أشبه بالملاحظة و«البيات السياسي» من أخطاء البرلمان والأحزاب والحكومة التي أفرزاها.

ولكنه حاليا اللاعب الوحيد تقريبا في المشهد السياسي خاصة وانه يرفض الحوار في صيغه «التقليدية» ولا يستمع لما يفد من الدول الكبرى من «نصائح» و«ضغوط ». ويبدو أيضا انه لا يحبذ الاستماع إلى آراء أعضاء الحكومة ولم يحصل ان نشرت مصالح الإعلام والاتصال برئاسة الجمهورية لحد الآن صورة لقيس سعيد وهو يصغي للذين يستقبلهم لأن «الاستاذ» تقوده على ما يبدو رؤية تقليدية للعملية التعليمية تجعله يعتبر انه المخول لوحده بالكلام وما على الآخرين «السمع والطاعة».

ويبدو ان شخصية «الاستاذ» قد لعبت دورا في اختيار أعضاء حكومة نجلاء بودن، لأن عددا من أعضائها سبق لقيس سعيد ان درسهم في كلية العلوم القانونية والاجتماعية. ويمكن القول إن رئيس الجمهورية قد نجح إلى حد كبير في «الكاستينغ الحكومي» إذ ابتعد عن الوجوه الحزبية التي تحيل إلى التجاذبات والصراعات الهامشية التي أعاقت البلاد في السنوات الأخيرة واختار شخصيات لها تجربة في الإدارة ولا تحوم حولها شبهات، ولكن حكومة نجلاء بودن ستشرع في العمل في سياق مليء بالعوائق سواء كانت داخلية أو خارجية.

ومن سوء حظ هذه الحكومة أنها ترث كل سلبيات الحكومات المتعاقبة منذ استقلال تونس سنة 1956 ولم تجد تقريبا عنصرا إيجابيا يمكن البناء عليه إلا العنصر البشري الذي يمثل عماد الإدارة التونسية والذي يحتاج بدوره إلى تحفيز معنوي وإلى تخليصه من بعض العادات السلبية التي تراكمت في السنوات الأخيرة. ويرتبط نجاح حكومة نجلاء بودن بدرجة كبرى بما يريد قيس سعيد تحقيقه في جميع المجالات خاصة وان تصدّر المشهد يفرض تحقيق النتائج أكثر من الاكتفاء بالكلام، وان الوضع الداخلي وكذلك الإقليمي، يفرضان رهانات مستجدة ومعقدة ومتداخلة على تونس. وهو ما يطرح سؤالا ستجيب عنه الأيام المقبلة حول قدرة رئيس الجمهورية قيس سعيد على التحرك والنجاح في هذا المناخ وأعتقد ان انتظار الجواب لن يطول كثيرا.

الحكومة التونسية الجديدة والمعضلة الاقتصادية

ماجد البرهومي

تواجه حكومة نجلاء بودن في تونس تحديات كبيرة ومشاكل بالجملة وهي المطالبة بإيجاد الحلول لهذه التركة الثقيلة في كافة المجالات والتي تسبب فيها سوء أداء الطبقة السياسية التي حكمت تونس بعد عشرية سوداء بكل ما للكلمة من معنى. ولعل الزمن المحدود والقياسي الذي يجب أن تعالج فيه الحكومة الجديدة كل هذه المشاكل المتراكمة يزيد من صعوبة المهمة باعتبار أن تواجد هذه الحكومة مرتبط بانتهاء الظرف الاستثنائي الذي تعيشه تونس منذ 25 تموز/يوليو 2011.

ويبقى الاقتصاد الذي انهار بالكامل أو كاد، أهم المعضلات التي تواجه نجلاء بودن وفريقها الحكومي، والذي تشير الأرقام إلى أن الأوضاع فيما يتعلق به باتت في حضيض لم تعرف له تونس مثيلا حتى في سنوات استعمارها من قبل الفرنسيين. فالخراب طال كل القطاعات بدون استثناء والنسيج تآكل طيلة عشرية كاملة من الكسل والمطلبية وسوء التصرف والغياب التام للتنمية، حتى بات الدمار هو السمة الطاغية على وصف ما طال الاقتصاد التونسي على امتداد السنوات الماضية.

فهل تستطيع نجلاء بودن الأكاديمية المختصة في علم الجيولوجيا والقادمة من مدارج الجامعات ومخابر البحوث أن تخرج تونس بمعية حكومتها من عنق الزجاجة الذي وجدت نفسها فيه؟ هل تنجح فيما فشل فيه تسع رؤساء حكومات تداولوا على القصبة قبلها خلال العشرية الأخيرة التي تلت زلزال 14 كانون الثاني/يناير 2011؟ وهل بقي للتونسيين صبر على تدهور أوضاعهم المعيشية ليمنحوا هذه الحكومة ما تحتاجه من الوقت للقيام بالتشخيص ثم الإصلاحات اللازمة التي يحتاجها هذا الاقتصاد المنهك والمنهار؟

تشير الأرقام إلى أن نسبة التضخم في الاقتصاد التونسي قد ارتفعت إلى 5.7 في المئة خلال شهر حزيران/يونيو 2021 وتجاوز حجم الدين العام قرابة 30 مليار يورو أي 100 في الـ100 من الناتج المحلي الإجمالي. كما تراجعت نسبة نمو الناتج المحلي الإجمالي سنة 2020 إلى 8.6 في المئة حسب البنك الدولي وهو ما أثر سلبا على الأوضاع الاجتماعية فارتفعت نسب الفقر والبطالة حتى وصلت 18 في المئة.

وتشير هذه الأرقام بدقة إلى الوضع الكارثي الذي تعيشه البلاد التي أصبحت غير قادرة على سداد ديونها دون الإقتراض مجددا سواء من صندوق النقد الدولي أو من غيره. فتونس مطالبة هذا العام بتسديد قرابة الـ 4.5 مليار دولار كديون عن قروض سابقة ونيل قرابة 6 مليارات دولار لتغطية عجز الميزانية بعد أن عجزت عن تحقيق نسبة النمو التي توقعها الخبراء مع بداية هذا العام. فقد توقعت الحكومة السابقة تسجيل نسبة نمو تقدر بـ 3.9 في المئة فيما توقع صندوق النقد الدولي نسبة تقدر بـ 3.2 في المئة ولم تتحقق لا هذه ولا تلك.

على وشك الإفلاس

ويرى البعض أن الخضراء على وشك الإفلاس مالم تجد الحكومة الجديدة الموارد المالية الكافية في أسرع الآجال، وهي عملية جد صعبة في ظل تراجع تصنيف تونس السيادي الإئتماني والذي قد يستمر في التراجع ويجعل الجهات المانحة والمؤسسات المالية الدولية تتردد في الإقراض. كما أن الموارد الذاتية تكاد تكون منعدمة في الوقت الحالي بسبب عدم عودة عديد القطاعات إلى نسق إنتاجها الطبيعي ومن ذلك قطاع الفوسفات والقطاع الفلاحي، وكذلك السياحة التي تراجعت مداخيلها بقرابة 64 في المئة ولم تتعاف بعد والتي أجهز عليها فيروس كورونا وقبله العمليات الإرهابية وخصوصا عمليتي باردو وسوسة.

فكيف يمكن للحكومة الجديدة أن تباشر مهامها لإنقاذ دولة تم تسييرها رعوانيا طيلة عقد من الزمان من دون مخططات تنموية وبدون رؤية واضحة ما عدا الإذعان لصندوق النقد الدولي وبرامجه القائمة على استهداف الدور الاجتماعي للدولة؟ وكيف سيتم التعامل مع كثرة الاضرابات العمالية ومطلبية المنضوين تحت راية الاتحاد العام التونسي للشغل الذي يحمله البعض جزءا من المسؤولية على تردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد.

يذهب البعض إلى حد توقع فشل الحكومة في إيجاد الحلول لهذا الاقتصاد المنهك وهو ما سيجعل في رأيهم السحر ينقلب على الساحر، فيتحول الملف الاقتصادي والاجتماعي الذي كان السبب الرئيسي في الإطاحة بحركة النهضة إلى سبب في الإطاحة بمن أطاح بحركة النهضة أي الرئيس قيس سعيد. فالشارع التونسي عرف بعدم تسامحه مع من يستهدف معيشته أو لا يجد الحلول لمشاكله الاقتصادية والاجتماعية، وهو الذي يرفع حكامه على الأعناق باحثا عن المهدي المنقذ، ثم سرعان ما يزلزل عروشهم إذا استفحل فيهم الفساد وعجزوا عن الإيفاء بتعهداتهم تجاهه.

ورغم النظرة السوداوية المتشائمة لكثير من التونسيين إلا أن هناك من يرى أن بإمكان هذه الحكومة الجديدة النجاح باعتبارها ستعمل في مناخ لا وجود فيه لتجاذبات وصراعات سياسية خلافا للحكومات السابقة التي أعاقت عملها الخلافات بين الأحزاب وأقطاب السلطة. وبالتالي فإن هذه الحكومة ستعمل تحت إمرة ربان وحيد بهدوء وراحة بال، ولن تجد برلمانا يتصدى لمشاريع قوانينها وستعمل منفردة بلا رقيب أو حسيب وذلك خلافا للحكومات السابقة التي أعاقتها كثيرا تركيبة النظام السياسي الذي كان قائما.

مشروع قانون الصلح الجزائي

كما يرى هؤلاء أن مشروع قانون الصلح الجزائي مع رجال الأعمال المتورطين في نهب المال العام مقابل قيامهم بمشاريع تنموية في الجهات، والذي يصر عليه رئيس الجمهورية قيس سعيد قد يحرك عجلة الاقتصاد باعتبار حجم المبلغ الذي يتوقع أن يتم جمعه والذي يقدر بـ4.8 مليار دولار. وبالإضافة إلى ذلك يمكن الذهاب باتجاه التخفيض في دعم المواد الأساسية وتخفيض نفقات أجور الوظيفة العمومية مع التفويت في بعض المؤسسات العمومية جزئيا أو بالكامل.

كما أن عودة النشاط السياحي إلى سالف عهده في المستقبل وذلك بعد التقدم الكبير الذي تحقق في مجابهة فيروس كورونا خلال الشهرين الأخيرين قد يساهم في حل جزء من المشكلة. وهناك أيضا القطاع الفلاحي حيث حل موسم جني وجمع بعض منتوجاته الهامة على غرار التمور التي احتلت تونس المرتبة الأولى عالميا في تصديرها في السنوات الأخيرة، وزيت الزيتون الذي تتنافس الخضراء مع إسبانيا وإيطاليا على المرتبة الأولى عالميا في إنتاجه وتصديره وهو يدر على البلاد سنويا أرباحا هامة لا تقل أهمية عن أرباح الفوسفات والبترول.

كما أن إدماج الاقتصاد الموازي في الاقتصاد الوطني سيمكن تونس من إيجاد موارد تقدر بـ30 مليار دينار حرمت الدولة نفسها لعقود طويلة نتيجة لطوباويتها وعدم تعاملها مع الأمر الواقع كما هو. فقد حان الوقت لضخ أموال هذا القطاع في الدورة الاقتصادية والكف عن النظر إلى المنخرطين فيه كمجرمين باعتبارهم ضحايا لدولة عجزت طيلة عقود عن توفير مواطن الشغل لشعبها فاضطرتهم إلى البحث عن بدائل خارج الأطر الشرعية.

وهناك حلول أخرى يمكن الذهاب فيها مثل البحث عن موارد للميزانية من بعض الدول الصديقة لتونس وهي كثيرة في هذا العالم وهو ما سيمكن الدولة من تجنب الصناديق المالية. وهناك إمكانية مطالبة بعض أصدقاء تونس بإعادة جدولة ديونها أو بيعها مقابل استثمارات في البلاد، وعديد الحلول الأخرى التي يقدمها خبراء الاقتصاد شريطة أن تتوفر الإرادة السياسية وحصول هدنة اجتماعية تخفف من الإضرابات وكثرة المطلبية التي دأبت عليها النقابات العمالية.

تونس: حكومة بلا تفويض ورئيس يواصل شيطنة المعارضة وأوضاع اقتصادية بدون حلول

إبراهيم درويش

بعد إعلان نجلاء بودن رمضان عن تشكيلتها الوزارية وأدائها القسم «الدستوري» مع أنه غائب، أمام الرئيس التونسي قيس سعيد، لم تتحدث عن خريطة طريق للخروج من الأزمة التي وضع سعيد البلاد فيها عندما قرر في 25 تموز/يوليو تجميد البرلمان وعزل رئيس الوزراء في إجراءات استثنائية «مؤقتة» تتحول يوما عن يوم إلى دائمة. فقد أعرب الشهر الماضي عن نيته تعطيل معظم الدستور التونسي الذي مرر بعد مساومات ونقاشات طويلة في 2014 بحيث لا تبقى منه غير الديباجة.

وصعد سعيد من خطابه ضد معارضيه وواصل تجريمهم وشيطنتهم ومحاولة إسكاتهم، وكانت آخر تحركاته هي سحب الجواز الدبلوماسي من الرئيس السابق المنصف المرزوقي. وفي الأسبوع الماضي أغلقت حكومة سعيد قناة تلفزيونية واعتقلت مقدم برنامج حواري مؤيد للديمقراطية بعدما قرأ قصيدة للشاعر العراقي أحمد مطر. ويحاول المعتذرون عن سعيد وقراراته التأكيد بأنها تحظى بدعم غالبية الشعب التونسي، لكن الوضع لا يبشر بخير من ناحية حرية التعبير ومسار الديمقراطية الذي اختطته تونس على مدى العقد الماضي، ويواصل الوضع الاقتصادي الضغط على حياة الناس، فسعيد لم يبد اهتماما حتى الآن بالتفاوض مع صندوق النقد الدولي على حزمة إنقاذ، بل وظل يردد نفس الكلام عن مكافحة الفساد، الذي قد يتحول إلى أداة لإسكات المعارضين كما لاحظنا خلال السنوات الماضية في الكثير من الدول العربية.

أول امرأة

ويحاول أنصاره تقديمه على أنه شخص فوق الشبهات وغير قابل للفساد والإفساد، لكن تشكيلة الحكومة الجديدة ضمت عددا من المقربين إليه ومدير حملته الانتخابية في مدينة سوسة، توفيق شرف الدين، وزير الداخلية الجديد، مما يطرح أسئلة عن ماهية شعاراته، وحتى اختياره محاضرة جامعية غير معروفة خارج مجالها الأكاديمي لتتولى حكومة في بلد يعاني من أزمة، يطرح أسئلة عن مدى التفويض الذي ستتمتع به.

وهو وإن قدم اختياره على أنه أول إنجاز عربي، امرأة تتولى رئاسة الوزراء لأول مرة، وهذا صحيح لو جاء في الظروف الديمقراطية الصحيحة ومنحت بودن تفويضا من البرلمان وكانت لديها الصلاحيات للقيام بالإصلاحات والتغيير في بلد يقف على حافة انهيار اقتصادي، ويعتمد في وقوده ومعداته على الخارج، ولم يكن نظامه الصحي منيعا أمام موجة فيروس كورونا، والمفارقة أن هذا هو المبرر الذي دفع سعيد للاستيلاء على السلطة وإلغاء التجربة الديمقراطية الناشئة في تونس. وتراجعت قيمة العملة التونسية أمام الدولار خلال العقد الماضي إلى النصف مما زاد من المتاعب الاقتصادية في بلد مثقل بالديون ويعتمد على الوقود والآلات المستوردة، وتناقص احتياطه المالي بشكل أخاف المقرضين في القطاع الخاص. وفي تقييم للبنك الدولي جاء فيه «ضاقت مساحة تحسين المنظور المالي، من خلال تخفيض فاتورة الرواتب وكلفة الدعم غير المستهدف، بسبب المستويات العالية من التوتر الاجتماعي والسياسي» والغريب أن حل سعيد للأزمة الاقتصادية لم يقتصر إلا على مقترحات بسيطة مثل الطلب من باعة الدجاج والحديد تخفيض الأسعار.

لا مخرج

والمهم في كل تحركات سعيد وخاصة الحكومة الجديدة أنها بدون خريطة للعودة إلى الديمقراطية حسب تقرير في صحيفة «إندبندنت» (2021/10/13)، ولم يعلن سعيد ولا بودن أي خطط عن الانتخابات البرلمانية. وليس من الواضح أيضا إن كانت الحكومة الجديدة متناسبة مع دستور 2014 الذي ينص على دور البرلمان في المصادقة على الحكومة، في وقت تعهد فيه سعيد بتعديل الدستور. ويخشى فيه الداعمون الدوليون من أن تؤدي خطواته هذه لتغيير مسار البلد بشكل دائم وجمع كل السلطات في يده.

بلا أمل

وبحسب صحيفة «نيويورك تايمز»(2021/10/10) فقد عقدت تحركات 25 تموز/يوليو من إمكانية الحديث عن ربيع عربي يحمل الأمل. ذلك أن تونس ظلت بالنسبة للدول الغربية الداعمة والعرب المتعاطفين دليلا على مكانية ازدهار الديمقراطية في الشرق الأوسط، ولكنها تبدو اليوم إثباتا على أن الانتفاضات هي «وعد كاذب». فمهد الثورات العربية تحكم عبر مرسوم رئاسي من شخص واحد. وبهذا تسير على طريق الدول العربية التي انضمت إلى الثورة التونسية وانتهت بدمار كما في سوريا واليمن وليبيا وخنق المستبدون الانتفاضات في الخليج، فيما انتخب المصريون رئيسا قبل أن تتحول البلاد إلى ديكتاتورية عسكرية.

لكن الثورات العربية أثبت أن القوة النابعة عادة من السلطات العليا يمكن أن تشعل في الشوارع. وهو درس أكده التونسيون الذين تدفقوا إلى الشوارع مرة أخرى ضد البرلمان ومع سعيد، ولكن المتظاهرين هذه المرة هاجموا الديمقراطية وليس مستبدا. وقد يكون الحنق على الثورة ظرفيا لأن المشاكل التي أخرجت التونسيين والبحرينيين والمصريين واليمنيين والسوريين والليبيين للتظاهر قبل عقد من الزمان: الفساد، البطالة، القمع وعدم القدرة على توفير المعيشة اليومية، هي نفسها لم تتغير. فبعد عشرة أعوام يشعر التونسيون أنهم ينزلقون للوراء في كل شيء باستثناء حرية التعبير. وتعلق الصحيفة أن التداعيات الشعبية تظل تهديدا للحكم المستبد. فالحكام العرب الذين يعون المظالم المتزايدة لشعوبهم ضاعفوا من القمع بدلا من معالجة الموضوعات، والوحشية التي مارسوها تدعو إلى ثورات جديدة في المستقبل، كما حذر المحللون. وفي حالة سعيد، فرهانه يعتمد على التقدم الاقتصادي. وتواجه تونس أزمة مالية تلوح بالأفق، وأزمة دين بالمليارات مستحقة هذا الخريف. ولو عزلت الحكومة الموظفين في المؤسسات العامة وأوقفت الدعم وخفضت من الرواتب ولم تتحسن معدلات البطالة، فستتغير مشاعر الرأي العامة وترتد 180 درجة. ولن تمثل الأزمة الاقتصادية تحديا لسعيد فقط بل وأوروبا التي لا تبعد إلا أميالا عن الشواطئ التونسية، والتي ستجذب إليها قوارب المهاجرين التونسيين بالآلاف. وبالنسبة للحكومات الغربية التي دعمت بداية الانتفاضات ثم عادت ودعمت الحكومات المستبدة باسم الاستقرار، فقد تكون تونس تذكيرا عما دفع المحتجين العرب على التظاهر قبل عقد، وما يمكن أن يجلبهم مرة ثانية إلى الشوارع. وفي الوقت الذي طالب فيه الكثير من المتظاهرين بعودة الديمقراطية، طالب آخرون بنتائج ملموسة: نهاية الفساد وأسعار رخيصة للطعام ووظائف.

فشل النخبة

ولا ينفي هذا فشل النخبة التي ظهرت بعد الثورة التونسية وتولت زمام الأمور، فوصول سعيد إلى السلطة عام 2019 وهو من خارج الأحزاب المعروفة وفوزه بأغلبية ساحقة لدليل على فشل المؤسسات الحزبية التقليدية. وأزمة تونس ليست الوحيدة في هذا السياق، فوصول إيمانويل ماكرون للسلطة عام 2017 كان دليلا على قدرة سياسي بدون حزب قوي استغلال الحنق والمشاعر الغاضبة والتغلب على أحزاب راسخة في الحكم. فالديمقراطية والحريات لم يكونا الجزء الأكبر من الثورة، وكانت شعارات المتظاهرين هي العدالة والكرامة والخبز. وفي السودان ما أخرج الناس للشوارع ضد عمر البشير هو ارتفاع أسعار الخبز، ونفس الأمر يقال عن بقية الثورات التي طالب الناس فيها بأمور تتعلق بقضايا تمس حياتهم اليومية، من الوظائف والكهرباء والمياه الصحية وبالضرورة احترامهم كبشر.

وما لم تفهمه النخبة هو أن الناس لا يصبرون على المماحكات والجدل في البرلمان. ففي محاولته تبرير استيلائه على السلطة لم يأل سعيد بتذكير التونسيين أن البرلمان (رمز الشر) اتسم بالفوضى والقتال وقذف الأعراض والمشاجرة الكلامية. ولم يكن لدى الأحزاب التي طفت على السطح ثم اختفت أي رؤية لإخراج البلاد من أزماتها المتكررة. وفي الوقت الحالي يتمتع سعيد بدعم التونسيين، فالجو خريفي معتدل، لكن عندما يدخل الشتاء وتبدأ شكوى الناس فعليه أن يقدم لهم الدفء والطعام. والمشكلة أن الدول تواجه مشاكل في مسارات التحول الديمقراطي، وبدون توافق سياسي وتعاون الجميع للخروج من الوضع فنحن أمام مشهد متكرر في العالم العربي، جماهير غاضبة تخرج تطالب بالتغيير، وعندما يطاح بالنظام يعود الناس إلى بيوتهم بانتظار التغيير ثم تعود نفس الوجوه التي ثاروا ضدها، حدث هذا في مصر وليبيا والسودان والجزائر ولبنان والعراق وإن بمستويات مختلفة. ويحلو للمثقفين العرب الحديث عن المخاض الصعب الذي مرت به الثورة التونسية قبل أن تقف الجمهورية على قدميها. وفي أوروبا الشرقية التي عاشت في ظل الستار الحديدي لسنوات طويلة لا تزال هذه الدول تعاني من مشاكل ومخاطر عودة الديكتاتورية، كما في حالة هنغاريا وبولندا، مع أنها انضمت للاتحاد الأوروبي، النادي الذي ظل خاطبا بدول أوروبا الغربية قبل توسيعه. وقالت إليزابيث كيندال، أستاذة الدراسات العربية والإسلامية في جامعة أوكسفورد لصحيفة «نيويورك تايمز»: «لا أعتقد أن ديمقراطية على الشكل الليبرالي الغربي يمكن أو يجب أن تكون شيئا ينزل كالبراشوت» و«لا يمكنك قراءة مساق الديمقراطية الغربية 101 وتستوعبه ثم تكتب دستورا وتأمل بنجاح كل شيء، والانتخابات هي مجرد البداية». وفي ظل الوضع الحالي ترى كيندال أنه من الباكر الحديث عن وفاة الثورة التونسية، فاستطلاعات الرأي في العالم العربي، سجلت دعما للديمقراطية مع تحفظات من أن البلاد ليست جاهزة. ولا يعني رفض النظام الحاكم في تونس– البرلمان والأحزاب والدستور– كما فعل سعيد هو دعم لحكم الرجل الفرد. فعندما اعتقل سعيد عددا كبيرا من معارضيه واستولى على السلطة وعطل في الشهر الماضي معظم الدستور واستولى على السلطة الوحيدة التي تشرع القوانين، شعر الكثير من التونسيين وبخاصة العلمانيين والمثقفين بعدم الراحة.

كبش الفداء

وفي كل الأزمة تم تحميل أكبر حزب في البرلمان التونسي، وهو النهضة الإسلامي، مسؤولية الفساد والفوضى الاقتصادية ومشاكل البطالة، فشيطنة سعيد البرلمان هي بالضرورة شيطنة لحركة النهضة، ورفضه الحوار معها هو رفض لها. ورفضت الحركة مثالة بزعيمها راشد الغنوشي إجراءات سعيد باعتبارها انقلابا. ثم خففت اللهجة ودعت للحوار والعودة إلى المسار الديمقراطي. وعانت من تصدع داخلي وخلافات جيلية عبر استقالة عدد من رموزها الذين حملوا الغنوشي المسؤولية، وبخاصة قراره رئاسة البرلمان. وبهذه المثابة أصبحت حركة النهضة «كبش الفداء» للأزمة والمبرر لنزعات سعيد الديكتاتورية، وهو نفس المبرر تقريبا الذي قدمه قائد الجيش المصري في حينه عبد الفتاح السيسي للإطاحة بالرئيس المنتخب محمد مرسي، من جماعة الإخوان المسلمين والقمع الذي أعقب ذلك. وتحميل حزب واحد المسؤولية فيه قدر من التجاوز، صحيح أن النهضة ظلت ومنذ انتخابات 2011 الكتلة الأكبر في البرلمان، ودخلت في تحالفات مع الأحزاب التقليدية والرموز السابقة لكن ما لا يقوله نقادها هو أنه جرى تعطيل خطواتها ويتم تناسي تنازلاتها. وبدا هذا واضحا من مقال الصحافية والكاتبة سهام بن سندرين في «واشنطن بوست» (2021/10/13) قالت فيه إن أنصار سعيد يساوون إنجازات الثورة التونسية بأجندة حزب النهضة الإسلامي الذي يسيطر حاليا على البرلمان. و«يعامل هؤلاء النقاد انتخابات تشرين الأول/أكتوبر 2011 التي جعلت من النهضة أضخم حزب سياسي، كنقطة بداية لديمقراطيتنا الحالية. وبعملهم هذا يتجاوز المعتذرون عن الرئيس وبشكل كامل التغيرات الكثيرة التي حصلت خلال السنوات الماضية». فالدستور الذي تم تبنيه عام 2014 ظهر عبر نقاش وطني واسع هدف لمنع عودة منظور الشمولية والتأكيد على الحريات الأساسية ووجود ضوابط وتوازنات حقيقية. وتقول الكاتبة إن أنصار سعيد محقون بنقدهم النهضة على فشلها، فبدلا من تبينها أجندة الثورة، ركزت بدلا من ذلك على السلطة والحفاظ عليها. وقادها هذا الهوس لعقد تحالفات مع شبكات النظام السابق في الشرطة والقضاء والإعلام. ولم تعارض النهضة فقط الإصلاحات التي دعت إليها الثورة بل وصادقت على قوانين المصالحة التي صممت لتبرئة الأفراد الفاسدين.

وقالت إن المشاكل التي تواجه تونس نابعة من سياسة الإجماع والتي خربت العملية الديمقراطية. وعليه فالتحالف بين الإسلاميين وحزب نداء تونس العلماني منع من اتخاذ قرارات شجاعة في قضايا مهمة مثل المحاسبة القضائية وإنشاء محكمة دستورية. وعلى العموم ترى بنسدرين أن من يدافعون عن سعيد مخطئون لو اعتقدوا أن العودة إلى حكم الرجل القوي هو جواب لحل مشاكل تونس. و«لم تخدمنا الديكتاتورية في عهد زين العابدين بن علي ولن تخدمنا اليوم. وما تحتاجه تونس اليوم هو بناء أعمدة تقوي ديمقراطيتها التي حصلت عليها بصعوبة. وأهم شيء هو إنشاء محكمة دستورية وتحقيق العدالة الإنتقالية» و«لو بدأ سعيد إصلاحات كبيرة لتعامل الناس بلطف مع استيلائه على السلطة، ولكن للأسف لم يفعل، والآن يتزايد الحنق حتى بين الذين رحبوا بداية بتحركه». وعلى المستوى الدولي والإقليمي هناك دعم واضح من دول لتحركاته مثل مصر، وتصريحات خجولة من الاتحاد الأوروبي ودعوات في الكونغرس لقطع الدعم ووصف الإجراءات بالانقلاب كما بدا في جلسة استماع يوم الخميس، لكن البعد الأمني هو عامل في الحفاظ على العلاقات مع الأنظمة الديكتاتورية، فإدارة بايدن التي تعهدت بمعاقبة مصر والسعودية وبقية الأنظمة المستبدة وإعادة النظر في العلاقات معها لم تفعل الكثير لحماية الديمقراطية وحقوق الإنسان.

حوار

الباحث الاجتماعي العراقي فارس كمال نظمي:

لا انقلاب في الموازين السياسية العراقية والمنظومة لن تتشارك مع «الجيل التشريني»

حاورته: رلى موفق

لا يرى الباحثُ العراقي د. فارس كمال نظمي المتخصّص في علم النفس الاجتماعي أن الانتخابات البرلمانية في بلاد الرافدين التي أُجريت في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر أحدثت تغييراً حقيقياً وانقلاباً بالموازين السياسية، ذلك أن حصول بعض التغييرات في أرقام المقاعد، لصالح هذا الفريق أو ذاك، لن يؤثّر في مجمل عمل المنظومة السياسية التي ستبقى متناغمة في ما بينها، وستصل رغم حالة التوتر الحالية إلى التوافق سويّة عبر تنازلات مُتبادلة لتبادل المكاسب والمغانم، ولن تسمح بأي تفاوض أو تقاسم لعناصر القوّة السياسية مع القوة الجديدة المتمثلة بالجيل الشبابي من السياسيين المحتجين والقوى المدنية والوطنية، متوقعاً عندها الذهاب إلى موجات احتجاجية وربما عنفية قد تقود إلى حالة من التفكّك في بعض المحافظات الشيعية بين قوى السلطة التي لا تريد التنازل عن أي شيء وبين المحتجين المحلية الثائرة أو المحبطة التي تريد أن يكون لها دور، وأن تحصل على جزء من الثروة الوطنية المسروقة منها.

بالنسبة إليه، فإن الحدث الأساسي في الانتخابات هو نسبة المقاطعة والدلالات التحليلية لها، وهي التي ستُسهم بإنتاج الحدث المقبل بنسبته الكبرى. معرباً عن اعتقاده أنه إذا لم تظهر جبهة معارضة في البرلمان، على أقله من بعض التشرينيين والمستقلين، وحتى من داخل النخب السياسية التقليدية، فالعراقيون ذاهبون إلى إحباط جديد وسريع، وستنتقل وقتذاك فكرة المعارضة تدريجياً إلى جبهة المقاطعة وربما تصبح هي القطب الجديد إذا عرفت كيف تنظم صفوفها وأن تتحوّل نفسها من مقاطعة انتخابية إلى جبهة معارضة احتجاجية ذات رؤية سياسية وثقافية تُشكّل بديلاً للأوضاع الحالية. وهنا نص الحوار:

○ كمراقب ومُتابع للشأن السياسي–الاجتماعي العراقي، هل ترى أن ما أفرزته الانتخابات النيابية يُحمل عناصر مشهد انقلابي في مزاج الشارع؟

● أنا أقول دائماً إن لغة الأرقام الانتخابية في العراق لا تُعادل بالضرورة النتائج السياسية الفعلية للانتخابات، بتقديري هناك تهويل تمارسه بعض الأوساط الشبابية والمدنية، وكأن هناك تغييراً حقيقياً قد حدث، وأن هناك انقلاباً بالموازين السياسية التي أفرزتها الانتخابات. أعتقد أن المسألة لا تقع ضمن هذا الإطار، إذا كان هناك شيء من التغيير فهو تغيير نسبي لا يؤثّر في مجمل المنظومة التي تقبض على المال والسلاح والريع، ولديها كل الشبكات الزبائنية التي استوطنت في أعماق الدولة وخارجها. باعتقادي حدوث بعض التغييرات في أرقام المقاعد لصالح بعض الفئات أو لصالح بعض المستقلين وبعض الذين أتوا من حراك تشرين لن يُؤثّر في مجمل عمل المنظومة السياسية الحريصة على ألا تتقاسم أو تتفاوض أو تُعيد توزيع القوى السياسية مع الآخر. وهذا والآخر هو الجيل الشبابي من السياسيين المحتجين، أو القوى المدنية والوطنية. ومع انتهاء الفورة الحماسية الحالية عند البعض الذي تسحره الأرقام المحدودة، أي عشرة مقاعد هنا وعشرة هناك، سنعود إلى أصل القضية، وستبدأ عملية التغانم من جديد. فرغم بعض الاختلافات في توزيع المقاعد، ستبقى الدائرة الأساسية للتغانم بين النخب السياسية هي نفسها، وهذا في النهاية وربما يدفعنا إلى أوضاع احتجاجية من جديد.

○ انكفاء جزء وازن من الحراك التشريني ناتج عن الاعتقاد بأن الانتخابات وبالصيغة التي أُعدت فيها في ظل الظروف الحالية لا يمكن أن تُحدث تغييراً، ولا سيما أن قيادات عدّة في الحراك تعرّضت للاغتيال، هل سريعاً ستكتشف القوى التشرينيّة التي شاركت بأن لا أفقَ فعلياً للتغيير؟

● نعم، وأضيفُ شيئاً آخر هو أن المنطلق الفكري للفريقين مختلف. لست في معرض تقييم الخطأ من الصواب إنما أقدّم صورة تحليلية من دون الانحياز لأي من الفريقين. فالفريق التشريني الذي شارك بالانتخابات، كانت له أطروحات ونقاشات تقوم على المنطلق الإصلاحي، بمعنى أنه يعتقد أن بالإمكان إصلاح الوظيفة وليس تغيير البُنية، هم يعتقدون في نهاية الأمر أن هذه المنظومة السياسية غير قابلة للسقوط والهدم بفعل تمترُسها الأفقي في البلد، بحيث إن كل الإثنيات السياسية أصبحت مُشتركة في الغنيمة ولا يمكن لطرف أن ينقضّ على طرف آخر، وبالتالي لا يمكن تغييرها إلا من خلال إصلاح الوظيفة. أما الطرف الذي قاطع الانتخابات بتأثير منطلق آخر فهو يقول: «لا بأس لمن يُريد أن يُشارك، لن يعد ممكناً، ومن ذاهبون – شئنا أم أبينا – إلى نهايات راديكالية للحدث، وإلى تقويض بنية هذه المنظومة. إذن مشاركتنا بالانتخابات ستجعلنا نخسر جزءاً أساسياً من استثمارنا السياسي في المجتمع، لأننا سنضطر إلى تحجيم دورنا من أجل الحصول على عدد محدود من المقاعد النيابية، وبالتالي سوف نفقد فرصة التأثير الحقيقي (الثوري) في التغيير». فلكل فريق مُنطلقه، فريق إصلاحي وظيفي وآخر تغييري ثوري، وهذا هو أساس مسألة المشاركة أو المقاطعة.

○ الشعور بأن تجربة الانتخابات لن تُؤتي ثمارها هل سيكون الشرارة التي ستُعيد المشاركين والمقاطعين التشرينيين إلى الساحة؟

● من خلال بحث ميداني واسع، أنجزته مع فريق بحثي مؤخراً عن احتجاجات تشرين 2019 في ساحة التحرير، وجدنا أن ما يقارب الـ46% من الشباب المشاركين في الاحتجاجات هم ممن شاركوا في الانتخابات عام 2018. عاد هدفها إصلاحياً فقط يخص قضايا الخدمات والبطالة والفساد، عند ذاك بدَّل مساره وتوقف عن نصرة التشرينيين، ذلك أنه لم يكن يستهدف التغيير الجذري بل الإصلاح الذي يعني من وجهة نظره تعديل في وظيفة النظام لا أكثر. وعندها صمدوا في الشوارع لأسابيع طويلة سعياً إلى تغيير المنظومة بأكملها بالرغم من افتقارهم للتنظيم والقيادات. ومن جهة أخرى، حصل تناغس بين الصدريين والتشرينيين على السلطة السياسية في الشّارع، فتشرين أثبتت قدرتها على تحريك الشّارع والقيام بتظاهرات وإضرابات واعتصامات وعلى أن تملأ الفضاء العام في محافظات عديدة، هذا التناغس ما كان يقبل به الصدر بعد أن كان تياره هو الجهة الوحيدة القادرة على التحشيد الاحتجاجي في الفترات الماضية، وبالتالي حدث ما حدث بين الطرفين.

○ ما الدلالات التي تستنتجها وأنت تقرأ نسبة المقاطعة، وماذا يمكن أن يُبنى عليها؟

● من الواضح أن الأرقام التي قدّمَتْها مفوضية الانتخابات وبعض الخبراء والمراقبين الميدانيين أظهرت أن نسبة المقاطعة تراوحت بين 59 و70 بالمئة وربما أكثر. رقم كبير بلا شك. وطبعاً من المهم أن نركّز على فهم نسبة المشاركة ونُشبعها تحليلاً واستنتاجاً، ولكن من المهم أيضاً ألا نُهمل نسبة المقاطعة التي تحتاج أيضاً إلى تحليل وتفكيك، رغم أنني أعتبر أن مصطلح المقاطعة غير دقيق، إذ يمكن تأطير الذين قاطعوا ضمن ثلاث فئات: الأولى، هي مَنْ كانت لهم رؤية منظمة، مثل بعض التنظيمات التشرينية وبعض التنظيمات اليسارية كالحزب الشيوعي، فضلاً عن جمهور من عامة الناس ومن بعض المثقفين الذين كانوا يعتقدون بأن الأسلم لهم هو

أن إجهاض حركة تشرين تمَّ من الداخل على يد تيار مقتدى الصدر؟

● علاقة التيار الصدري بحركة تشرين غير مُوثّقة بروايات مؤكدة مُتفق عليها، فهناك أكثر من سردية لها، أنا لا أستطيع تقديم سرد تاريخي للأحداث، لكن رؤيتي العامة لهذا الموضوع هي أن التيار الصدري لم يكن ممانعاً في البداية بأن يلتحق بالتشرينيين. وقد نزل الناس إلى الشوارع ونُصبت الخيام. لكن هذا الموضوع تغيّر لاحقاً لأكثر من سبب. هنا أود التركيز على سبب أساسي وهو أن مقتدى الصدر عندما وجد بأن الحركة التشرينية ذات رؤية جذرية سياسياً وثقافياً، وتذهب في أهدافها إلى إقامة نظام آخر، أي ما عاد هدفها إصلاحياً فقط يخص قضايا الخدمات والبطالة والفساد، عند ذاك بدَّل مساره وتوقف عن نصرة التشرينيين، ذلك أنه لم يكن يستهدف التغيير الجذري بل الإصلاح الذي يعني من وجهة نظره تعديل في وظيفة النظام لا أكثر. وعندها صمدوا في الشوارع لأسابيع طويلة سعياً إلى تغيير المنظومة بأكملها بالرغم من افتقارهم للتنظيم والقيادات. ومن جهة أخرى، حصل تناغس بين الصدريين والتشرينيين على السلطة السياسية في الشّارع، فتشرين أثبتت قدرتها على تحريك الشّارع والقيام بتظاهرات وإضرابات واعتصامات وعلى أن تملأ الفضاء العام في محافظات عديدة، هذا التناغس ما كان يقبل به الصدر بعد أن كان تياره هو الجهة الوحيدة القادرة على التحشيد الاحتجاجي في الفترات الماضية، وبالتالي حدث ما حدث بين الطرفين.

○ ما الدلالات التي تستنتجها وأنت تقرأ نسبة المقاطعة، وماذا يمكن أن يُبنى عليها؟

● من الواضح أن الأرقام التي قدّمَتْها مفوضية الانتخابات وبعض الخبراء والمراقبين الميدانيين أظهرت أن نسبة المقاطعة تراوحت بين 59 و70 بالمئة وربما أكثر. رقم كبير بلا شك. وطبعاً من المهم أن نركّز على فهم نسبة المشاركة ونُشبعها تحليلاً واستنتاجاً، ولكن من المهم أيضاً ألا نُهمل نسبة المقاطعة التي تحتاج أيضاً إلى تحليل وتفكيك، رغم أنني أعتبر أن مصطلح المقاطعة غير دقيق، إذ يمكن تأطير الذين قاطعوا ضمن ثلاث فئات: الأولى، هي مَنْ كانت لهم رؤية منظمة، مثل بعض التنظيمات التشرينية وبعض التنظيمات اليسارية كالحزب الشيوعي، فضلاً عن جمهور من عامة الناس ومن بعض المثقفين الذين كانوا يعتقدون بأن الأسلم لهم هو

○ إلى أي حد تُوافق على مقولة

عدم الاستثمار في برلمان سوف يُولد ميتاً، وإنما الاستثمار الحقيقي من وجهة نظرهم بعد هذا الحراك الثوري وبعد تجذر عوامل الفشل والتردي بشكل عميق في هذه الدولة، لا بدّ أن يكون في الشّارع مع الناس ومع الحركات الاجتماعية، لذلك ذهبوا إلى خيار المقاطعة المنظمة، فضلاً عن أنهم لا يريدون أن يمنحوا شرعية مجانية للنظام من دون أن يعطيهم شيئاً. ويقولون: «لماذا نُشارك في انتخابات لا تُلبّي مطالبنا المعروفة من محاكمة القتلة إلى السلاح المتفلّت خارج الدولة وصولاً إلى محاربة الفساد؟».

الفئة الثانية، وهي الجزء الأكبر بتقديري، وتتشكّل من الناس الذين ينتمون إلى طبقة الموظفين وإلى عموم الفئات الوسطى في المجتمع، هؤلاء لديهم وعي سياسي ويتابعون ويتناقشون لكنهم يائسون، ويعانون من الإحباط، ويعتقدون بأنهم فاقدون لقدرة التأثير في المخرجات السياسية، وبأن لا جدوى من المشاركة لأن هناك سيناريو معدّ سلفاً، هؤلاء يشكّلون نسبة مهمة من المجتمع العراقي ومن مجتمعات الشرق الأوسط.

أما الفئة الثالثة، فهي اللامبالية غير المكترثة، أي التي قد لا تعلم بأن هناك انتخابات أصلاً، أو تعلم وترى أنها حدث غير ذي أهمية، وتتشكّل من الفئات المحرومة التي همّها تحصيل لقمة العيش وليس المساءلة والتغيير، فنسبة الفقر في العراق بعد جائحة كورونا تجاوزت الـ30 بالمئة.

هذه الفئات الثلاث، شكّلت بتضامنها غير المتفق عليه جمهور المقاطعة الانتخابية. يبقى السؤال: هل هذه الفئات جامدة وصلبة، أم أنها مرنة وقابلة للتفكّك أو الاندماج ببعضها أو للتحوّل إلى سلوك احتجاجي لاحقاً، أو الاشتراك في انتخابات أخرى، أو أن جزءاً من المشاركين قد ينضمّ إليها؟ وأيا كانت الإجابة، أعتقد أن الحدث الأساسي في الانتخابات العراقية التي حصلت قبل أيام هو نسبة المقاطعة والدلالات التحليلية لهذه النسب، وهي التي ستسهم بإنتاج الحدث المقبل بنسبته الكبرى.

○ بمجرد إعلان نتائج الانتخابات بدأ التشكيك بنزاهتها من قبل القوى المتحكمة بالسلطة، هل يمكن أن يؤدي ذلك إلى فوضى أمنية أو إلى سلوك درب الحرب الأهلية؟

● في الـ2003 ولاحقاً كان هناك تضامن أشد بين هذه الجماعات، أي النخب السياسية التي تعمل ضمن إطار الهويات الإثنو–سياسية: عربي – كردي، أو شيعي – سني... إلخ، وخصوصاً ضمن أجزاء الهوية الواحدة بهدف الحصول على الغنيمة، وبعدما تمّ لهم ذلك ومن ثمّ الاستيطان في أعماق الدولة ومؤسساتها ومرافقها ووزاراتها، انتقلوا من حالة التضامن إلى حالة التنافس على هذه الغنيمة. والشيء نفسه حدث في 2018، فبمجرد إعلان نتائج الانتخابات حدث تشكيك كبير وتخوين، وحرق واسع للصناديق واعتراف من قبل رئيس الوزراء ومن كل الكتل السياسية ومن المجتمع الدولي بأن تزويراً كبيراً قد حدث، وهذا يحدث اليوم، أي تزوير فني يطال حصص النخب من داخلها وليس تزويراً سياسياً يهدد حكمها، بمعنى أن كل فريق يحاول الحصول على نسبة أكبر لكي يستطيع المنافسة عند توزيع الوزارات والمناصب، إذاً هو صراع على التغانم وليس صراعاً أيديولوجياً، ولا هو صراع برامج ولا حتى صراع هوية بل صراع على المصالح.

أعتقد أن هذا الصراع لن تنتج عنه حرب بين هذه الجماعات، لأنها في النهاية ستجد طريقة للتوافق عبر تنازلات متبادلة وتبادل المكاسب وتوزيع المناصب كما حصل في المرّات الماضية. أما خطر الاقتتال الداخلي، فلن يأتي من الصراع على الأصوات الانتخابية بين النخب الحاكمة، إنما من رفض النظام السياسي التنازل عن جزء من أسهمه السياسية لصالح القوى الجديدة التي نشأت، خصوصاً في الإطار الجغرافي والديموغرافي الشيعي، وأن يُشركها في عملية اتخاذ القرار ليكون لها حضور في الإطار العام للدولة وفي الإطار المدني، عندها سنذهب إلى موجات احتجاجية وربما عُنفية قد تقود إلى حالة من التفكك في بعض المحافظات بين قوى السلطة التي لا تريد التنازل عن أي شيء وبين المجتمعات المحلية الثائرة أو المحبطة التي تريد أن يكون لها دور في هذا البلد، وأن تحصل على حقها من الثروة الوطنية المسروقة منها. فإن حدث اقتتال، فإنه سيحدث بهذه الصيغة – التي لا نتمناها – وليس اقتتالاً بين النخب الحاكمة نفسها.

○ طرَحَ مقتدى الصدر، بعد ظهور النتائج، برنامجاً أشبه ببيان وزاري بوصفه الكتلة الانتخابية الأكبر المفترض أن تُشكل الحكومة، ولكن هل طرحه ولا سيما حصر السلاح ومكافحة الفساد يستقيم مع كونه جزءاً من السلطة والمكاسب والمغانم وحتى الميليشيات، وهل سيكون تياره قادراً على تحقيق ذلك؟

● كرؤية سياسية شاملة لا توجد مواقف ثابتة أو سمات سياسية ثابتة خاصة لدى الأشخاص القياديين كالسيد مقتدى الصدر وغيره. فالسياق الذي يقع فيه الحدث هو الذي يُملي في النهاية نوع الخطاب السياسي، لذلك نحن نرى دوماً تغيّرات في الخطاب السياسي لمقتدى الصدر أو لبقية الجماعات السياسية الإثنية سواء من جهة السّنة أو الكرد أو الشيعة. في اللحظة الحالية تريد الكتلة الصدرية الانتخابية أن تتمايز وتتميّز بخطاب محدد يستهوي الجزء الأكبر من العراقيين، وليس الشيعة فقط، كجمع السلاح وإيقاف الميليشيات والسيادة وعدم التدخل الخارجي... إلخ. اللحظة الانتخابية تفرضُ هذا النوع من الخطاب الذي سيمنحه قوة من خلال الشّارع أو حتى من خلال التفاوض الانتخابي. يبقى السؤال: هل هو أو غيره قادرون على تحقيق هذه الوعود؟ من الثابت أن الوضع العراقي لا يسمح بتحقيق الوعود إلا بالحد الأدنى بسبب الصراعات المستمرة والتدخلات الخارجية والديناميكيات الداخلية التي تتطوّر منذ 2010 إلى اليوم. ففي هذه اللحظة لا بدّ لخطابه أن يكون متمايزاً، وربما تأتي لحظة أخرى قد يذهب فيها بالاتجاه الآخر، عندما يرى ظهور كتلة جديدة تسعى لأن تكون الكتلة الكبرى إذا ما تجمّعت التنظيمات أو الكتل الشيعية الأخرى أمامه، هذا ربما يقوده إلى خطاب أكثر مهادنة.

○ إلى أي مدى هناك صراع على الهوية السياسية الوطنية ما بين الأحزاب الشيعية العراقية؟

● أعتقد أن هناك اختلافاً وتمايزاً فيه جزء ثقافي، هناك ثقافة مُسبقة لهذه الحركة أو تلك، وهذه الثقافة تُملي عليها أن تكون أكثر عروبية أو عراقية أو أن تكون ولائية أو أكثر أدلجة. ولكن هذا لا يكفي، بل إن التطوّرات السياسية والتدخلات الخارجية ومنظومات الفساد الزبائني الداخلية تُملي على كل طرف أن يذهب باتجاه معيّن. فالتيار الصدري نشأ في الداخل، ولم يأتِ من الخارج – أي إيران، هو حركة كانت تُسمّى بدايةً «الخط الصدري» على يد السيد محمد الصدر والد السيد مقتدى، ثمّ بعد 2003 ظهر اصطلاح اسمه «التيار الصدري» بكل تاريخه في مقاومة الأمريكيين والحرب الأهلية ودخوله العملية السياسية والانتخابية.

هذا الجسد الديني – السياسي في إطاره العام ذو نزعة أكثر تمسكاً بالهوية العراقية من بقية الجماعات الدينية الشيعية السياسية التي في أغلبها استوطنت إيران منذ نهاية السبعينيات. لاحقاً ظهر تيار ما بين التيارين هو تيار عمار الحكيم وتيار حيدر العبادي اللذان يمثلان اليوم حلقة انتقالية. خطابهم اليوم أكثر قرباً من الشأن العراقي ويحاولون أن يميّزوا أنفسهم بوصفهم بعيدين عن التأثير الإيراني المباشر باستثناء العلاقات الدينية التقليدية أو البروتوكولية، ولكن سياسياً هم يحاولون أن يتمسكوا بخطاب مستقل، فضلاً عن استخدامهم مصطلحات الدولة المدنية والجيل المدني ومحاولة الاقتراب من حراك تشرين.

فالحراك السياسي في العراق لا يقع ضمن «أهرامات» ثابتة كما يصوّرها البعض، وكأن هناك ولائية واحدة تجمع كل الشيعة السياسية العراقية نحو إيران، هذا غير موجود، فضلاً عن أن قاعدة المجتمع الشيعي التي هي في النهاية تغذي النخب السياسية الشيعية تُشير إلى حالة نفور شديدة من الدور الإيراني في العراق، وتعتقد بأن الدور الإيراني بتأثير رجال الدين أيضاً كان دوراً سلبياً وهادماً في العراق، وبالتالي الجماعات السياسية الشيعية لا تستطيع أن تتجاهل أن القاعدة الاجتماعية في مناطقها كارهة ونافمة على الدور الإيراني، وعليها تالياً أن تُعدّل في الخطاب. وبالتالي هي عملية ديناميكية وغير مستقرة ولا يجوز وضعها ضمن كتلة واحدة تابعة لإيران، فهذا نوع من تبسيط للحدث الذي هو أكثر ديناميكية وتعقيداً.

○ جيل تشرين الخارج من رحم البيئة الشيعية المتنفّذة، جرى تخوينه واتهامه بالعمالة للسفارات وللأمريكيين، ما هي فلسفته تحديداً؟

● أصف الحراك التشريني بأنه قام على أساس نزعة سياسية وجودية. هناك جيل مُعيّن يشعرُ بأنه لم تُتح له الفرصة ليكون موجوداً على مستوى المشاركة في الثورة، وعلى مستوى الكبرياء الوطنية التي تشعره بأنه يحمل اسم دولة ووطن وشعب، هذا الجيل (العشريني) نشأ من دون أيديولوجيات تقليدية مُسبقة، يحمل أيديولوجيا غير منهجية فهو ليس قومياً ولا إسلامياً ولا ماركسياً، ولا يحمل مصطلحات مُؤدلجة، إنما يحمل المصطلحات المدنية العامة. هو يريد أن يعيشَ حياة سوية فيها عدالة اجتماعية، أي يُريد أيديولوجيا اجتماعية وليس أيديولوجيا حزبية. هذا الجيل مُستميت، فهناك 700 إنسان قتلوا في الشوارع مع آلاف الجرحى والمعوّقين والمغيبين. استماتة تشرين متأتية من الشعور بأنه لا بد من مواجهة النظام السياسي الذي سَـرَقَ الناس أولاً ثمّ سرق هويتهم. هنا الهوية الوطنية كانت أفضل وسيلة استقواء عبقرية لهذا الجيل، تمنح الكبرياء والعزّة والاحترام للإنسان، وفي الوقت نفسه هي وسيلة رفض ضد السلطة ذات الهوية الطائفية اللاوطنية، يستخدمها كسلاح معنوي وثقافي.

○ هل تشرين قادرة على النهوض مجدداً؟

● تشرين الأساسية لم تعد واحدة، بل أضحت «تشرينات» متناثرة بفعل ثورة النظام المضادة للدفاع عن نفسه، حتى إنني في مرحلة من المراحل قلت إن الانتخابات الأخيرة هي جزء من الثورة المضادة لأن غايتها غسل دماء الشهداء وإعطاء الشرعية للنظام السياسي وكأن شيئاً لم يحدث. ولكن لا تزال هناك أجزاء من تشرين أكثر صلابة، من الناحية الثقافية بسبب ارتفاع مستوياتهم التعليمية، وعندهم تراكم في التجربة، وأغلبهم شارك بالاحتجاجات منذ 2014، ويمكن للفريق التشريني الذي قاطع الانتخابات أن يُشكّل النواة والمدخل إلى قومية والإسلامية والماركسية التقليدية، هناك جيل بدأ بتنظيم نفسه ولديه رؤية مُعيّنة، ويحاول طرح إصلاحات جذرية في استقراء الأحداث وإطلاق الحجج مثيرةٌ للإعجاب، وتدعو للنظر إلى العالم وإلى السياسة بشكل مختلف عن أسلوبنا نحن الأجيال السابقة.

حريات

الليبيون «البدون» سنوات من الحرمان
من أبسط الحقوق وآمال معلقة على انتخابات ديسمبر

طرابلس ـ «القدس العربي»: نسرين سليمان

منذ سنوات طويلة لا يزال عدد كبير من الليبيين يعانون من مشكلة عدم امتلاكهم لأرقام وطنية تثبت جنسيتهم وهويتهم الوطنية، وبذلك لم يتمكنوا من الحصول على أبسط حقوقهم المشروعة كتدريس أطفالهم، أو الحصول على كتيب عائلة، ولم تتمكن الدولة من حل هذه المشكلة بشكل فعلي بل فاقمتها باستخدام الأرقام الإدارية، التي منحتها لهم بشكل مؤقت. وفي ليبيا وحسب دراسات أجرتها منظمات حقوقية فهناك العديد من فاقدي الجنسية أو ناقصي المواطنة، فحسب القرار (538) لسنة 1981 تم حصر أكثر من 14 ألف عائلة معنية من فئة الطوارق، ولكن لم يصدر قرار بمنح الجنسية إلا لـ 7102 عائلة منهم في عام 2009 بموجب القرار 328 ويمثل هذا العدد فئة محددة من الطوارق المقيدين في السجل المؤقت حتى عام 1981 فقط، ولا يشمل بقية الفئات من ناقصي المواطنة.

رقم وطني

ويقول نشطاء من الجنوب الليبي بأن أعداد المواطنين الذين لم يتمكنوا من إثبات جنسيتهم الليبية أو الحصول على رقم وطني فاق 60 ألف مواطن.

وقد منحت الدولة لهذه الفئات رقما إداريا بديلا ومؤقتا، حيث ظهر الرقم الإداري لأول مرة في عام 2014 بعد احتجاج مجموعة من قبائل الطوارق جنوب غرب ليبيا وإقفال حقل الشرارة النفطي، كوسيلة ضغط على الحكومة من أجل اتمام إجراءاتهم القانونية ومنحهم أوراقا ثبوتية.

وكرد فعل على هذا الاحتجاج، أصدرت الحكومة الليبية آنذاك أرقاما إدارية مؤقتة تستخدم كبديل للرقم الوطني، من أجل استكمال بعض الإجراءات الإدارية كصرف المرتبات ولكن بقي هذا الرقم محدودا في الاستعمال.

الرقم الإداري

ولم يساهم الرقم الإداري في حل المشكلة بل تفاقمت بشكل أكبر حيث أصبح من غير الممكن تسجيل المواليد، حتى في السجلات المؤقتة، ولا يمكن تسجيل الوفيات ولا إصدار كتيبات عائلة منفصلة للمتزوجين حديثا مما يجعل المواليد الجدد محكوما عليهم بفقدان الجنسية.

حسين كويوي، المتحدث باسم مجلس شيوخ قبائل الطوارق في ليبيا قال في حديث لصحيفة «القدس العربي» أن هذه الأزمة تعود إلى هجرة عدد كبير من المواطنين ابان الاحتلال الإيطالي والتركي إلى بلدان أخرى، وأثناء عودتهم إلى دولتهم الام وهي ليبيا قامت الدولة بدراسة منحهم الجنسية من عدمه.

وتابع كويوي أنه في العام 1954 صدر قانون بمنح العائدين الجنسية الليبية ممن ولدوا خارج البلاد أو أقاموا فيها بشكل عادي لـ10 سنوات قبل 7 تشرين الأول/أكتوبر 1950.

وأضاف ان الدولة أصدرت قوانين أخرى للحصول على الجنسية العربية بدلا من الليبية، خاصة عام 1980 والحصول على جميع الحقوق الممنوحة للمواطنين.

وتابع أن هذه القضية يعاني منها الطوارق بشكل خاص، مضيفا أن هذه الفئة تصاعدت آمالها بحل مشاكلها بعد ثورة السابع عشر من شباط/فبراير، لأن شعاراتها كانت تتضمن العدالة والحرية، متابعا «أن أصحاب السجلات المؤقتة لم يتم انصافهم بعد الثورة بل تم الطعن في قضيتهم واستثنائهم من القضية الليبية».

وقال كويوي أن هذه الفئة وصفت بأبشع الصفات من قبل المواطنين الليبيين، موضحا أن الليبيين البدون شاركوا في الحروب على كل المستويات، وأردف «نحن الطوارق أمة لها جذور، وصحيح لسنا عربا ولكننا قريبون منهم، وكانوا يريدون أن يمنحوننا الجنسية العربية ليبتعدوا عن مسمى الجنسية الليبية».

العدالة الاجتماعية غائبة

وتابع «نطالب باستكمال إجراءاتنا لانها صحيحة وقانونية وهناك فئة تملك قرارات منح الجنسية ولم تفعل، وهناك فئة تملك قرار العودة، والمشكلة الكبرى تكمن في عدم قيام الدولة حتى الآن بإجراءات حصر هذه الفئة» وقال هناك أكثر من 4000 عنصر من الجيش من البدون وقد وصلوا إلى رتب عالية ومنهم ضباط ولا يملكون رقما وطنيا.

وأوضح «العدالة الاجتماعية غائبة، ولا توجد منظمة أو مؤسسة ليبية تبنت هذه القضية ولا حتى دولية بل إلى حد الان اعتمدنا على أنفسنا في الدفاع عن هذه القضية».

وأضاف «أن أصحاب الأرقام الإدارية أو البدون لا يستطيعون حتى التنقل بين المدن، وأن الوصول إلى العاصمة الواقعة في نفس بلدهم صعب جدا» معبرا «هناك من يقيمون احتفالا لوصولهم إلى طرابلس، وهناك من يقومون بتزوير ورقة صلاحيتها ثلاثة أيام للتنقل، أما السفر فهو أمر غير ممكن نهائيا بالنسبة لنا».

وقال «أن قرار رئيس حكومة الوحدة الوطنية هو القرار السابع لدراسة الطلبات ودراسة حالة البدون، ويعتبر القرار الثاني بعد ثورة السابع عشر من شباط/فبراير، فقد صدر قرار في فترة حكم علي زيدان وهو القرار الذي منحنا الرقم الإداري».

وعن الرقم الإداري الممنوح لهذه الفئة فصرح كويوي أن الرقم الإداري أصبح دليلا في ليبيا على أن صاحبه أجنبي وليس ليبيا، بل يتم وصف حامليه بالمرتزقة، وتابع «وصل عدد الأسر المقيدة في السجلات المؤقتة 17 ألف أسرة ليبية، ومع ذالك ما زالت الدولة ترفض تفعيل قرارات حصولهم على الجنسية ولا نعلم ما الأسباب».

تشكيل لجنة مركزية

وفي وقت سابق أثار قرار أصدره رئيس حكومة الوحدة الوطنية الليبية، جدلا واسعا على المستوى المحلي الليبي، حيث تناول القضية المقفلة منذ سنوات والتي لم تقم أي حكومة على مدار سنوات بتناولها بجدية، مع إجراءات عملية وفعلية تمهيدا للتطبيق.

حيث أصدر رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبدالحميد الدبيبة، قرارًا يقضي بتشكيل لجنة مركزية تهتم بدراسة طلبات الحصول على الجنسية الليبية وإثبات صحة الانتماء للأصل الليبي لمجموعة من الفئات التي حددها وأعلن عنها القرار.

ويأتي هذا القرار الذي أصدره رئيس مجلس الوزراء تحت رقم 322 لسنة 2021 بناء على الاجتماع الذي عقده رئيس الحكومة مع وزير الداخلية وبعض الأجهزة والإدارات المختصة لمناقشة الصعوبات التي تواجه الحاصلين على الأرقام الإدارية، وكذلك أبناء الليبيات المتزوجات من أجانب.

وقد شكلت هذه اللجنة برئاسة رئيس مصلحة الجوازات والجنسية وشؤون الأجانب، وعضوية كل من: رئيس مصلحة الأحوال المدنية، ومدير إدارة الشؤون القانونية بوزارة الداخلية، ومحمد علي العمامي، وإدارة الشؤون القانونية والشكاوى بديوان مجلس الوزراء، ورئيس مكتب الشؤون القانونية بمصلحة الأحوال المدنية، ومندوب عن جهاز المخابرات الليبية، ومندوب عن جهاز الأمن الداخلي، ورئيس مكتب الجنسية وشؤون الأجانب.

وتضمن القرار تحديد اختصاص اللجنة حيث نص القرار على أن تتولى اللجنة مراجعة الإجراءات المحالة إليها من اللجان الفرعية للتأكد من مدى استيفائها الشروط والأوضاع القانونية، والبت في صحة نتائج أعمالها، وتكون قراراتها مسببة وبموافقة أغلبية أعضائها.

كما جاء في القرار «تشكيل لجان فرعية بالمناطق على أن يصدر بشأنها قرار من وزير الداخلية، أن تتولى اللجان الفرعية استلام طلبات الحصول على الجنسية الليبية، لأبناء المواطنات الليبيات، وزوجة المواطن الليبي والأرملة الحاضنة والمطلقة الحاضنة، وأبناء المواطن المتجنس الذين لم يتم إدراجهم بشهادة جنسية والدهم، ومن كانت أصوله ليبية ولم يستطع إثبات انتمائه للأصل الليبي فضلا عن القرارات التي صدرت بمنح الجنسية والبت في مدى صحتها.

وتتولى اللجان الفرعية دراسة طلبات الحصول على الجنسية الليبية وإثبات صحة الانتماء للأصل الليبي المقيمين في دائرة اختصاصها وإبداء الرأي فيها، على أن تحيل نتائج أعمالها إلى اللجنة المركزية.

وجاء في المادة السادسة من القرار أن للجنة الاستعانة بمن ترى لزوم الاستعانة به في سبيل إنجاز أعمالها، كما حدَّدت المادة السادسة مكافأة مالية شهرية لرئيس وأعضاء اللجنة المركزية والفرعية بواقع 2000 دينار تصرف من وزارة الداخلية.

وقد أشعل هذا القرار جدلا بين الحكومة ومجلس النواب حيث وصف النائب طلال الميهوب، رئيس لجنة الدفاع والأمن القومي في البرلمان قرار الدبيبة «بالخطير للغاية» معتبرا أنه يهدد الأمن القومي للبلاد من الناحية الديموغرافية.

كما أضاف بحسب ما أفادت وسائل إعلام محلية، أنه طلب من النائب العام فتح تحقيق مع رئيس الحكومة بشأن قرار تشكيل لجنة لمنح الجنسية الليبية.

يشار إلى أن أعضاء «حراك فزان» كانوا قد نظموا في سبتمبر ، وقفة احتجاجية، أمام حقل الشرارة النفطي بالجنوب الغربي لليبيا على خلفية «عدم استجابة حكومة الوحدة الوطنية لمطالبهم في تموز/يوليو الماضي».

وقال البيان الصادر عن الحراك «أمهلنا الحكومة الوطنية سابقا 10 أيام لتحقيق مطالبنا من دون أن نلقى تجاوبا وعليه سنقدم للحكومة مهلة أسبوع آخر أو سنضطر لإغلاق حقول النفط بفزان ولن يتم فتحها إلا بعد تحقيق مطالبنا المشروعة».

وتضمن البيان مجموعة من المطالب من بينها «إيجاد حل جذري لأصحاب الأرقام الإدارية (غير المتمتعين بالجنسية الليبية) حسب ما دعا إليه ملتقى الحوار السياسي وفق المادة رقم 8/2 التي دعت لعلاج هذه الإشكالية قبل 24 كانون الأول/ديسمبر المقبل» و«الإفراج الفوري عن المعتقلين قسرا من أبناء فزان في سجون المنطقة الغربية».

كتب

رواية السورية سمر يزبك «مقام الريح»: أمومة الطبيعة والإنسان في مطحنة القهر

المثنى الشيخ عطية

في الروايات التي ينسجها كتّاب مبدعون، يعيش القارئ غالباً متعةً إضافيةً عن متعة الحكاية المختارة بعناية أن تتداخل مع واقع حياة القارئ ليُكون كاتبَها كذلك، حتى لو روت ما يغطّي الكواكب البعيدة والمستقبل. وتمسحُ هذه المتعةُ روحَ القارئ بالسِّحر، من خلال أسلوب نقل الحكاية الذي يتشكل حكايةً موازيةً، ويرتقي إلى فتنة أن يكونَ الروايةَ داخل الرواية بذاتها، إن لمعت في مخيلة مبدعها شطحةٌ وجدٍ يقبض عليها، ويجسّدها قبل أن تتفلت غائبةً في بحرها الذي لا يدرك.

على غير شكل من أشكال الرواية داخل الرواية، تُبدع الروائية السورية سمر يزبك لوحتَها الخاصة لروايتها داخل روايتها «مقام الريح»، وتنقلُ قارئها من الحكاية البسيطة لجنديّ يتعرض مع مجموعته للقصف خطأً بطائرة صديقة في جبال الساحل السوري، ويعيش بين الموت والحياة لحظات تَذَكُّر حياته كاملةً، إلى حكاية الرواية داخل روايتها؛ حكايةُ اندماج الطبيعة والإنسان كابن لها، في لحظته المصيرية التي تنفتح فيها مشاعره على كامل حقيقتها؛ مجسّدةً ذلك بأسلوبٍ فريدٍ في تكثيف وفرد الزمن، وإطلاق اللغة بشاعريتها الفحصي وحيويتها العامية المتحركة مع نبض حياة الناس في مثالها، وتنويع زمن السّرد بين الماضي والحاضر والمستقبل ضمن منظومة سردها المختارة، وابتكار البنية التي تستوعب حركة تداخل رواياتِها، واختيار الشخصيات الأسرة الفريدة التي تتحرك من خلالها الأحداث والتاريخ وتتشكل المرجعيات والطبائع وتنبسط وتتعقد النفوس، رجوعاً إلى الماضي، وعرضاً لواقع الحاضر في أحرج وأبأس مآسيهما.

ومثل أمّ لرواياتها وأبطالها تفعل ذلك يزبك، ليس بتمثلها حركة موجودات الطبيعة من غيوم وأشجار وريح وقمر وصخور وكائنات فحسب، وإنما أكثر من ذلك بارتقاء نسج روايتها إلى التماثل فيما تفعل شخصياتها، ببلاغة مثال بطلتها «نهلة»، الأم التي نسجتْ لُحاف ابنها عليّ، غريب الأطوار، الذي بنى عزلاه في شجرة السنديان، أعلى الجبل، بإصرار جنوني على تزويده بالدفء:

«واستيقظ في صباح اليوم التالي وقد امتلأت أصابعه بالثقوب، وكانت نهلة تنظر إليه بإشفاقٍ بينما كان يعمل بلا توقف، وتلمح الزَّغَب الخفيف الذي ينمو فوق شَفَتَيْه، وهي تخيط مجموعة أقمشة خضراءَ مباركة، أتت بها من المَقام، وأضافتْ إليها ثياباً قديمةً، قُدّمت في المَقام للمحتاجين، وقامت بقصِّها، ووَصَلَتْها ببعضها، وخَاطَتْها بمآبرها، وكان عليٌّ يلمحها بطرف عَيْنَيْه، وهي تستخدم خيوط الملاحف البيضاء، وتصلُ القِطَعَ المتنوِّعة الألوان والأنواع من الكتّان إلى الصوف إلى القطن، وقطّعاً من بقايا سراويل الجينز، تصلها راسمةً أشكالاً مختلفة الأحجام؛ من مربَّعات ومثلّثات ودوائرَ وزهور وأوراق شجرٍ، وكانت تنتظر أن يُنهيَ عمله، ويغادر إلى الأحراش، فتصعد الشجرة، وتقيس المسافة اللازمة، ثمَّ تُعاود خياطة تلك القِطَع بطريقتها الفريدة، حيث تقف، وتُعاود الجلوس مع كلِّ غُرْزَة، فكان منظرها يبدو مُضحكاً للآخرين، وكأنّها ترقص هبوطاً وصعوداً، ولم تأبهْ لسخريَّة الأب منها، وقد دُهشوا في اليوم الرابع، لأنَّها وما إن نزل عليٌّ عن عَرْزَالِه حتَّى صَعِدَت إليه، تحمل وسادته ولِحَافه السميك الذي صار تُحفةً كما يقول الجميع».

في حياكة لحاف روايتها، تلجأ يزبك إلى بساطة البنية الظاهرة، التي تساعدها وتساعد القارئَ على سهولة تعييش وعيش الأحداث والأزمنة بمشاعر السماحة والمحبة والجمال، وتغلغل هذه المشاعر في العقل من دون تعطيله بالتفكير وإصدار الأحكام؛ فتقدم روايتها بما لا يقسمها، إلى خمس عشرة جزءاً بأرقام من دون عناوين، وبطول لا يتجاوز الثماني صفحات للجزء. وتُجري نهر سردها باختزال مياهه إلى سارد وحيد هو السارد العارف أو الروائية نفسها، عن أحداث الرواية وأبطالها، غير أنها تكسر رتابة هذا السرد الذي يفترض في العادة استخدام فعل الماضي، بتنويع زمنه بين استخدام فعْليّ الماضي والحاضر، والارتقاء إلى استخدام فعل المستقبل بحرفيّ السين والسوف اللذين يفتحان خلايا التحليل والتنبؤ والتوقّع والتشويق، مثلما يفعل غابرييل غارسيا ماركيز في رائعتيه «مائة عام من العزلة»، و«قصة موت معلن»، وذلك بالوقوف على نقطة في الماضي، والحديث عما سيحدث في المستقبل:

«تلك الشجرة التي ستتحوَّل إلى ملجأ لأرامل القرية بعد سنوات، وستكون مجاورةً لحارة سُمِّيَت بحارة الأرامل في أثناء الحرب... في السنوات اللاحقة، سيُرَدِّد أهل القرية أمام الولد عليٍّ، أنَّ «الحُمَيْرُونَة» أنقذتْهُ، وأخبرتْهم أنَّه ابن الشجرة، وأنَّ حياةً جديدةً كُتِبَت له».

في نسيج لغة لحافها، تطلق يزبك لسان العربية الفصحى البسيطة والشاعرية التي تكون مع تفاصيل حياة البشر بالتفاعل والانصهار، وجرت ساحرةً في قنوات شرايينهم، دون أن تحجز انفلاتها الضروري بجمل الحوار العامي القصير الذي يعبّر عن منطقة السّاحل، ولا يتجاوز الفهمَ بالفصحى، لإبقاء الرواية نابضةً بإحساس وطبيعة ردود أفعال البشر، ونابضةً بحيويتها، مع الثراء المذهل المعبّر عن اندماج الإنسان بالطبيعة بجريان نهرٍ لا يتوقف إلا ليجري مع نهوض بطل الرواية في ختامها بعد استعادة نفسه بالموت أو بالحياة.

في دوران الزمن زهواً ومطراً وشمساً ونبضاً لـ«ألوان»، تمدّ يزبك ساعة لحافها إلى يوم واحد يتضمّن نهاراً وليلةً، ويبدأ باستفاقة جنديّ على نفسه وعلى كائن آخر هو نفسه بين الموت والحياة؛ وكما يفعل تيرنس ماليك في فيلمه المذهل «الخط الأحمر الرفيع»، حيث تتجلّى مأساة الموت في فردوس، تفعل يزبك ذلك مع السنوات ونسيَ تلك اللحظات التي تعود إليه الآن، ويشعر بها مع كعب قَدَمه المقطوع. كانت تمسح قَدَمَيْه بالزيت، وتُوقظه من غفوته وتوقظ وخزات الألم معه، فآثارُ عصا الرمّان ما تزال تشقُّ باطن القَدَم، والمشي حافياً تحت المطر لنهارٍ كامل، جعل جروحه تتشقّق من جديد، ثمَّ قامت نهلة بتلك الحركة حين أمسكت بوجهه، ومسحتْهُ بالزيت وهي تردِّد: «وُلْدِي أَمَانْتَكْ، يا شَيْخْ بُوعَلِي ... يِرْزُقْنَا رِضَاكْ ... وُلْدِي ... لَحْمِي ودَمِّي، رِبَيْتْهُنْ كِلْ شِرْ بُنْدُقْ ...»، وقبّلت أصابع قَدَمَيْه، ولعقتْها، وبكتْ، سيذكر أنَّها كانت تُضرب مثله بعصا الرمّان نفسها، وأنَّها بين حنٍ وآخر تهرب مُنتحِبةً إلى زاوية الغرفة الثانية».

في حنايا لحافها المكونة من بقايا ملابس البشر، ومنتجات الطبيعة لا يغيب تعاطف يزبك الإنساني العميق مع النساء، ويتجلى بقوّة في الرواية، عبر الظلم الذي تعانيه شخصيتا الرواية الرئيسيتين «الحُمَيرونة» و«نهلة»، من قبل الفقر الذي يدفعهنّ لمآسي الخدمة أولاً، ثم الزوج الجاهل الذي يضرب زوجته، ثم رجال الدين الجدد الذين يكملون دائرة العنف بإبعادهنّ عن لمس توابيت أبنائهنّ، وعن لمس النذور وقبور الأولياء بأوهام نجاسة حيضهنّ؛ كما فعلوا في روايتها «المشّاءة» من منع نزع الثياب الملوثة بالسّارين عن النساء لإنقاذهن.

وفي نسيج لحافها الذي تعيد فيه، مع كل غرزة ذكرى من آلام عليٍّ، تشكيل رؤيته عن نفسه الحرّة التي طالما نال منها الخوف، وعن محيطه البريء الذي دمّره الطغاة واللصوص والسّفاحون، تغرز يزبك في روح بطلها الإصرار على مقاومة الموت، والزحف إلى شجرة الحياة التي ستحميه من أنياب الضباع، كي لا يؤلم أمّه بجثة أخرى مقطّعة على الأقل. وتنهي يزبك روايتها بتغييب شبح عليٍّ عن خِتامها، وفتحها بذلك كما لو أن بينيلوبي تفكّ نسيجها وتسلم طرفه لقارئها.

سمر يزبك: «مقام الريح»
منشورات المتوسط،
ميلانو 2021
144 صفحة.

دلال مخلد الحربي في «صورة المرأة في رحلات الغربيين إلى وسط الجزيرة العربية»: تعددت الدوافع السياسية والدينية وامتزجت بالمغامرة

نزار صالح

«إن مما يبعث على الملل أن تكوني امرأة في الجزيرة العربية»، بهذه العبارة التي وردت في رسالة كتبتها الرحالة البريطانية جرترود بيل إلى صديقها الضابط البريطاني داوتي ويلي في سنة 1914، تستهل الباحثة السعودية دلال بنت مخلد الحربي كتابها «صورة المرأة في رحلات الغربيين إلى وسط الجزيرة العربية».

ومثل هذه الآراء هي دافع المؤلفة لإنجاز كتاب يتناول التعليقات والآراء التي كتبها رحالة غربيون، رجالاً ونساء، حول المرأة وطبائع حياتها في وسط الجزيرة العربية، طبقاً للاحظات مباشرة دونوها من واقع التعامل اليومي مع المجتمع، أو طبقاً لأحداث شهدوها أثناء تجوالهم في المنطقة منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين. وتشير المؤلفة إلى أنّ دوافع الرحالين تعددت وتنوعت سياسياً أو دينياً أو برغبة الاستكشاف والمغامرة، كما تعددت الصفات التي دخل بها أولئك الرحالة، من طبيب إلى تاجر خيل إلى وجيه إلى مبعوث سياسي إلى سائح متجول.

ولقد عُنيت المؤلفة بتسجيل الكثير من تلك الملاحظات والآراء عن المرأة العربية في نجد، ولا تزعم الحربي أنها غطت كل ما كتبه الرحالة خلال المدة الزمنية المحددة، نظراً لكثرة العدد وتعدد اللغات، وقد اعتمدت على النصوص في لغاتها الأصلية وليس في ترجماتها إلى اللغة العربية توخياً للدقة، كذلك لم تتدخل في نقد نصّ أو استحسان آخر إلا عند الضرورة لأنّ هدفها هو «إبراز الصورة كما كانت عليه عند أولئك الرحالين» من دون اتخاذ موقف انحيازي.

تنقسم الدراسة إلى أربعة فصول، يتناول أوّلها نجد والرحالين فيعرض للمنطقة بوصفها «الأرض المجهولة» لدى الرحالين الغربيين، ويستعرض جغرافيتها كما رسمها هؤلاء، وخاصة لجهة صعوبة التواصل والحصول على المعلومات، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية في نجد خلال الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة، أي بعد عام 1819 وحتى منتصف القرن العشرين. الفصل الثاني يبحث في الأوضاع العامة للمرأة، في مستويات السكن والتفاعل العائلي والاجتماعي، ثمّ أعمال المرأة، وأدوارها في الغزو والحروب. والنصوص التي اختارت المؤلفة التعليق عليها تمثل الرأي الآخر القادم من بيئة مختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً، وهذا خيار منتظر وصائب بالطبع.

الفصل الثالث يذهب إلى العادات والتقاليد، فيشمل الزواج، وتعدد الزوجات، والمظهر العام، والملابس والزينة؛ ولافت هنا أنّ المؤلفة ترصد مشاهدات متقاطعة، أي أنها ليست دائماً متطابقة، بخصوص الحجاب، واختلاف الملابس حسب الفئة الاجتماعية، ومحاسن أو مساوئ تعدد الزوجات. الفصل الرابع، والأخير، يحمل عنوان «الصورة وتعميق التصوّر» وتخصصه المؤلفة لدخول آلة التصوير ودور الصورة الفوتوغرافية في توفير إضاءات أوضح حول مجتمع نجد، في نطاق النساء البدويات والحضريات والفضاء العام.

لا تصدر المؤلفة عن مدرسة نقدية محددة، وهي أقرب إلى أداء دور المؤرّخ الراصد لمجموعة نصوص، في كتابات رحالة، ضمن منطقة محددة هي نجد. والدراسة تحتل موقعاً طبيعياً ضمن نتاج المؤلفة، فلها أعمال حول تاريخ المرأة السعودية على مرّ العصور، وأشهر النساء في نجد، وإسهام المرأة في وقف الكتب. لها، في المقابل، أعمال في تاريخ المملكة، وأخبار الدولة السعودية الأولى والثانية، فضلاً عن كتاب يرصد علاقة المملكة بالأزمة الاقتصادية العالمية.

منهجية البحث وصفية تعتمد على تحليل النصوص والكتابات والآراء التي عبّر عنها الرحالة خلال تجوالهم في نجد، ويندر أن تقترح المؤلفة قراءة نقدية لهذه المواد، الأمر الذي أوضحته ابتداء من المقدمة في الواقع. كذلك لا تميل كثيراً إلى وضع الوصف تحت محكّ منهجية تاريخية سواء لجهة التدقيق أو حتى تعميق الصورة، رغم أن الخلاصات التي تتوصل إليها تتطلب المزيد من تمحيص الوقائع وتحكيم التاريخ. ومن الواضح أنّ هذه المنهجية، المبسطة في نهاية المطاف، انسجمت مع المحتوى المحدود، غير النقدي بصفة خاصة، الذي استقرت عليه المؤلفة.

وقد تكون هذه الخيارات وراء لغة الكتاب السلسة والمبسطة، فلا تستخدم المؤلفة إلا القليل من المصطلحات في مادة لا تستدعي الاصطلاح أصلاً. ثمة، إلى هذا، مقدار واضح من التماثل اللغوي والأسلوبي في ترجمة النصوص، بالنظر إلى أنّ المؤلفة اختارت أن تترجم بنفسها، ويحدث أحياناً أن يكتنف الغموض بعض خياراتها، كما في قولها على لسان داوتي: «المرأة مسترَقة، وقلبها لا يعرف الترفيه أو التسلية»؛ أو، على لسان بلغريف: «إن الزوجات والنساء غواية خطيرة، وقد خُرِّب كل ثمار الارتباط الأسري والروابط العائلية وهي لا تزال في مهدها».

وهذا جانب يثير بعض الأسئلة حول مراجع المؤلفة ومصادرها، وهذه موزعة على الأعمال العربية، أو الإنكليزية، والأعمال المترجمة، والوثائق، والدوريات. لكن الأعمّ في هذه المصادر هي أعمال الرحالة أنفسهم، التي تحسن الحربي توظيفها في خدمة موضوعات وميادين البحث؛ مع القليل فقط من الدراسات أو الأبحاث التي تقدّم نقاشات نقدية معمقة حول آداب الرحلة عموماً. ومن اللافت على سبيل المثال أنّ المؤلفة لا تلجأ إلى إدوارد سعيد وكتابه الرائد «الاستشراق»، رغم أنه بات مرجعاً لا غنى عنه في قراءة إرث المستشرقين.

ومن جانب آخر فإن المؤلفة لا تبدي إشارات كافية على انتمائها إلى مدرسة نقدية محددة، بل يلوح كثيراً أنها حريصة على الاكتفاء بأداء دور المؤرّخ الراصد لمجموعة نصوص، في كتابات رحالة، ضمن منطقة محددة هي نجد. وليس الأمر غريباً، إذ أن الكتاب يحتل موقعاً طبيعياً ضمن نتاج المؤلفة الذي يدور عموماً حول تاريخ المرأة السعودية على مرّ العصور، وأشهر النساء في نجد، وإسهام المرأة في وقف الكتب. كذلك أصدرت مؤلفات حول تاريخ المملكة، وأخبار الدولة السعودية الأولى والثانية، فضلاً عن كتاب يرصد علاقة المملكة بالأزمة الاقتصادية العالمية.

ومن هنا فإن أهمية بحثها هذا إنما تنبثق من كونها استقرت على رصد صورة المرأة بصفة محددة، خلافاً للتيار الغالب في أبحاث الرحلات الغربية إلى المنطقة، والذي لا يتوقف بصفة إجمالية عند المرأة بقدر ما يناقش النصوص من زوايا اهتماماتها العامة السياسية والاجتماعية والدينية. وهذه سمة جديرة بالإشارة، حتى إذا كان نطاق الدراسة يقتصر على منطقة نجد. جديد آخر جدير بالإشارة هو تركيز الحربي على نظرة الرحالة إلى المرأة، وهذا ميل بحثي يتوازى مع الدراسات الكثيرة التي تناولت آداب الرحلة الغربية، والتي اشتملت أيضاً على موضوع المرأة. وهو تفصيل تنبهت إليه المؤلفة، فأعطت سابقيها إلى الموضوع حقّ الإشارة وتوثيق الجهد.

ومن المتفق عليه إجمالاً أن كتب الرحالة الغربيين قدمت مادة وفيرة عن المرأة في وسط الجزيرة العربية، واختلفت من نصّ إلى آخر وتبعاً لهذا الموقف السياسي والفكري والأخلاقي أو ذاك. وكتاب الحربي محاولة رائدة، على نطاق الدراسات السعودية تحديداً، لضبط تلك النصوص ووضعها في سياقاتها التاريخية المختلفة، وتدقيق المعلومات والتصورات التي قد لا تقتصر نواقصها على القارئ الأجنبي الذي يقرأ النصوص بلغاتها الأصلية، بل تشمل أيضاً القارئ العربي الذي يقرأها مترجمة.

وفي دراسة بهذا الحجم، وهذا النطاق في الموضوعات، قد لا يكون منتظراً من المؤلفة أن تفرد مساحات كافية لاقتراح قراءات نقدية تاريخية ونصّية أكثر تعمقاً وإحاطة ومنهجية. وهذا لا يعني التسامح مع إغفالها منجزات معمقة ومتميزة اقترحتها أبحاث عديدة على سبيل ترسيخ سلسلة طرائق فعالة في المنهجيات النقدية الخاصة بتراث الرحلات الغربية إلى الشرق عموماً، والجزيرة العربية خصوصاً.

دلال مخلد الحربي: «صورة المرأة في رحلات الغربيين إلى وسط الجزيرة العربية»،
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،
الرياض 2020
192 صفحة.

المقال

زياد ماجد

مقتلة الطيونة وأشباح الحروب الأهلية

الطيونة: مزيد من تنامي العدوانية وعودة الخطاب الطائفي والمذهبي

لا عنف طارئاً أو استثنائياً وقع في محلة الطيونة في بيروت مؤخراً على مقربة من خطوط تماس الحرب الأهلية اللبنانية الأشهر، الشياح – عين الرمانة.

فالمقتلة التي أزهقت حياة سبعة أشخاص هناك، بينهم أمّ في مطبخ بيتها وعامل «دليفري» وخمسة عناصر من حركة أمل وحزب الله (كانوا في عداد مظاهرة حمل المئات فيها أسلحة خفيفة ومتوسّطة)، فصل جديد من فصول العنف والانهيار واندثار الدولة في لبنان المستمرة منذ سنوات والمرشّحة للاستمرار، بما يكاد يُنسي مع كل فصل ذاك الذي سبقه ومهدّ له.

وإن كان من لبنانيّين قد هالهم أو صدمهم ما حصل، فذلك لأنهم دفنوا في ذاكرتهم سلسلة أحداث وحروب أصابتهم في العقدين الأخيرين وظهّرت في كل مرّة حدّة العنف والكراهية وفائضهما في مجتمعهم.

فمن اغتيال رفيق الحريري و21 شخصاً في 14 شباط/فبراير 2005، إلى سلسلة الاغتيالات والتفجيرات التي تلته (وسبقته) واستهدفت صحافيين وسياسيين وأمنيين، مروراً بالاشتباكات في بعض أحياء بيروت والمعارك في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في الشمال العام 2007، وصولاً إلى 7 أيار/مايو 2008 واجتياح حزب الله لعدد من مناطق العاصمة وقرى الجبل وإسقاطه بالقوة حكومة فؤاد السنيورة، وانتقالاً إثرها إلى الاقتتال في صيدا وفي الأحياء الشعبية في طرابلس بين شبّان جبل محسن والتبّانة بين العامين 2009 و2014، التي تخلّلها واستمرّ بعض منها ولغاية العام 2018 انخراط آلاف مقاتلي حزب الله في الحرب الطاحنة في سوريا دفاعاً عن نظام الأسد وخدمةً للسياسة الإقليمية التوسّعية الإيرانية في المنطقة، توالت فصول العنف والقتل في لبنان أو بواسطة لبنانيين وأودت بحياة مئات الأشخاص. ولا يخرج عن السياق العنفي هذا عدد الانهيار المالي والمصرفي الذي نهب أملاك الناس ومدّخراتهم، وعنف الانفجار الإجرامي في مرفأ بيروت صيف العام 2020 الذي قتل وجرح وشرّد الآلاف ودمّر أحياء في العاصمة، وعنف الجيش والقوى الأمنية وعناصر حزب الله في اعتداءاتهم على المتظاهرين والمعتصمين منذ بدء الانتفاضة الشعبية اللبنانية العام 2019، وعنف الاشتباكات قبل أشهر قليلة في خلدة بين الحزب الشيعي إيّاه ومسلّحين في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في الشمال العام 2007، وصولاً إلى 7 أيار/مايو 2008 واجتياح حزب الله لعدد من مناطق العاصمة وقرى الجبل وإسقاطه بالقوة حكومة فؤاد السنيورة، وانتقالاً إثرها إلى الاقتتال في صيدا وفي الأحياء الشعبية في طرابلس بين شبّان جبل محسن والتبّانة بين العامين 2009 و2014، التي تخلّلها واستمرّ بعض منها ولغاية العام 2018 انخراط آلاف مقاتلي حزب الله في الحرب الطاحنة في سوريا دفاعاً عن نظام الأسد وخدمةً للسياسة الإقليمية التوسّعية الإيرانية في المنطقة، توالت فصول العنف والقتل في لبنان أو بواسطة لبنانيين وأودت بحياة مئات الأشخاص. ولا يخرج عن السياق العنفي هذا عدد الانهيار المالي والمصرفي الذي نهب أملاك الناس ومدّخراتهم، وعنف الانفجار الإجرامي في مرفأ بيروت صيف العام 2020 الذي قتل وجرح وشرّد الآلاف ودمّر أحياء في العاصمة، وعنف الجيش والقوى الأمنية وعناصر حزب الله في اعتداءاتهم على المتظاهرين والمعتصمين منذ بدء الانتفاضة الشعبية اللبنانية العام 2019، وعنف الاشتباكات قبل أشهر قليلة في خلدة بين الحزب الشيعي إيّاه ومسلّحين في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في الشمال العام 2007، وصولاً إلى 7 أيار/مايو 2008 واجتياح حزب الله لعدد من مناطق العاصمة وقرى الجبل وإسقاطه بالقوة حكومة فؤاد السنيورة، وانتقالاً إثرها إلى الاقتتال في صيدا وفي الأحياء الشعبية في طرابلس بين شبّان جبل محسن والتبّانة بين العامين 2009 و2014، التي تخلّلها واستمرّ بعض منها ولغاية العام 2018 انخراط آلاف مقاتلي حزب الله في الحرب الطاحنة في سوريا دفاعاً عن نظام الأسد وخدمةً للسياسة الإقليمية التوسّعية الإيرانية في المنطقة، توالت فصول العنف والقتل في لبنان أو بواسطة لبنانيين وأودت بحياة مئات الأشخاص. ولا يخرج عن السياق العنفي هذا عدد الانهيار المالي والمصرفي الذي نهب أملاك الناس ومدّخراتهم، وعنف الانفجار الإجرامي في مرفأ بيروت صيف العام 2020 الذي قتل وجرح وشرّد الآلاف ودمّر أحياء في العاصمة، وعنف الجيش والقوى الأمنية وعناصر حزب الله في اعتداءاتهم على المتظاهرين والمعتصمين منذ بدء الانتفاضة الشعبية اللبنانية العام 2019، وعنف الاشتباكات قبل أشهر قليلة في خلدة بين الحزب الشيعي إيّاه ومسلّحين في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في الشمال العام 2007، وصولاً إلى 7 أيار/مايو 2008 واجتياح حزب الله لعدد من مناطق العاصمة وقرى الجبل وإسقاطه بالقوة حكومة فؤاد السنيورة، وانتقالاً إثرها إلى الاقتتال في صيدا وفي الأحياء الشعبية في طرابلس بين شبّان جبل محسن والتبّانة بين العامين 2009 و2014، التي تخلّلها واستمرّ بعض منها ولغاية العام 2018 انخراط آلاف مقاتلي حزب الله في الحرب الطاحنة في سوريا دفاعاً عن نظام الأسد وخدمةً للسياسة الإقليمية التوسّعية الإيرانية في المنطقة، توالت فصول العنف والقتل في لبنان أو بواسطة لبنانيين وأودت بحياة مئات الأشخاص. ولا يخرج عن السياق العنفي هذا عدد الانهيار المالي والمصرفي الذي نهب أملاك الناس ومدّخراتهم، وعنف الانفجار الإجرامي في مرفأ بيروت صيف العام 2020 الذي قتل وجرح وشرّد الآلاف ودمّر أحياء في العاصمة، وعنف الجيش والقوى الأمنية وعناصر حزب الله في اعتداءاتهم

السيد حسن نصر الله، جديداً معيشياً أو أمنياً مختلفاً عن المصائب والجرائم المتراكمة التي شهدها لبنان في عقدين من الزمن.

الجديد، أو المستجدّ في ما حصل، هو في الحقيقة في موضع آخر: في مدلولاته السياسية وفي التداعيات المحتملة الناجمة عنه. ويمكن هنا التوقّف عند ثلاث مسائل بالغة الأهمية والدلالات.

الأولى، أن ما جرى شكّل أوّل صدام ميداني مباشر بين حزب الله (وحركة أمل) من جهة وقوّة سياسية وشعبية (تملك بنيةً أمنية وذاكرة عسكرية) مسيحية من جهة ثانية (ولو أنها، أي القوّات، لم تعلن صراحةً مسؤوليّتها)، بعد أن كان اشتباك الحزب يقتصر في السنوات السبع عشر السابقة على مجموعات (جلّها غير مدرّب) سنّية (ومرّة وحيدةً درزية). وهذا يعدّل جدّياً في توازنات كان يعدّ أنه حيّد المسيحيّين عنها واتّخذ من بعضهم غطاءً له في الشارع كما في مؤسسات الدولة ورئاسة جمهوريتها. وربطاً بذلك، بدا في ما جرى أن ثمة بين القوى المسيحية المنظمة من بادر إلى استخدام السلاح ليرسم حدوداً جغرافية طائفية يُمنَعُ المتظاهرون والمسلّحون الشيعة من تجاوزها أو من اعتبارها أرضاً مباحةً لهم أو أقلّه محايدة تجاههم.

وفي الأمر ما يضع الحزب الشيعي في مواجهة ادّعاءاته كحامٍ للمسيحيين وللسلم الإهلي، ويُضيف إلى رافضي سلاحه وسطوته قوى صارت جاهزة للتمثّل به والبحث عن تسلّح وتدريب وتنظيم لمُجابهته. وفي الأمر أيضاً ما يوهن رئيس الجمهورية ميشال عون وفريقه ويُضعف موقفه (البليد أصلاً) بعد أن ظنّ أنه استعاد عبر صُهره جبران باسيل زمام المبادرة لحظة تشكيل حكومة رجل الأعمال نجيب ميقاتي. وفيه كذلك ما يوهن رئيس المجلس النيابي نبيه برّي الذي تضيق هوامش المناورة أمامه كلّ ما تفاقم الاصطفاف المذهبي في الشارع، إذ يصبح وجمهوره ملحقَين بحزب الله وبعباءة أمينه العام.

المسألة الثانية تتّصل بأهداف المظاهرة التي دعا إليها الثنائي الشيعي، والتي رفع مئات الشبّان فيها بنادقهم وقاذفاتهم الصاروخية، وساروا باتجاه قصر العدل، حتى قبل أن يفتح قنّاصةٌ النيران عليهم وعلى غيرهم. فبعد حملة تهديد مبطّن أولاً ثم سافرٍ لاحقاً قادها أمين عام حزب الله ضد التحقيقات القضائية في جريمة تفجير مرفأ بيروت، اتّخذ رفض مثول حلفاء للحزب أمام القضاء بُعداً جديداً عبر الحشد في الشارع وشهر السلاح والتلويح به وشحذ العصبية المذهبية واستجلاب نظريات تآمر واستهداف. وفي هذا ما يظهّر رفض حزب الله لتحقيقات لبنانية كان في السابق ينادي بها لتبرير رفض التحقيقات الدولية في تفجير الحريري وسواه، مما يعني ببساطة أنه ضد أي تحقيق في جرائم في لبنان، إن لم يكن هو المحقّق والمقرّر في هوية المتّهمين بارتكابها. والمسلك المذكور يَحُول بالطبع دون إعمال المساءلة والمحاسبة ويحمي حصانة المرتكبين ويساهم في إبقاء البلد أرضاً للإفلات من العقاب القانوني ولتنفيذ الجرائم دون خشية النتائج والتبعات.

أما المسألة الثالثة، فعلى علاقة بمعنى الحرب الأهلية في بلد مثل لبنان اليوم. ذلك أن الشكل القديم للاحتراب والتموضع في مناطق مسيّجة بخطوط تماس بات متعذّراً، لأن الديموغرافيا وجغرافيّاتها تبدّلت وتداخلت، ولأن الحزب الشيعي المدجّج بالأسلحة قوة ضاربة ولو أن غرور القوة يمكن أن يوقعه في مطبّات وكمائن كبيرة، ولأن لا بنية اقتصادية داخلية لحرب طويلة في لبنان، ولأنه أخيراً لا قرارات في الظرف الإقليمي والدولي الراهن يمكن أن تدفع لتأسيس بؤرة اقتتال متواصل ومرتفع الكلفة (أي أبعد من تفجير هنا أو معارك متفرّقة ومحدودة هناك).

لكن ثمة، في المقابل، أشكال جديدة للحرب، فيها ما ذكرناه بدايةً وما وقع في الطيونة وما خبره اللبنانيون لسنوات طويلة، وفيها استمرار الإفقار والتهتّك والخراب الاقتصادي والمالي وما ينجم عنه من مآسٍ فردية وجماعية، وفيها المزيد من الانقسامات وتنامي العدوانية وعودة الخطاب الطائفي والمذهبي للتصاعد بعد أن حاصرته الانتفاضة الشعبية وجيلها على مدى أشهر خلال العامين 2019 و2020. وفيها فوق ذلك أشباح حرب وكتّاب تحريض وسكاكين، بعضهم محترف في صحف وفي منابر إعلامية، وبعضهم الآخر تُطلق العنان لهتافاته وحميّته وسائل تواصل اجتماعي تتحوّل مواضع فجور وهذيان جماعي.

والأشكال الحربية «الحديثة» هذه جميعها مرشّحة للتمدّد في لبنان، طالما أن ثمة فيه من يعدّ نفسه في مرتبة أعلى من الناس ومعاناتهم الحياتية وأعلى من القوانين والمؤسسات والمصالح الوطنية...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

عيدنا الوطني

نادية هناوي

يُقال إن رجلاً كانت مشكلته الخطأ في اختيار التحية التي تلائم الوقت المناسب لها، فتجده يُحيي بـ«صباح الخير» بينما شمس الظهيرة في كبد السماء أو يُحيي بـ«مساء الخير» بينما شمس الصباح ما زالت في أولها. وكثيراً ما كان يبادر ذاك الذي يتلقى التحية مصححاً للرجل تحيته بدل أن يقوم بردها. وصار تكرار هذا الأمر مؤرقاً له حتى احتار كيف يوقت تحيته توقيتاً لا تصحيح معه. وزاده الأمر إيلاماً أنّ الخطأ في توقيت التحية يجعله في موضع التندر حيناً والإشفاق حيناً آخر، ونادراً ما كان يمر خطأ توقيت التحية من دون تندر ولا إشفاق.

وبمرور السنين صار الأمر معتاداً بالنسبة إلى الرجل الذي ما عاد يثيره أي تندر أو إشفاق ولم تعد تظهر على محياه أية علامة امتعاض سواء صُححت له التحية أو لم تصحح. وذات يوم نصحه أحدهم ويطيب خاطر أن يجعل تحيته «السلام عليكم» فهي تحية الإسلام أولا وهي تصلح لكل الأوقات ثانيا وبلا حاجة إلى مضاعفة أو إبدال. ومن وقتها والرجل يحيي الآخرين بهذه التحية فلا يردون عليه إلا بأحسن منها أو مثلها. وولى ذاك الزمان الذي كان فيه التندر والإشفاق توأمين يظهران في عيون من يبادر إلى تحيتهم. أسوق هذه الحكاية للتمثيل على حالنا نحن العراقيين مع أزمة توقيت «العيد الوطني» الذي صار يتبدل مع تبدل الأنظمة والحكومات. فكل حكومة تأتي تفاجئنا بأنها اختارت لنا يوما تمنحنا بموجبه «عيدا» كما تشتهي وتعززه بعطلة رسمية لإشعارنا بأهميته، حتى بدد أمر التبديل في المواقيت وكثرة التلون في الاختيار إحساسنا بأن لنا بالفعل عيداً وطنياً.

وهذا الإشكال في اختيار العيد الوطني يجعلنا نتساءل لماذا تتخالف مواعيده مع اختلاف الحكومات، وهو أمر لا يحصل في أمم تحترم مناسباتها الوطنية، واحترامها ينبع من الاحترام الجماعي لها من لدن شعوبها؟

بالنسبة إلى حالتنا العراقية، فإن اليوم الذي لا اختلاف حوله شعبياً ولا تنازل عنه مبدئياً ولا تبديل فيه تاريخياً هو يوم انطلاق شرارة ثورة العشرين في 30 حزيران (يونيو) 1920 لتكون هي الثورة الكبرى والعارمة التي فيها توحّد العراقيون من أقصى بلادهم إلى أقصاها على كلمة سواء، مطالبين بانتهاء عهود الظلم والاضطهاد، مشعلين من شرارة التنوير سراجاً منيراً متقداً، ظل العراقيون يقيسون منه ثوراتهم وانتفاضاتهم وتظاهراتهم اللاحقة على مدى مئة عام، وكان آخرها تظاهرات 2019 التي فيها استعاد الشباب المنتفض شعارات الأجداد والجدات مستمدين منهم أوار المقاومة من أجل استرداد الحقوق.

وما زلنا إلى يومنا هذا ونحن نتباهى بالثورة العراقية الكبرى التي انتصرت على الإمبراطورية التي لا تغيب عن أراضيها الشمس وكبدتها خسائر فادحة، جعلتها تعيد من جديد حساباتها إزاء شعب عنوانه البطولة ومضمونه تاريخ سومر وأكد وبابل حتى أن ما توارثناه في مخيلة عقلنا الجمعي صار بمثابة وهج يستنهض في دواخلنا محبة وطننا كلما ضاقت بنا السبل وتلبدت سماؤنا وتضعضعت صفوفنا بفعل فاعل أجنبي أو بفعل أذناب الأجنبي وخدّامه الأذلاء.

وما دمنا لا نختلف نحن العراقيين على ثورة العشرين، فلماذا لا تكون هي عيدنا الوطني الذي فيه نستذكر بطولات غلبت خططاً إستراتيجية ونستلهم صولات واجهت أسلحة لم تكن لتُعرف آنذاك موادها ومكوناتها وهو ما أذهل المحتل الاجنبي.

وما من عيد هو عيد بمعنى الكلمة، ولا وطنية تنسب إلى عيد أو تضاف إليه سوى ذاك اليوم الذي صنعه العراقيون جميعا بأيديهم صناعة سومرية بالطين الحري وفي حوزتهم إيمانهم بالله وثقتهم بتاريخهم وقوة ما لديهم من عزيمة وآباء، فاجتمع المسلم والمسيحي والعربي والكردي وتعاضد المولد مع التعزية والعمامة مع السدارة والبشماغ واشترك ابن المدينة مع ابن الريف وابن البادية وتنافست الأمهات والأخوات والبنات على نظم الأشعار وابتكار الهوسات من أقصى كردستان وتلعفر وشارع الحيدرخانة إلى عانة وخان ضاري والسماوة والجبايش والنجف والحلة والكفل والكوفة والرارنجية.

ومن منا نحن العراقيين لا يحفظ عشرات القصص والحكايات التي فيها لكل مدينة وناحية وقضاء وقبيلة نصيب، به تفتخر تباهياً وزهواً فضلا عما نحفظه من أهزوجات قيلت في هذه الثورة وكان للمرأة العراقية مواقف مشرفة فمنهن من قاتلت واستشهدت ومنهن من حرضت على الفداء وساهمت في صنع النصر ومنهن من أنشدت الأهازيج والهبت العزائم وشدت الأزر.

فليس غير يوم 30 حزيران (يونيو) يوماً نصفه بأنه عيد وطني.. وهل صنع العراقيون يوما مثل هذا اليوم الذي كشفوا فيه عما هو مكتنز في أعماقهم من تاريخ البطولة وذاكرة عريقة بالقيم العالية.. وكيف يمكن للحكام وحكوماتهم ـ أيا كانت مدنية أم عسكرية أم ما بين الاثنين عرفية وغير عرفية ـ أن تختار للعراقيين عيدا بديلا، وكل واحدة منها تلعن أختها التي قبلها ناكثة باليوم الذي اختارته عيدا بمزاجها ومشيئتها؟ وإلى متى يصادر الحكام خيارات شعوبهم وينوبون عنهم في اتخاذ قرارات بلا استبيان جماهيري أو استفتاء شعبي؟

بالطبع ليس أمام شعب لا تكترث حكوماته بخياراته ولا تعبأ برأيه سوى أن يتقبل الأمر باللاكتراث نفسه. وها نحن نرى الأيام التي اختيرت تأتي وتذهب كأي يوم إجازة يرتاح فيه المرء من عناء العمل وزحمة الطرق ليوم.

فاختير يوم 3 تشرين الأول (أكتوبر) فجأة ليكون عيداً كسابقاته من الأيام التي اختيرت قبله أعني يوم 23 آب (أغسطس) يوم تتويج الملك فيصل الأول على العراق ويوم 14 تموز (يوليو) الذي هو أقرب للانقلاب منه للثورة ويوم 17 تموز الذي كان خلاصة مجموعة تدابير سابقة فيها من التواطؤ ما ليس للشعب دخل فيه.

والحجة في اختيار يوم 3 تشرين الأول (أكتوبر) هي دخول العراق عصبة الأمم مع أن الكل يعلم أنه دخول مشروط بدخول معاهدة عام 1930 المذلة مع بريطانيا حيز التنفيذ، وهي المعاهدة التي رفضتها القوى الوطنية العراقية وكافحت من أجل إسقاطها ليكون الاستقلال منزوع المحتوى أصلا بهذه المعاهدة التي فُرضت بمناورات المحتلين واذنابهم عبر تقريب المعارضة الوطنية واسناد الحكومة إلى بعض فئاتها، ولكن تلك المناورات لم تنطل على أحرار العراق فقد أسقطوا بكفاحهم خمس حكومات متتالية ما بين الانتهاء من الاتفاق على المعاهدة وبين دخول العراق إلى عصبة الأمم والذي بموجبه سرت تلك المعاهدة المذلة.

ولا خلاف إذا قلنا إن الذي يجعل أي يوم من الأيام عيداً هو ما يؤججه في النفوس من مشاعر خاصة، يعبر عنها بطقوس لا تمارس في أي يوم غيره. وهكذا كانت أعياد السومريين والبابليين والأشوريين أعيادا صنعها الشعب نفسه وحدد شكل الاحتفال بها وابتكر الطقوس المرافقة لها كعيد انانا الذي فيه يحتفل البابليون بالحصاد والخصوبة وتقام فيه احتفاليات مقدسة وكذلك عيد اكيتو الذي يحتفل فيه بالقمر والشمس والربيع ويستمر لمدة اثني عشر يوما.

ومن حسن الحظ أن الأعياد التي تختارها الشعوب هي التي تبقى على مر الدهور والحقب، أما الأعياد التي يختارها الأقوياء السلطويون ـ حكاما كانوا أم برلمانيين ـ مصيرها الذوبان والتلاشي. وكم احتفى النظام الصدامي بعيد 17 تموز وكم كانت تسخر له الإمكانات وتهيئ له كل المقومات وتمارس فيه مختلف البدع والفذلكات ومع ذاك ذهب بمجرد ذهاب ذاك النظام، والسبب أن الأعياد الوطنية لا تُقسر قسرا كما لا ينفع في ترسيخها الترغيب والترهيب.

ونتساءل لماذا لم تُبدل الأمم الغاشمة – التي صنعت عصبة الأمم – تواريخ أعيادها الوطنية حين دخلت تلك العصبة/ الوكر؟ ولماذا يتوجب علينا أن نقدم فروض الامتنان لمن استعمرنا ولا ننظر إلى أنفسنا بوصفنا أسياد بلادنا، مقدمين شكرنا وإجلالنا لأولئك الأجداد الذين ثاروا ثورة رجل واحد معبرين عن لحمتنا الوطنية الواحدة؟ وكيف نقبل تقديم فروض العرفان لمنظمات معروف من يرعاها ويهيمن عليها وننسى من قاوم المحتل ولم يرد من وراء ذلك تاجاً ولا صولجاناً إنما أراد عراقاً حراً لا احتلال فيه ولا انتداب؟

كاتبة من العراق

موسم قطف الزيتون في فلسطين

بدأ الفلسطينيون قطف الزيتون في تشرين الأول/اكتوبر الجاري وهو الموسم السنوي لقطف ثمار هذه الأشجار التي يبلغ عددها في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة نحو 8.5 ملايين شجرة.

وعادة ما يتعرض قاطفو الزيتون إلى اعتداءات ومضايقات من قبل المستوطنين الإسرائيليين، خاصة في الضفة الغربية، حيث أطلقت حملات وطنية لحماية المواقع التي تتعرض للاعتداءات.

وخط مستوطنون إسرائيليون، الأربعاء، شعارات عنصرية، واقتلعوا المئات من أشجار الزيتون، شمالي الضفة الغربية.

وقال غسان دغلس مسؤول ملف الاستيطان، شمالي الضفة (حكومي) إن مستوطنين اقتلعوا مئات أشجار الزيتون، من أراضي بلدة عورتا جنوب شرق مدينة نابلس (شمال).

وتُشكل مبيعات الزيتون والزيت ما نسبته ١ في المئة من الدخل القومي العام، حسب إحصائيات فلسطينية رسمية.

أداب وفنون

فضاء أرضه ممهدة لاستقبال البذور: الفراغ المهدور في الأدب

إبراهيم محمود

هناك شكوى لا تُخفى لدى الخاصة والعامة، وبنسَب متفاوتة من الفراغ، تحيله ربما إلى الخصم أو العدو «رقم واحد» للطرفين: فراغ في الحياة، حديث عن الكلام الفارغ، عن النص الفارغ أو المفرَّغ من المحتوى، إشارة إلى أحدهم بأنه «فارغ»، وحتى توصيف مجتمعات بأنها «فارغة»... ويبدو أن هناك سلاسل طويلة وأنساب للفراغ، أو تُهَم لبِّس بها الفراغ. ويبقى للأدب بوصفه إبداعياً نشأة في الواجهة، فهو وإن سليل واقع ما، ولكنه مجاز بدمغة خيالية معينة.

ثمة إدارة سيئة التكوين لإدارة المفهوم. فما نشكوه ونشكو منه ليس الفراغ بعلامته الفارغة سلبياً، وإنما العجز عن إقامة علاقة مع الفراغ نفسه، إذ من خلاله يضاء عالم معتم داخلنا لا نعبأ به.

المعاناة من الملء، من عدم ضبط العلاقات بينه والفراغ الذي يعمّد مجمل ما نقوله ونقوم به، وفي عالم الكتابة، وفي الإبداع سمِّ وافر له. فثمة أكثر من «جريمة» تُرتكب باسم الفراغ، وحيث تتمثل مقدرة الكاتب الفعلية في كيفية مكاشفة الثراء الجمالي والوظيفي فالقيمي للفراغ، هذا الذي لم يكن يوماً مفارقا لنا. إنه يتنفسنا، بقدْر ما يترجم سلوكياتنا ويجلو بواطننا كثيراً.

لنُشِر إلى مدى التقابل بين النص النسيج في الأجنبية، النص Text، والنسيج Texture. أن يكون النص نسيجاً، هو تحصيل حاصل، لكنه تشبيه يعرّي جوانب حيّة فينا (رولان بارت في «لذة النص» ربط بين الجسد والنص، الجسد نفسه مفهوم نسيجي، فاعل حيوي في تعزيز مقولة، أو فكرة أو نفيها أو إضعافها. هكذا تصرف جاك دريدا في مستهل «صيدلية أفلاطون»).

في الحالتين، يمكن للمشهد الجسدي الحي والسليم بطبقاته أن يعيننا في تقريب مكانة الفراغ وخطورته، أي حيث يكون الجسد مأخوذاً بمساماته، جلده الذي يحوطه ليكون فاعلاً ومنفعلاً. إنه تنفيسه وتنفّسه، ودونه لا إمكان للحياة إطلاقاً. وفي ذلك فعل «بيان وتبيين» إن جاز استخدام التشبيه العربي القديم، في إضاءة واقعة دلالية كهذه. فأي لباس نرتديه يكتم أنفاسنا!

النص نسيجاً، هو أن يتضمن قدراً كافياً، وبما يتناسب وطبيعة الفكرة المطروحة فيه، من المسافات التي تسمح بقراءته، برؤيته ورؤيته الخاصة، ويخرج عن نطاق المتداول، ويكون هناك مجتمع متخيل، جواز مرور إلى الزمن الممتد إلى المستقبل.

الفراغ المهيب اسماً، العظيم أثراً، هو الذي يصل ما بين مختلف النصوص الإبداعية في الأدب: شعراً، ونثراً، وهي التي تنسَب إلى المستقبل، انطلاقاً من تلك الفراغات التي جرى تأكيدها. وعلي أن أشير هنا إلى أن مفهوم الأدب بمحتواه القيمي عربياً لازال مثقلاً بما هو أخلاقي، وليس ما يمنح الفرد خصوصيته، وحق التعبير عن ذات ناطقة باسمه، بالمعنى الجمالي هنا طبعاً.

الحديث عن نصوص معينة، في مضمار النص: النسيج، وما يمكن للنسيج أن يؤطّر خيالنا في بنية علاقة محلية، حيث التعامل مع أشخاص معينين بقياساتهم الجسمية، لا بد أن يشار هنا أن رهان الكاتب المبدع هو في كيفية ورؤيته الخاصة، ويخرج عن نطاق المتداول، ويكون هناك مجتمع متخيل، جواز مرور إلى الزمن الممتد إلى المستقبل.

الفراغ المهيب اسماً، العظيم أثراً، هو الذي يصل ما بين مختلف النصوص الإبداعية في الأدب: شعراً، ونثراً، وهي التي تنسَب إلى المستقبل، انطلاقاً من تلك الفراغات التي جرى تأكيدها. وعلي أن أشير هنا إلى أن مفهوم الأدب بمحتواه القيمي عربياً لازال مثقلاً بما هو أخلاقي، وليس ما يمنح الفرد خصوصيته، وحق التعبير عن ذات ناطقة باسمه، بالمعنى الجمالي هنا طبعاً.

الحديث عن نصوص معينة، ومن لغات مختلفة، يعني وجود قاسم مشترك للإبداع، وهو قاسم يمضي بنا إلى عالم المكتوب والمعزَّز بفراغات هي مسافات تسمح بالقراءة، برؤية الخفي، ومن ثم بمكاشفة العميق الغور في هذا النص أو ذاك، أي وجود فراغات هي جيولوجيا المعاش ثقافياً.

بغية إيصال المعنى وتوسيع نطاق عمله، يشار إلى السلّم الموسيقي، فهو ليس أكثر من ملء وفراغات، دون ذلك لا اهتزاز للأوتار، والاهتزاز يسمّي الفراغ الواهب المعنى للصوت، حتى في ملامس البيانو التي تحتفظ بفراغات تسمح باستعمالها وإسماع أصوات معينة. كما يشار إلى جمالية الرسم ومأثرة المعنى وذاتقته، حيث يكون الملء والفراغ فاعلين، جهة العلاقات بين توزيع الألوان، وحدود انتشارها، وطبيعة نثر اللون بالريشة...الخ، كما يفصّل في ذلك فرانسوا شينغ.

والنص لا يعدو أن يكون نسيجاً لونياً متخيلاً، والرسم نصاً مقروءاً متخيلاً.

رولان بارت

في بنية هذا المفهوم المُساء إليه نشأة وتوظيفاً وتوصيفاً: الفراغ، يمكن الحديث عن الاختلاف الذي يصل من ناحية ما بين كاتب وآخر، ويقيم فصلاً بينهما، جهة المميِّز لدى كل منهما.

أترك الأسماء الدالة بجنسياتها المختلفة وأزمنتها التاريخية. حسبي الإشارة إلى نقطة مهمة قاتلة أحياناً هنا، تمس الفراغ بالذات، وهي في التأكيد المسلّم به بصدد النص المتضمن لما لا يحاط به من التصورات، أو حالات التناغم، وهي تتعايش معاً في المجتمع «النصي». والناقد حين يشهد على براعة نص ما، يسمّي فيه أبعاده التضاريسية وتنوع العوالم والرموز المتصادمة، والتي تضمن وحدها جواز ولادة النص الإبداعي، ومن ثم انتشاره واستقطاب قراء من لغات شتى.

إن بدعة الفراغ هنا تتأتى في إتيانه لما يصدم الفراغ الذي يستهلك عامته وحتى خاصته في المجتمع. فراغ المبدع غير فراغ المستهلك اليومي. إنه يقوم على النقيض. إنه ينبِّه، يحرج، يربك، يستفز، وربما يستثير عالَما داخلياً بكامله. وفي وسع أي كان النظر في تلك الأعمال الأدبية من شعر، رواية، قصة ومسرحية، وكيف أنها بطابعها الصدامي العميق تمارس تصديعاً في أرض الواقع القاحلة، أو حيث يكون الناس نوّماً أو شبْه ذلك، أي ما يعدِم الفراغ أصلاً.

ما الذي يشدنا إلى نص دون آخر، ما الذي يثير فينا حماس القراءة لهذا النص أو ذاك، وكذلك الترويج له، أو الإشادة به؟ إنه انسكاننا بالفراغ المبصر، بـ«دودة» الفراغ الأرضية التي تمارس تنفيساً من الداخل، وتسمّي فينا ذائقة مغايرة للسائد، وتوقنا إلى مجتمع يتاخم المؤلَّف نصياً.

إن التشهير بنصوص تمتلك قامات تصلها بالشمس ولا تطال لسموها الجمالي، وفي مجتمعات تنغلق على ذاتها وهي طوع زمن كهفي، لا يخفي مدى خوف القائمين بذلك، حيث تتهدد قيم يحرَص على بقائها نظراً لعائدها الوظيفي والتقليدي طبعاً. وما في ذلك من تمييز كبير بين مجتمعات تراهن، بنسبة لافتة، على خصوبة فراغات تضيء ما هو معتم داخلها، لتبصر غدها أكثر، أي وهي تعيش حيوية الزمن المختلف وتدابيره الموشورية وكثرتها كما هو اليوم، ومجتمعات تساكن، بنسبة لافتة كذلك، فراغات معهودة، موقوفة في زمن كان حصراً.

إن الاحتفاء بالنصوص الإبداعية، تأكيد حي على سباق الزمن المستجد، والاعتراف القانوني نفسه بأن المجتمعات التي تريد أن تأمن على نفسها في البقاء لزمن طويل، ويشار إليها بالبنان، هي التي تسجّل اعترافاً مستمراً بالفراغ الذي ينتمي إليها، أو تعرَف من خلالها: الفراغ الحيوي، فراغ «الهندسة الفراغية» الذي يقود إلى أجواز الفضاء، وفراغ النسبية الذي يعطي لأي كان، في أن يستثمر قواه الحية، طاقته «الروحية» وينمّي الجسد المجتمع قدر استطاعته.

وللغة أن تقول شهادتها في ذلك، لغة من يتكلم، والزمن المسجَّل في كلامه، ووجهته، والمجال الاجتماعي والنفسي والثقافي الذي يضاء من الداخل، فهي التي تكون الدالة الكبرى على الفراغ في مردوده السلبي والإيجابي، وهي الذاكرة المحمولة في مفرداتها وكيفية توظيفها ومن هم الذين يحرصون عليها، أو يحرسونها، كما هو مجرى الخطاب السياسي القائم والموجه. وليس من شك في أن أيّ ممعن نظر في لائحة المحظورات التي يعرَف بها مجتمع دون آخر، لا بد أن يدرك في الحال جنسانية الفراغ المعتمد، وأي رصيد قيمي، معرَّف به، وتسمية زمنه ووجهته بالمقابل.

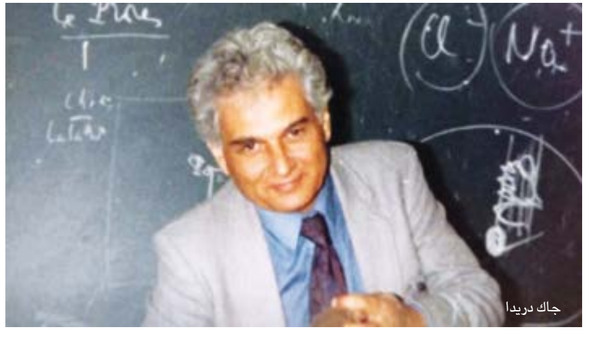
جاك دريدا

بين التنوير والتدمير صناعة العنف والجنس في الفيلم الروائي

مروان ياسين الدليمي

منذ البواكير الأولى لإنتاج الأفلام السينمائية كان هناك نزوع لدى صناع الأفلام إلى يكون لمشاهد العنف والعلاقات الحميمة حضور في السيناريو، ومع دوران عجلة الإنتاج وجدنا ان السينما الغربية، وفي مقدمتها الأمريكية، قد كرست تقليدا ثابتا في معظم الأفلام التي تنتجها باحتوائها على مشاهد عنيفة وحميمة، حتى بات الكثير منها بغاية الابتذال، بل هي في أسلوب تقديمها أبعد ما تكون عن اعتماد الايحاء، وبدا التعامل مع هاتين المفردتين، وكأن لاشيء يحد من اباحتهما في الواقع، مثلما هما مباحان على الشاشة، ولا نغالي إذا ماقلنا بأن التأثير والتأثر بقدر ما كان متبادلا بين الواقع والشاشة إلاّ أن تأثير السينما على الواقع بهذا الخصوص بات أكثر سطوة، وهذا يعود إلى ان التنميط المحرر بحرفية عالية في التعامل مع هذه المشاهد أمسى جزءا أساسيا من تقنيات بناء الفيلم الروائي، ولم يعد ممكنا لدى شركات الإنتاج الاستغناء عنه إذا ما اريد للشريط السينمائي ان ينتظم بماهية درامية معبأة بقدر عال من التأثيروالجاذبية عبر مشاهد بغاية الاتقان في عنفها واباحيتها، بهدف استقطاب اهتمام المتفرج، وابقائه ملتصقا على كرسيه، بغض النظر عن بيئته ومستواه الثقافي. ومن ناحية أخرى فإن السينما في العالم العربي خاصة في مصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب، قد انساق العديد من نتاجها إلى استنساخ هذا التنميط الغربي وإن كان خجولا.

وواقع الإنتاج السينمائي يشير إلى ان هذه المشاهد تحولت إلى خبرة متراكمة لدى الجهات التي تقف وراء صناعة الفيلم، يراد من خلالها ان تتقوقع أحاسيس المتلقي في مجال ضيق من التفكير، نتيجتها انها تحد من تحفيز مدركاته الذهنية والحسية، ليبقى مسكونا بسخونة غريزتي الجنس والعنف، حتى انه ما عاد ممكنا التخلي عن ادراجهما ضمن مشاهد الفيلم، طالما الهدف الأكبر لشركات الإنتاج ضمان التسويق وتحقيق الأرباح من خلالهما.

السؤال الذي يطرح بهذا الشأن: هل إن هذه المشاهد لا يمكن الاستغناء عنها؟

الإجابة تفرض علينا اكتشاف النتائج الدرامية في ما لو اقتطعناها من الأشرطة السينمائية واستبعدناها، عندها ستتوفر أمامنا الفرصة لنتأكد، إلى أي مدى سيؤثر غيابها على بنية الفيلم، وهل ستنقطع عملية التواصل مع المتلقي؟

لربما تتأثر أعداد محدودة جدا من الأفلام إذا ما خضعت لهذه التجربة، وهناك أمثلة على ذلك أجنبيا وعربيا، وهذا يعود إلى ان هذه المشاهد غدت تمثل ركيزة أساسية في بناء الأحداث وتطوّرها، ومن غير الممكن الاستغناء عنها. والأفلام التي لا يمكن فيها الاستغناء عن مشاهد الحميمة والعنف، عادة ما يلجأ مخرجوها إلى تقديمها بطريقة فنية يتم فيها تداول التفاصيل بطريقة تميل إلى الايحاء من غير حاجة إلى الافراط في استعراض العري الجسدي والبذخ في تقديم الإثارة الجنسية أو الإسراف في تصوير العنف، لان هدفهم ليس إعادة استنساخ الواقع بشروطه، بقدر ما يتطلعون إلى الانزياح به إلى منطقة الدراما ليتضبط في بنيته الفنية مع ما يهدف إليه خطاب الفيلم من أفكار يسعى إلى إيصالها، أما الأفلام الأخرى فلن يتأثر مستواها الفني بشطب تلك المشاهد، لانها من حيث القيمة الفنية من الصعب ان تدرج في خانة الفيلم السينمائي، بقدر ما هي سلعة استهلاكية ذات خامة رخيصة جدا، مطروحة للبيع وفق المعايير التي يفرضها السوق، وهذا يتقاطع تماما مع الأفلام التي تطرح التساؤلات التي تمثل هاجس قلق لدى الإنسان يعجز عن إيجاد إجابة عليها لانها تتعلق بحياته ومصيره ومستقبله وما ينبعث في داخله من مشاعر واحاسيس، طالما هو منخرط في تشعبات دراما الحياة، وعادة ما تشكل العلاقات الحميمة واحدة من القضايا الأساسية التي تحدد حياته العاطفية، أما العنف فعلى صخرته تتحطم أحلام الناس، لكن للعنف صور شتى في الحياة الإنسانية ليست ظاهرة، هي أشد قسوة وبشاعة من الأشلاء التي تخلفها المعارك على الشاشة على اعتبار انها محاولة لاستنساخ الواقع. واضح جدا ان الضرر على طرح هذه المشاهد في غالبية الأفلام يندرج في منهج ستراتيجي مرتبط بجذب المشاهدين، وهنا يتساوى رد فعل المتلقين سواء كانوا ينتمون إلى بيئة مرفهة من الناحية الاقتصادية أو متدنية، وإلاّ ما سر الإقبال على الأفلام التي تُحشر فيها هذه المشاهد في الدول الغربية وفي مقدمتها أمريكا؟

ازاء ذلك علينا ان نطرح أسئلة أساسية كلما شاهدنا هذه المشاهد في أحد الأفلام: ما صلتها بتطور الأحداث وهل جودة الفيلم مرتبطة بها؟ وماذا لو تم الاستغناء عنها؟

الأرجح ان الإجابة ستكون ليست في صالح بقائها، وجودة الفيلم لن تتأثر بشطبها مهما كان المشهد مصنوعا بطريقة مؤثرة.

إن العنف والجنس في هذه الاشكالية، يؤديان إلى نفس الوظيفة من وجهة نظر شركات الإنتاج التي تسعى إلى تحقيق الأرباح، وإلى تسويق مادة فنية لا تتضمن محتوى قائما على تحفيز الوعي، بقدر ما يكون الهدف منها إيقاظ غريزتي الجنس والعنف خاصة لدى جمهور المراهقين والشباب الذين يشكلون القاسم الأعظم في نوعية وعدد المشاهدين في صالات العرض السينمائية في معظم دول العالم. فهاتان المفردتان لدى هذه الفئة العمرية تشكلان هاجسا حيويا ضاغطا على مشاعرها وعلى ما تتخذه من قرارات في حياتها.

فإذا كانت قضية العنف والجنس تتعلق بشكل جوهري بشباك التذاكر، سيكون من الصعب الوصول إلى تفاهم مع شركات الإنتاج لحثها على إعادة النظر في مسألة إصرارها على حشوها في سيناريوهات الأفلام التي تنتجها، لانها ليست على استعداد للتفريط بأدواتها التي تجني من ورائها الأرباح، وسيكون غير مجد ان تصل الشركات إلى قناعة مفادها عدم الاعتماد على هذه المشاهد. أصبح من المهم العمل على إعادة تقييم مسألة الحرص على تقديم مشاهد العنف والجنس في الأفلام من قبل الشركات والمخرجين، ودراسة مستوى الإتجار بها عبر الأشرطة السينمائية، والتي عادة ما يتم تسريبها من خلال صناعتها بطريقة مثيرة ومغرية، ولا أظن ان وجهة نظرنا ستكون متطرفة إذا ما قارناها برقصات التعرّي التي عادة ما يتم تقديمها في النوادي الليلية، والتي ليس لها من غاية فنية، سوى تسويق بضاعة الجسد وابتذاله، بمعنى ان الجنس والعنف في الأفلام ليسا إلاّ صناعة منفصلة عن سياق الأحداث، وليس لها من رسالة مرتبطة بقيم تحرض على الارتقاء بوعي وحساسية المتلقي ازاء الأشياء التي لها صلة بكينونته الإنسانية أو الاجتماعية، ومن غير الممكن تصنيف أي شريط يعرض على الشاشة على انه فيلم سينمائي، إذا خلا خطابه الفني من هذه الرسالة.

المقامرة بأجساد الممثلين

أما الممثلون الذين ينخرطون بهذه المشاهد، وخاصة الجنسية، فلن يكونوا في وظيفتهم أكثر من أولئك الذين يتم استخدامهم في الأشرطة الإباحية أو الذين يتعرون في النوادي الليلية، لأن النتيجة واحدة من حيث الهدف وإن اختلفت الوسيلة والأمكنة.

هنا لا نتحدث عن الضغوط التي يتعرض لها غالبية الممثلين المحترفين، والتي تدفع بهم إلى الخضوع لتأدية مشاهد ليس لها أي فعالية في بناء الفيلم، لأننا ندرك طبيعة البنود الملزمة التي تفرضها الشركات في العقود التي تبرمها معهم، وبموجبها لا تحتكر جهدهم وموهبتهم في الأداء فقط، انما يتعدى ذلك إلى احتكار أجسادهم، ولهذا لن يكون أمام الممثلين فرصة ان يرفضوا وإلاّ سيضعون أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه، قد يؤدي بهم إلى ان يقفوا أمام المحاكم التي ستفرض عليهم ان يدفعوا مبالغ مالية ضخمة للشركات التي وقعوا معها عقود الاحتكار، إضافة إلى تدمير مستقبلهم المهني وانحسار الأضواء عنهم.

في ظل هذا المناخ ليس مستغربا ان تتعرض الكثير من الممثلات على وجه خاص إلى ضغوط من قبل المنتجين والمخرجين حتى يخضعن لما يطلب منهن في المشاهد الحميمة، وإلاّ لن يصلن إلى عرش النجومية إذا ما رفضن، ولعل فضيحة الشريط الإباحي المسرّب في العام 2019 التي ارتبطت بالمخرج المصري خالد يوسف مع ممثلتين شابتين خير شاهد على ذلك، فقد فتحت الباب لكشف الكثير من الأسرار المدمرة التي قد تتعرض لها الممثلات وخاصة المواهب الجديدة ممن يطمحن إلى النجومية بشكل سريع، كما تداولت الأخبار عام 2019 مزاعم عن اعتداءات جنسية اقترفها المنتج الأمريكي هارفي واينستين ضد العديد من الممثلات الشهيرات في هوليوود، وقد صدر بحقه حكم بالسجن مع غرامات مالية كبيرة بعد ثبوت التهم الموجهة إليه.

من الأسئلة التي تطرح هنا: كم عدد الممثلين والممثلات الذين عانوا من هذا الضغط أو الإكراه، أو وافقوا على أداء مشاهد جنسية باعتبارها الطريقة الوحيدة لاقتحام هوليوود؟ وكم من الممثلين الذين انخرطوا بكامل إرادتهم في تلك المشاهد من غير ان يشعروا انهم واقعون تحت سلطة الضغط والإكراه، على الرغم من سطحيتها وحشوها بشكل قسري في أحداث الفيلم؟

إن الأفلام ذات القيمة الفنية العالية لم تصل إلى هذه الدرجة من التقييم بسبب مشاهد العري والعنف، إنما لأن صانعيها من المخرجين لم يخضعوا لمعايير الشركات ووصفاتها الجاهزة بهاتين المفردتين والتي عادة ما توزعها على فترات محددة محسوبة بخبرة متراكمة من زمن أحداث الفيلم، بالشكل الذي يتحول الشريط السينمائي إلى طاقة تدميرية بدل ان يكون حافزا على التنوير والإحساس بقيمة وجمال الأشياء.

تحقيقات

مرتبطة برحيل الأثرياء وفي انتظار عروض نهاية الموسم

مصر: مصايف الفقراء تبدأ بحلول الخريف وتمتد حتى مطلع الشتاء

القاهرة ـ «القدس العربي»:
حسام عبد البصير

قدر للفقراء ان يصلوا لأحلامهم متأخرين عن الموعد أو هم لا يصلون مطلقاً، الزواج من فتيات أحلامهم، امتلاك شقة، سيارة وملابس أنيقة، كل ما يعبر في الذاكرة من أحلام. ومن جملة ما يشتهي أبناء الطبقة الفقيرة إجازة مصيف وهو ما بات يرتقي لمستوى الحلم أخيراً إذ أصاب الجنون أسعار الكثير من المصايف والقرى السياحية كما رفعت معظمها شعار كامل العدد طيلة الموسم ولم يكن أمام محدودي الدخل من الفقراء سوى الانتظار طويلاً حتى يقتنص الأثرياء كل ملذاتهم ثم يرحلون تاركين البحر بعد دخول فصل الخريف الذي بات يشبه أحلام الفقراء المستعملة سلفاً من قبل الأغنياء. نهاية ايلول/سبتمبر الذي ودعنا، تسلل الفقراء للمصايف مستأنفين السباحة بينما لدغة برد تصيبهم بحلول تشرين الأول/اكتوبر لكنهم في الغالب يعزون أنفسهم بأنهم على أي حال وصلوا للمصايف الفارهة التي كان الأثرياء يحتلونها في الأشهر الخمسة الماضية. تعليمات صارمة من قبل العاملين في تلك المدن الأنيقة بالساحل الشمالي للنزلاء الجدد بحسن التعامل مع الأثاث والمقتنيات وحذار من السطو على أي من الأواني أو المقتنيات في الشاليهات والشقق. أيام معدودة يسرقها الفقراء لرؤية البحر بالكاد حيث تبدأ الدراسة في التاسع من تشرين الأول/اكتوبر الجاري ولا تغيب عن بال الآباء والأمهات هموم نفقاتها بدءا بمصاريف العام الدراسي وثمن الزي المدرسي والكتب ثم الكارثة الأكبر متمثلة في الدروس الخصوصية التي باتت كابوساً مزعجاً لمختلف الأسر على حد سواء.

الساحل الشرير

جرت العادة ان ينتصر الخير على الشر في «الأفلام القديمة على الأقل» غير أنه بالنسبة للطبقة المخملية يبدو الأمر مقلوباً إذ الشر ينام أهله بمنأى عن الملاحقة والمتسلل لقرى الساحل الشرير كما بات يطلق بعض رواد مدن الساحل الشمالي عليه، يرى عجبا. مصروف الشباب اليومي يتجاوز نهاية الخدمة بالنسبة لموظف بسيط في وزارة الثقافة التي تعد عنوانا عريضا على البؤس والشقاء لعموم الموظفين إذ تتذيل قوائم الوزارات هي و«التربية والتعليم» بالنسبة للأجور والحوافز. «م» فنان تشكيلي ومصمم عرائس ويعد الأكثر موهبة في مجاله هو الآن في السابعة والستين من عمره لكنه لا ينسى مكافأة نهاية الخدمة التي حصل عليها عن عمله طيلة 37عاما في إحدى الجهات التابعة لـوزارة الثقافة والتي لم تتجاوز 25 ألف جنيه. ينفث دخان سيجارته وهو يسخر من فرط صدمته بعد ان اكتشف أن «تحويشة العمر» التي ادخره لها من جملة الاستقطاعات التي يتعرض له راتبه الهزيل على مدار سنوات عمله تكفي بالكاد لقضاء خمسة ليالي تقل عن المصروف اليومي لشاب خلال إجازة الصيف يحصل عليه من والده في الساحل الشمالي. ما يحدث سنويا في مصايف الأثرياء وتحديدا في منتجعات الساحل الشرير، على حد وصف الكثيرين للشريط المطل على البحر المتوسط من أول القرى السياحية المنتشرة حتى مرسى مطروح، أمر جدير بالدراسة. فقد شهدت السنوات الأخيرة كثيرا من العادات الناشئة من قبل خبراء الاقتصاد وعلماء النفس والاجتماع بل ورجال الدين على حد سواء. بحكم عمله مهندسا للديكور زار المحال للتقاعد معظم تلك القرى السياحية لذا ينصح أبناء الطبقة الوسطى وبالتأكيد الفقراء الا يفكروا في التوجه لأي من مدن الساحل الشمالي كي لا يصابوا بعقد نفسية ستلازمهم طويلاً. أما بالنسبة لسلوكيات قرى الساحل من وجهة نظر الكاتب خالد أباظة فتتجاوز الظاهرة الاجتماعية إلى نظام اقتصادي واجتماعي مغاير يتمتع بخصائص فريدة عن سائر أنماط ما يعرفه المجتمع المصري. فالساحل الشمالي لا يطور سلوكا متفردا هو فقط معرض موسمي مكشوف لسلوكيات وأخلاقيات تمارس على مدار العام، ولكن في أماكن أقل انكشافا وأدنى كثافة سكانية. لقد تطور الغرض من استغلال تلك البقعة الشمالية الجميلة من الاصطياف والاستمتاع بالمياه الزرقاء والرمال البيضاء الناعمة التي يمتاز بها ساحل المتوسط في مصر، إلى أسواق لبيع واستعراض مختلف المهارات والمزايا التنافسية.

حلم مريم

تدقق مريم الناجية من جحيم الثانوية العامة أخيرا إذ نجحت في اختبار كلية الفنون التطبيقية، في إعلانات عروض المصايف التي تقيمها شركات السياحة نهاية موسم الصيف إذ تهوي بعض العروض ثلاثة أرباع قيمتها أول الموسم مما تعد فرصة مثالية للقابعين في سلم الحياة الاجتماعية كي يزوروا القرى السياحية التي تقع في نطاق الساحل الشمالي الممتد حتى محافظة مرسى مطروح. بالكاد تنجح مريم وأسرتها المكونة من أب يخوض صراعاً حياتياً من أجل توفير احتياجات أسرته المكونة من أربعة أفراد في العثور على شاليه صف ثاني بإحدى القرى القريبة من مارينا. كان على عائلة مريم ان تختار بين ثلاث قرى إحداها في السخنة وثانية في أول طريق الساحل الشمالي والثالثة بالقرب من مطروح، وقبل ان تقدم على أي من العروض اصيب رب العائلة بالصدمة حينما سأل عن أسعار الوجبات بالمطاعم التي تعمل في حرم تلك القرى فاكتشف ان سعر وجبة الغذاء للفرد يبدأ 500– 800 جنيه غير رسم الضريبة. حالة عائلة مريم تحاكي العديد من المنتمين لأسر الطبقة الوسطى الذين كانوا يطمحون للانتقال لسلم المجتمع الأعلى لكن انتهى بهم الحال للتراجع نحو الطبقة الدنيا لذا بات هدفهم ينتهي عند مجرد الحفاظ على موضعهم من الحياة.

ضمائر في إجازة

تذكروا أسماء هذه القرى جيداً «مراسي، مارينا، أمواج، لافيستا، فوكا باي، بو ساندس، غولف بورتو مارينا» تلك القرى بالساحل الشمالي وغيرها يعتبرها الأثرياء ملاذهم الصيفي لمنح ضمائرهم إجازة بالإكراه كي لا يفسد الفقراء الذين يجاورونهم بقية العام في العاصمة والمدن الكبرى حيث يعملون أو يدرسون. وأبرز المدن التي تعد حكراً على الأثرياء دون سواهم أيضاً هي: قرية مرسيليا الساحل الشمالي وتقع على الكيلو 69 طريق الإسكندرية مطروح وتحظى بخدمات فندقية ومراكز طبية ومول تجاري وحمامات سباحة مترفة بالملذات وتتميز بالأمان لوجود حراسة وأماكن ترفيهية للأطفال. يرى عشاق الصيف والسفر من طبقة الأثرياء ان الساحل الشمالي هو الأفضل من حيث الموقع والخدمات في سائر المقاصد السياحية في عموم محافظات مصر السياحية، حيث فيلل وقصور الحيتان السمان. وتعد أفضل القرى تلك التي تقع بسيدي عبد الرحمن طريق العالمين ويبدأ أسعار إيجار الشاليهات بنحو 4.500 جنيه، كما تتميز بالشاطئ المستقل فضلاً عن سلاسل المطاعم والكافيهات ومناطق الترفيه التي لا تتكرر في غيرها من المصايف، ومن القرى الشهيرة كذلك قرية تلال الساحل الشمالي والتي تقع بالكيلو 129 طريق الإسكندرية مطروح حيث تبدأ أسعار الشاليهات بـ4.500 جنيه في اليوم. أما قرية مرسيليا بيتش الساحل الشمالي فتقع في طريق العالمين في سيدي عبد الرحمن، وبالنسبة لأسعار إيجار الشاليهات فيتراوح من2000–2500 جنيه يوميا. كما تتميز بالعديد من الخدمات لراحة المصيفين مثل المطاعم وحمامات السباحة ونادي للأطفال وسينما ونافورة راقصة ومرسى لليخوت وملاعب وفنادق والرياضة المائية ومسرح مكشوف ومول تجاري لشراء الأغراض التي قد يحتاجها الشخص في أي وقت. ومن القرى المتميزة كذلك ديبلو وأمواج ومارينا الساحل الشمالي، التي تعتبر من أشهر القرى السياحية في الساحل وذلك لوجود البحيرات الصناعية فيها، وبالرغم من كثرة القرى السياحية هناك إلا ان الأخيرة تعد أفضل المنتجعات بالشريط الساحلي. وتتميز معظم تلك القرى بالعديد من الخدمات والمرافق منها الشواطئ الخاصة مثل تشيكيتا ولابلاج ولافام وتضم أكبر ميناء يخوت في مصر وصالات الجيم والبلياردو ونوادي للسيارات، والبحيرة الدائرية وفندق بورتو الشهير بالإضافة لمولات تجارية. من القرى التي تحظى باقبال كبير قرية زهرة الساحل الشمالي تم إقامتها على مساحة 900 فدان وتضم شاليهات وفيلات وجميع الأقسام تم تشطيبها على مستوى عالمي، كما تمتاز بمساحات خضراء كبيرة.

جنة الدنيا

للطبقة الراقية سلوكها وحياتها ووجباتها وبالتأكيد فإن لها كذلك مطاعمها التي لا يقترب منها سواهم ومن أبرزها في الساحل الشمالي «ساتشي» و «ليمون تري» و«جالمبو» التي تفتح أبوابها حتى قبيل الفجر بساعة وتستقبل فئة من رواد الساحل لهم طبيعة خاصة إذ لا تعد السياسة والحديث في الشأن العام من بين اهتماماتهم حيث تدور أحاديثهم في الغالب حول السفر والسياحة وأحدث السيارات. رسم دخول تلك المحلات 1500 جنيه للفرد، شاملة مشروبا واحدا، في الغالب ساعات العمل تستمر حتى الرابعة والخامسة صباحاً بالمخالفة للقوانين واللوائح. وطالما كان الزائر يمتلك المال فليست هناك ثمة محاذير حيث يتم السماح للشباب تحت السن القانوني بدخول هذه الأماكن وتناول الخمور سراً. وعادة ما يستعين أصحاب تلك النوادي الليلية بقبضايات أو حراس لزجر كل من يرتدي ملابس غير لائقة. موسيقى صاخبة أشبه بتلك التي تصدح في حفلات عباد الشيطان. المثير للجنون ان مبالغ الصيانة السنوية التي يفرضها أصحاب القرى على الشاليهات والفيلات تلامس 180 ألف جنيه سنوياً للفيلا و50 ألفا للشاليه. وتسجل صفحات الحوادث وكثير من الأعمال الدرامية كما من الأسر تشرد أفرادها بسبب فشل ولي أمرها في تدبير نفقات المصيف بسبب الأوضاع البائسة التي ترزح تحتها الأسر الكادحة التي كانت تنتمي في السابق للطبقة المتوسطة قبل أن ينتهي الأمر بالسواد الأعظم من تلك الطبقة لأن تهبط للقاع، لأجل ذلك جاء الحل السحري الذي ابتكره أولا التجار ثم ما لبث ان عرف طريقه للمؤسسات البنكية والمتمثل في التقسيط والذي عرف طريقه أولا للمساهمة في تملك الوحدات السكنية ثم لجأ البعض له بهدف أداء مناسك العمرة وشراء جهاز العروس ثم انتهى به الأمر إلى ان بات يعمل به في مجال تقسيط المصايف لغير القادرين. ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة وما نتج عنهما من عزوف المصريين عن الرفاهيات، والاكتفاء بضروريات الحياة فقط، دفع بعض شركات السياحة وملاك العقارات الخاصة، إلى توفير خدمة المصيف بالتقسيط، عن طريق توفير غرف وشقق للمصطافين بنظام الدفع المريح وبمقدم حجز بسيط يغريهم على المقامرة. شركات سياحية نشطت في الأعوام الأخيرة تنظم رحلات للمصايف بنظام التقسيط، للشاليهات والشقق ويختلف السعر من قرية لأخرى بالساحل الشمالي لكن لا يقل عن 1500جنيه لليوم الواحد في ذروة مطلع موسم الصيف بالنسبة للقرى والشاليهات متوسطة المستوى، بينما يقفز المبلغ لستة أضعاف في القرى الأكثر أناقة وبحسب موقعها من البحر وبالنسبة للفنادق بمقدار 1850 جنيهاً لليلة في فندق 4 نجوم، وحوالي 2100 جنيه لفندق 5 نجوم، على أن يتم دفع مقدم حجز بمقدار ربع المبلغ الاجمالي ويتم تقسيط باقي المبلغ على شهرين أو ثلاثة، وتوفر بعض الشركات المالكة للقرى للمصيفين انتقالات، بالإضافة لوجبة إفطار. أما في مدينة الغردقة، فوفقاً لشهادات سماسرة يصل سعر إقامة الفرد داخل غرفة بسريرين إلى 900 جنيه، بينما يبلغ سعر تأجير شقة غرفتين 2850 جنيهاً لمدة أسبوع بينما الشقة ذات الثلاث غرف فيبلغ سعرها 3350 جنيهاً، ويدفع النزلاء 1000 جنيه مقدم حجز، ويقسط المبلغ المتبقي حتى 15 يوماً قبل الرحلة، كما أنه يوفر للزوار وسائل مواصلات طيلة فترة الرحلة.

مصيف حلال

الصراع الأشد وشبه المتكرر على وجه التحديد داخل هذه القرى الراقية مرده «المايوه» البعض يريده شرعيا يحجب الفتنة عن الرجال وبوركيني ترتاده النسوة والفتيات اللواتي يبحثن عن المتعة الحلال بدون ان يقترفن الأوزار، والبعض الآخر يرفض هذه الفكرة تماماً ويتمسك بالبيكيني معتبرين من يلجئن للمايوه الشرعي من المتشددات وانتهى الأمر بدعوة بعض الرواد بضرورة حسم الخلاف بين الفصيلين لتقسيم القرى من الداخل بين مناطق نفوذ لأنصار البوركيني وعشاق البيكيني. ومن أبرز المصايف المخصصة للفقراء والطبقة المتوسطة والتي يفرض فيها أنصار البوركيني سيطرتهم مصيف رأس البر الذي أصبح في حلة جديدة يتجدد ليصبح أكثر جذباً للبسطاء. وشهد خلال العامين الأخيرين تطورا لافتاً في عهد المحافظ الذي أولى للمصيف اهتمامًا كبيراً، جعلته يعود لسابق عهده جاذباً لشرائح مختلفة من الزائرين. ووفقاً لتقارير إعلامية تم تطوير الكورنيش بدءا من منطقة الجربى مشروع شمال وجنوب الصيادين برأس البر فضلاً عن مشروع السوق الحضارية برأس البر الذي وضع نهاية لمشكلة الإشغالات التي كانت تؤرق رواد وراغبي التنزه في شارع النيل برأس البر، وهو الشارع الذي ينتهي بمنطقة من أروع بقاع الأرض وهي منطقة اللسان التي تلتقي بها مياه نهر النيل بالبحر المتوسط، ويقع في وسطه فندق اللسان الذي يمثل نقلة سياحية وحضارية لرأس البر بشكل عام. ويشهد المصيف حاليًا علاوة على تجميل الحدائق والاهتمام بالشواطئ بشكل عام بما يليق بالمدينة وتاريخها كمصيف يستقبل الطبقة الوسطى والبسطاء على شاطئ واحد، وعلى الرغم من وجود بعض المناطق التي يشكو المصطافون من أسعارها المرتفعة، إلا أن رأس البر ما زالت تستقطب الأسر الراغبة في قضاء إجازة الصيف وكذلك مصطافي اليوم الواحد الذين يستهدفون الاستمتاع بالاستحمام بالبلاجات أو التنزه ليلا وتناول الفطائر الشهيرة والحلويات الدمياطية بدون ان يرهقوا ميزانيتهم المتواضعة. جدير بالذكر انه تم تنفيذ عدد من المشروعات السياحية منها إعادة تطوير جزيرة رأس البر وإنشاء مسرح صيفي بمنطقة اللسان، وتطوير شارع بورسعيد وكورنيش البحر وشاطئ النخيل وقرية رأس البر زمان، وخليج رأس البر، ومقاصد أخرى. المصيف يحتل مساحة كبيرة في حياة الكثير من المشاهير، وسبق ان تم به تصوير عدد من كلاسيكيات السينما المصرية، ومن أشهر المصايف التي تعد وجهة للفقراء مصيف بلطيم، بمحافظة كفر الشيخ والذي يصطاف فيه العديد من فقراء المصريين نظرًا لرخص أسعار الشقق والشاليهات به مقارنة بشرم الشيخ، والساحل الشمالي، والعين السخنة، ومرسى مطروح، وغيرها من المصايف الباهظة الثمن، لذلك تبحث الأسر البسيطة عن أسعار الشقق في مصيف بلطيم، ليتمكنوا من قضاء الإجازة بأسعار في متناول أيديهم.

ميديا

العام الدراسي الجديد وأزمات الطلبة
تهيمن على شبكات التواصل في مصر

لندن – «القدس العربي»:

انشغل المصريون على شبكات التواصل الاجتماعي خلال الأيام الماضية بجملة من الأزمات المرتبطة ببدء العام الدراسي الجديد، وسرعان ما طغت قضايا المدارس والطلبة على اهتمام المصريين خلال الأيام الماضية خاصة مع تداول صور غير مألوفة من مدارس مختلفة في البلاد اضطرت السلطات إلى إصدار قرار بحظر التصوير في المدارس.

أما أبرز المقاطع والصور التي أثارت جدلاً واسعاً في مصر فهي صورة متداولة لغرفة صفية في إحدى المدارس ويظهر فيها عدد كبير من الطلبة الجالسين على الأرض من دون وجود ولو مقعد واحد أو طاولة في الصف، وهو ما أثار عاصفة من الانتقادات للحكومة التي تحاول التسويق بأنها تقوم بتطوير البلاد وتحسين الخدمات.

وتداول المصريون مقاطع وصور لتكدس في الفصول الدراسية، وتزاحم لأولياء الأمور، إضافة إلى صور تبين أنها مفبركة لتباعد اجتماعي، فيما ظهر طلبة إحدى المدارس وهم يرفعون علم فرنسا بدلا من علم مصر، ليتبين بأن طلبة المدرسة ومعلموها لم يميزوا بين علم بلدهم وعلم فرنسا.

وكتب أيمن الخولي معلقا على إحدى الصور التي انتشرت على المواقع: «اللي بيصور نسي يشيل شنط البنات اللي طلعوهم بره الفصل علشان ياخد اللقطة.. ولا كل بنت رايحة بشنطتين؟» في غشارة إلى أن الصورة المتداولة ليست سوى مشهد مفبرك لطمأنة الناس بوجود إجراءات تباعد لحماية الطلبة من كورونا.

وتداول مغردون صورة لطلاب من إحدى مدارس مدينة دمياط يرفعون علم فرنسا بدلا من علم مصر، وعلقت عليها الصحافية رشا الشامي: «طلاب يرفعون علم فرنسا المصنوع يدويّا باعتباره علم مصر في أول يوم دراسي بمدرسة في دمياط يا كفرة، وفي رد سريع من إدارة المدرسة التي قدمت اعتذارًا للوزارة مؤكدة أن الخطأ غير مقصود ولن يتكرر مرة ثانية. هل دي دمياط الجديدة والعيال اختلط عليهم الأمر؟».

وسخرت سناء أنس من رد الحكومة على الواقعة: «وكيل الوزارة بيقولك دا مش علم فرنسا دا علم مصر بس الإضاءة خلت اللون الأسود باين أزرق!! طب النسر راح فين؟! اتأخر على الطابور بسبب المواصلات ولا إيه؟».

وغرد أحد المعلقين على «تويتر» قائلاً: «وكيل الوزارة بيقولك دا مش علم فرنسا دا علم مصر بس الإضاءة خلت اللون الاسود باين أزرق.. طب النسر راح فين؟ اتأخر على الطابور بسبب المواصلات ولا ايه؟».

وسخر مغرد آخر بالقول: «مش يمكن النسر إللي على العلم مادفعش المصاريف».

وكتب أحد المعلقين منتقداً: «طلاب في مدرسة مصرية يرفعوا علم فرنسا بدل علم مصر ولا أي مدرس ياخد باله من الفرق، وميكروباص 15 راكباً يقع في النيل من 5 ساعات ومش عارفين لغاية دلوقتي ينتشلوا الميكروباص أو جثة واحدة، ومدرسة تخرج أطفال إبتدائي قبل انتهاء اليوم الدراسي كأنهم طلاب في الثانوي.. جمهورية سيكي ميكي».

ونشر وزير التربية والتعليم الفني المصري طارق شوقي منشوراً على صفحته على «فيسبوك» يحتوي على صور وفيديو من المدرسة التي أثارت ضجة بعد واقعة العلم، حيث شكر شوقي في رسالته طاقم المدرسة والطلاب قائلًا: «أرسل لي الدكتور علاء حامد الصور المرفقة من محافظة دمياط، ومن المدرسة التي حدث فيها الخطأ في صناعة العلم وكانت هذه الصور صباح اليوم. شكراً دكتور علاء لاجتهادك المهني وشكراً لطاقم المدرسة والطلاب».

وفي الوقت نفسه، أصدرت مديرية التربية والتعليم بمحافظة دمياط بياناً صحافياً لشرح ملابسات الواقعة مؤكدين أن إدارة المدرسة طلبت من التلاميذ صناعة أعلام احتفالاً بدء العام الدراسي الجديد وانتصارات أكتوبر، غير أن مجموعة من الطلاب اجتهدوا وصنعوه من تلقاء أنفسهم.

وتابعت المديرية في بيانها أنّ «هذا الخطأ غير متعمد من التلاميذ، كما أن التصوير بالهاتف المحمول في ضوء الشمس جعل اللون الأسود يبدو وكأنه أزرق، وفور اكتشاف الأمر تم تحويله للشؤون القانونية».

ونشرت صفحة «مصر الجديدة» على موقع فيسبوك صورة لطلاب فصل كامل في حالة نوم: «وزي ما نشرنا سلبيات ننشر إيجابيات ده فصل سنة تالتة ابتدائي في مدرسة في بنها، يا ريت كل الفصول كدا.. بس مش عارفة نايمين ليه».

في المقابل حاولت وسائل الإعلام الموالية للحكومة استثمار بداية العام الدراسي في الترويج للنظام، واعتبار أن العودة للمدارس على الرغم من كورونا تشكل انتصاراً وإنجازاً للحكومة.

وقال عمرو أديب على فضائية «إم بي سي مصر»: «شايفين طلاب لابسين كمامات ورغم الأعداد اللي في الفصول لكن الحضور شامل الكل، رغم التزاحم اللي شايفينه ده» لكنه عاد للواقع وتوقع: «خلال شهر هنتحايل على الناس تروح المدرسة».

وعن مشكلة الصفوف الأولى المتكررة، قال: «مش عارف أزمة المقاعد دي مالهاش حل، كل سنة صراع وتكدس علشان المقاعد الأولى في فصول فيها أكتر من 40 أو 50 طالبا، طب ليه ماتبقاش أبجدي ولا بالتفوق».

وانتقد المذيع المقرب من النظام أحمد موسى على فضائية «صدى البلد» تكدس أولياء الأمور داخل المدارس وأمامها وعرض فيديوهات الزحام قائلا: «دي مثلا خناقات داخل المدرسة، والناس مش لاقيين عيالهم من الزحام، والأهالي تدور على عيالهم والحقوا واللي تصور، دي مدرسة عمر مكرم من إسكندرية».

واستعان بفيديوهات أخرى من المرج والقليوبية وقال: «هرج ومرج وسداح مداح وكله فوق روس بعض» لكنه استدرك: «بس فيه مدارس تانية فيها التزام ونظام لازم نشير لكدة».

دعوات لإطلاق صحافي مصري
مسجون منذ 150 يوماً بدون تهم ولا محاكمة

لندن – «القدس العربي»:

تجددت الدعوات الحقوقية بإطلاق سراح الصحافي المصري توفيق غانم الذي أكمل الأسبوع الماضي 150 يوماً في الاعتقال الإداري من دون محاكمة ولا توجيه أي تهم، فيما مثل أخيراً أمام محكمة مصرية للبدء بإجراءات التقاضي بحقه.

وقالت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان في بيان اطلعت عليه «القدس العربي» إنه بعد مرور 150 يوما من الحبس الاحتياطي القائم على غير دليل للكاتب الصحافي توفيق غانم، بدأت محكمة جنايات القاهرة بتشكيل دائرة إرهاب المنعقدة بمعهد أمناء الشرطة بمنطقة سجون طرة، أولى جلسات تجديد غرفة المشورة في القضية رقم 238 لسنة 2021 حصر أمن دولة، والتي يواجه فيها غانم مزاعم باتهام بالإنضمام إلى جماعة إرهابية مع العلم بأغراضها.

وأضافت الشبكة العربية: «خمسة أشهر كاملة مرت بدون عرض غانم على نيابة أمن الدولة سوى مرة واحدة في جلسة التحقيق الأولي المنعقدة في 26 ايار/مايو 2021 والتي وجه له خلالها الاتهام السابق بدون توضيح ماهية الجماعة المزعوم انضمامه إليها، واقتصار تلك الجلسة حول عمله وآرائه الفكرية وتاريخ عمله الصحافي وخصوصاً الفترة التي كان فيها يشغل مدير مكتب وكالة (الاناضول) في القاهرة، وعدم مواجهته بأية وقائع محددة، وتوالت جلسات تجديد حبسه ورقيا بدون عرضه على النيابة وتمكينه من نفي الاتهام الموجه إليه في مخالفة واضحة وصريحة لقواعد وضمانات المحاكمة العادلة».

وكانت قوات الأمن المصرية ألقت القبض على توفيق غانم، بتاريخ 21 ايار/مايو 2021 من منزله بمنطقة السادس من أكتوبر بالجيزة، وعقب اعتقاله تقدم محامي الأسرة ببلاغ للنائب العام لطلب التحقيق في واقعة الاحتجاز غير القانوني وتمكين غانم من الاتصال بذويه وبمحاميه وقيد البلاغ برقم 21823 بتاريخ 2021/5/25 عرائض المكتب الفني للنائب العامة. وبعد 5 أيام من الاختفاء، تم عرض غانم على نيابة أمن الدولة والتحقيق معه في القضية والاتهام سالف البيان.

وطالبت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان بسرعة إخلاء سبيل الكاتب الصحافي والكف عن استخدام الحبس الاحتياطي الظالم والمطول، كونه لم يرتكب جريمة معاقب عليها قانونا، كما أنه أوضح امام جهات التحقيق اعتزال العمل الصحافي بعد قرار غلق مكتب الوكالة بالقاهرة بدلاً من الانتقال خارج مصر ومنذ ذلك التاريخ لم يمارس أي نشاط يذكر، كما أكد على موقفه الرافض للعنف بشكل عام.

كما ناشدت الشبكة العربية الدوائر التي ستنظر تجديد الحبس إعمال قانون الإجراءات الجنائية ونصوصه لإنصاف غانم وغيره من سجناء الرأي، وعدم الاعتداد بمحاضر تحريات الأمن الوطني التي لا تعدو ان تكون أقوالا مرسلة طبقا لأحكام محكمة النقض، والتوقف عن التذرع بها لحبس الآلاف من المواطنين وعقابهم دونما جريرة.

وكان المرصد العربي لحرية الإعلام طالب السلطات المصرية قبل عدة شهور بالإفراج عن المعتقلين الصحافيين داخل سجونها، مشيراً على أنه لا يزال نحو 70 صحافيا ومصورا معتقلون في سجون السيسي، ويقضي بعضهم أحكاما بالحبس تصل إلى المؤبد.

وقال المرصد إن «أغلب الصحافيين المعتقلين في مصر، يقضون عقوبة الحبس الاحتياطي على ذمة اتهامات، ولم يتم إحالتهم للمحاكم، وقد قضى غالبية هؤلاء الفترات القصوى للحبس الاحتياطي التي ينص عليها القانون، بينما لم يتم إخلاء سبيلهم، بل تم إعادة حبسهم باتهامات جديدة».

وأكد المرصد أن الحبس الاحتياطي أصبح عقوبة سالبة للحرية طويلة المدى بدون حكم قضائي، رغم أنه كان ينبغي أن يكون مجرد إجراء احترازي، منوها إلى أن هؤلاء الصحافيين والمصورين المعتقلين، لم ينفذوا أي جرائم إرهابية، وكل جريمتهم هي العمل الصحافي أو ممارسة حقهم في التعبير السلمي عن آرائهم.

تصاعد الغضب في أوساط صحافيي تونس بسبب استهدافهم

لندن – «القدس العربي»:

تصاعدت وتيرة الاحتجاجات في أوساط الصحافيين في تونس بعد أن تصاعدت وتيرة المضايقات التي يتعرضون لها منذ اتخاذ الرئيس التونسي قيس سعيد جملة اجراءات من بينها تعطيل البرلمان وإقالة رئيس الحكومة.

ونفذ الصحافيون التونسيون الخميس الماضي وقفة احتجاجية أمام مقر نقابتهم ضد العنف المسلط عليهم خصوصاً بعد تزايد الاعتداءات التي استهدفتهم مؤخراً. كما نفذت فروع النقابة في مختلف أنحاء تونس وقفات احتجاجية تدافع عن حرية الصحافة وتستنكر موجة الاعتداءات المتكررة على زملائهم.

وعبر المحتجون عن تضامنهم مع زملائهم من التلفزة التونسية الرسمية الذين تعرضوا لاعتداء فظيع في مسيرة احتجاج سابقة.

وقال نقيب الصحافيين ياسين الجلاصي، في كلمة أمام المحتجين: «اجتمعنا اليوم أمام بيتنا، نقابة الصحافيين، لإيصال صوتنا والتعبير عن غضبنا على كل الاعتداءات الوحشية والهمجية التي حدثت ورفضنا لها. نقف مع كل الصحافيين وصحافيي التلفزة التونسية الذين يتعرضون للاعتداء والهرسلة وللتجييش يوميا من طرف أشخاص لا يؤمنون بالحرية ولا بحق الاختلاف ولا بمهنة الصحافة التي غطت كل المحطات الهامة التي عاشتها تونس وأثبت الزمن أننا تعاملنا بمهنية وموضوعية مع كل الأحداث».

وكانت النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين قد عبرت، في بيان لها عن انشغالها الكبير بعد «الاعتداءات الخطيرة بالعنف والثلب والهرسلة والمنع من العمل التي طاولت الصحافيين من مختلف المؤسسات الإعلامية الذين قاموا بتغطية المسيرة الاحتجاجية ضد قرارات رئيس الجمهورية، في ظل مناخ تميز بالتحريض على الصحافيين».

وأكدت النقابة «رفضها المطلق لإقحام الصحافيين والمصورين الصحافيين في الصراع السياسي وتحميلهم مسؤولية الفشل الذي تعيشه تونس منذ 2011 إلى غاية اليوم»، وأنها «ستتبع كل المعتدين قضائيا بالاعتماد على تسجيلات الفيديو المتوفرة».

ودعت النقابة كل الصحافيين إلى «الانسحاب من تغطية أي مسيرة أو وقفة احتجاجية يقدم المشاركون فيها على الاعتداء على الصحافيين»، وطالبت طيلة فترة الاحتجاج وعدم تمرير أي أخبار عن احتجاجهم باستثناء خبر الاعتداء على الصحافيين».

علوم وتكنولوجيا

ضربة جديدة للطامحين بالعيش في الفضاء: الحياة خارج الأرض تتلف الدماغ

لندن – «القدس العربي»:

انتهت دراسة علمية حديثة إلى توجيه ضربة جديدة لطموحات البشر بغزو الفضاء والتمكن من العيش خارج الكرة الأرضية، حيث قدمت أول «دليل ملموس» على أن قضاء فترات طويلة في الفضاء يمكن أن يسبب تلفاً في الدماغ، وهو ما يعني أن العيش في الفضاء لمدة طويلة سيؤدي بالشخص إلى الوفاة المبكرة.

وراقب الباحثون في جامعة غوتنبرغ خمسة رواد فضاء روس مكثوا في محطة الفضاء الدولية «ISS» لمدة 169 يوماً في المتوسط، حتى خلصوا إلى هذه النتائج، بحسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وتم أخذ عينات الدم قبل رحيل الرجال وبمجرد عودتهم إلى الأرض، مما سمح للعلماء بقياس خمس مؤشرات حيوية لتلف الدماغ.

وأظهرت النتائج أن ثلاثا من العلامات أصبحت أكثر ارتفاعاً بعد مكوث رواد الفضاء الطويل خارج الكرة الأرضية.

وقال هينريك زيتيربيرغ، أستاذ علم الأعصاب وأحد مؤلفي الدراسة الرئيسيين: «هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها توثيق دليل ملموس على تلف خلايا الدماغ في اختبارات الدم بعد الرحلات الفضائية».

وأضاف: «يجب استكشاف هذا الأمر بشكل أكبر ومنعه إذا كان السفر إلى الفضاء سيصبح أكثر شيوعًا في المستقبل».

وتم أخذ عينات الدم من رواد الفضاء قبل وبعد المهام على محطة الفضاء الدولية من 2016 إلى 2020 بمتوسط مدة لا تزيد عن 169 يوماً.

وتم جمع العينات الأولى قبل 20 يوماً من توجه كل رجل إلى محطة الفضاء الدولية ثم ثلاث مرات بعد الرحلة: يوم واحد، وأسبوع واحد، ومن 21 إلى 25 يوماً بعد الهبوط.

وتضمنت المؤشرات الحيوية الخمسة التي تم تحليلها: ضوء الخيوط العصبية «NFL» والبروتين الحمضي الليفي الدبقي «GFAP» وإجمالي تاو «T-tau» واثنين من بروتينات أميلويد بيتا.

وتشير النتائج، وفقًا للدراسة إلى أن هناك تحولاً في السوائل في الدماغ بينما يقضي الرجال وقتاً في الفضاء ربما يكون قد أثر على الحاجز الدموي الدماغي.

وحاولت «دايلي ميل» الاتصال بوكالة ناسا للتعليق على هذه الدراسة، إلا أن الوكالة الأمريكية لم تعلق على هذه النتائج.

وقضى الرجال الخمسة الذين خضعوا للدراسة في المتوسط 169 يوماً، لكنَّ الأبطال الآخرين الذين يرتادون الفضاء بقوا في الحدود النهائية لمدة ضعف هذه المدة.

وقضى رائد الفضاء الروسي فاليري بولياكوف 437 يوماً في محطة مير الفضائية بين عامي 1994 و1995 لا يزال يحمل الرقم القياسي لأطول فترة مكث فيها شخص في الفضاء.

وسجل سكوت كيلي من ناسا مدة 340 يوماً من عام 2015 إلى عام 2016 وأمضت كريستينا كوخ، المشهورة بالمشاركة في أول مسيرة نسائية في الفضاء، 328 يوماً في الفضاء أثناء وجودها على متن محطة الفضاء الدولية في عام 2019.

كما نظرت دراسة مدعومة من وكالة ناسا، صدرت في عام 2019 في تأثيرات السفر إلى الفضاء على الدماغ البشري.

وكشفت عمليات مسح دماغ رواد الفضاء قبل وبعد رحلات الفضاء عن تغييرات مرتبطة عادةً بالعمليات طويلة المدى مثل الشيخوخة، بما في ذلك التدهور في المناطق المسؤولة عن الحركة ومعالجة المعلومات الحسية.

ومع ذلك، تشير الدراسات أيضاً إلى أن دماغ رائد الفضاء قد يكون قادراً على التكيف مع هذه التغييرات بمرور الوقت.

وقالت راشيل سيدلر، الأستاذة بكلية الصحة والأداء البشري بجامعة فلوريدا: «نحن نعلم أن السائل يتحول نحو الرأس في الفضاء».

وأضافت: «عندما ترى صوراً ومقاطع فيديو لرواد الفضاء، غالباً ما تبدو وجوههم منتفخة، لأن الجاذبية لا تسحب السوائل إلى الجسم».

ولا تظهر تأثيرات الجاذبية هذه على السطح فقط – وفقاً للدراسة الجديدة، حيث تؤثر رحلات الفضاء بشكل مباشر على المادة البيضاء في الدماغ في المناطق التي تتحكم في الحركة وتعالج المعلومات الحسية.

ووجد الفريق أن رحلات الفضاء تتسبب في تجمع السوائل حول الدماغ عند قاعدة المخ، كما لو أن الدماغ «يطفو أعلى» في الجمجمة.

ويمكن أن يلعب هذا دوراً رئيسياً في حالة تسمى متلازمة العين العصبية المرتبطة برحلة الفضاء، والتي تسبب تغيرات بصرية وتسطيح الجزء الخلفي من العين.

وتابعت سيدلر: «يمكن أن يكون دوران السوائل أبطأ، قد يكون ضغطًا على العصب البصري أو أن الدماغ يشد العصب البصري نوعًا ما لأنه يطفو أعلى في الجمجمة».

لكن الباحثين يقولون إن مشاكل المادة البيضاء لا تبدو دائمة. وعادةً ما تُصلح هذه التغييرات نفسها في غضون أسابيع بعد عودة رواد الفضاء إلى الأرض. ومع ذلك، قد تستمر بعض التغييرات لأشهر.

«مايكروسوفت» تُحبط أكبر هجوم إلكتروني في تاريخها

لندن – «القدس العربي»:

كشفت شركة «مايكروسوفت» العالمية العملاقة الشهر الماضي أنها أحبطت واحدة من أكبر الهجمات الإلكترونية في تاريخها.

وقالت الشركة الأمريكية إنها تمكنت من التصدي لاختراق هائل للخدمة الموزعة التي تحمل اسم «DDoS» وهو اختراق كان مقرراً أن يشمل 70 ألف جهاز كمبيوتر، معظمها منتشر في جميع أنحاء آسيا.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن الهجوم استهدف أحد عملاء «مايكروسوفت» في أوروبا، عبر خدمة الحوسبة السحابية «Azure» التابعة للشركة، وكان أعلى بنسبة 140 في المئة من أعلى حجم للنطاق الترددي للهجوم سجلته مايكروسوفت في عام 2020.

وتعمل هجمات «DDoS» عن طريق إغراق نظام الضحية بـ«حركة مرور الإنترنت» في محاولة لزيادة تحميله وإجباره على عدم الاتصال بالإنترنت.

ويتم تنفيذ هذه الهجمات عادةً من خلال شبكة من الأجهزة التي تم اختراقها باستخدام برامج ضارة أو برامج ضارة للتحكم فيها عن بُعد، حسب ما تقول «دايلي ميل». وقالت «مايكروسوفت» إن هذا الهجوم الأخير خنق نظامها بـ2.4 تيرابايت من البيانات كل ثانية، وهو أكبر بكثير من الهجوم المماثل الذي استهدف خدماتها في أواخر الصيف الماضي.

واستمر الهجوم لأكثر من 10 دقائق، مع اندفاعات قصيرة المدى من حركة المرور بلغت ذروتها عند 2.4 تيرا بايت في الثانية، و0.55 تيرا بايت في الثانية، وأخيراً 1.7 تيرا بايت في الثانية.

ومن الصعب جداً إغراق النظام بهذا المقدار من البيانات كل ثانية، لكن «Azure» كان قادراً على البقاء متصلاً بالإنترنت طوال الوقت نظراً لقدرته على استيعاب عشرات التيرابايت من هجمات «DDoS».

وقال مدير برامج شركة «أزور نيتويركنغ» أمير داهان: «تُظهر الهجمات بهذا الحجم قدرة الجهات الفاعلة السيئة على إحداث الفوضى من خلال إغراق الأهداف بأحجام مرور هائلة في محاولة لخنق سعة الشبكة».

وأضاف: «نشأت حركة مرور الهجوم من حوالي 70 ألف مصدر ومن دول متعددة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، مثل ماليزيا وفيتنام وتايوان واليابان والصين، وكذلك من الولايات المتحدة».

ولم تذكر «مايكروسوفت» اسم العميل الذي تم استهدافه في أوروبا، لكنها قالت إنها تمكنت من منع الهجوم.

ويمكن أيضاً استخدام هذه الاختراقات كغطاء للهجمات الثانوية التي تحاول نشر البرامج الضارة والتسلل إلى أنظمة الشركة.

وأضاف دهان: «نظراً لمقياس الامتصاص العالمي لشركة (Azure) ومنطق التخفيف المتقدم، لم يعان العميل من أي تأثير أو توقف عن العمل».

وتابع: «إذا كان العميل يعمل في مركز البيانات الخاص به، فمن المحتمل أن يكون قد تكبد أضراراً مالية جسيمة، إلى جانب أي تكاليف غير ملموسة».

وقالت مايكروسوفت إنها اكتشفت أيضاً زيادة بنسبة 25 في المئة في عدد هجمات «DDoS» منذ الربع الأخير من عام 2020.

وعلى الرغم من كونه أحد أكبر الهجمات ضد «مايكروسوفت» على الإطلاق، إلا أنه لم يكن أكبر هجوم «DDoS» على الإطلاق في العالم، بحسب ما يؤكد تقرير «دايلي ميل».

وفي عام 2017 تمكنت شركة «غوغل» من حظر 2.54 تيرا بايت في الثانية وكانت جزءاً من «حملة مدتها ستة أشهر» تستخدم «طرقاً متعددة للهجوم».

ووقعت «مايكروسوفت» أيضاً ضحية لهجوم فيروسات الغدية الهائل الذي انتشر إلى أنظمة الكمبيوتر لمئات الشركات الخاصة والمؤسسات العامة في جميع أنحاء العالم في أيار/مايو 2017.

واضطرت المستشفيات وعيادات الأطباء في إنكلترا إلى إبعاد المرضى وإلغاء المواعيد بعد الهجوم الذي أصاب هيئة الخدمات الصحية الوطنية بالشلل.

واستهدف فيروس «وانا كراي» نظام التشغيل «وندوز» الذي تمتلكه وتطوره شركة «مايكروسوفت» الأمريكية العملاقة.

طائرات جديدة من «إيرباص» تعمل بالشمس وتحلق على ارتفاعات غير مسبوقة

لندن – «القدس العربي»:

أكملت شركة الفضاء «إيرباص» رحلتين في محيط طبقة الجو المرتفعة السماة «ستراتوسفير» مدة 18 يوما لطائرتها التي تعمل بالطاقة الشمسية «Zephyr» على ارتفاع 76100 قدم فوق الأرض.

وقالت «إيرباص» إن الرحلات التجريبية التي تعمل بالطاقة الشمسية لـ Zephyr في طبقة الستراتوسفير – الطبقة الثانية من الغلاف الجوي للأرض – سجلت رقما قياسيا عالميا جديدا للارتفاع هذا الصيف.

وتريد الشركة الآن نشر «القمر الاصطناعي الزائف عالي الارتفاع» (HAPS) للمراقبة وإرسال النطاق العريض للاتصال إلى المناطق النائية التي لا تحتوي على الإنترنت، بحسب ما قالت جريدة «دايلي ميل» البريطانية.

وتعمل Zephyr وهي طائرة من دون طيار مزودة بمروحتين صغيرتين، حصريا بواسطة الشمس، وذلك بفضل الألواح الشمسية التي تبطن جناحيها.

وتوفر طائرة واحدة فقط، تغطية لـ250 برجا خلويا، وبالتالي توفر مساحة على الأرض يمكن أن تشغلها بنية تحتية ضخمة.

وعلى ارتفاع أكثر من 75 ألف قدم، تطير المركبة أعلى من الطائرات التجارية (عادة ما يصل إلى 40 ألف قدم) ولكن أقل من الأقمار الصناعية (200 ميل).

ويبلغ باع جناحيها 82 قدما (25 مترا) ثلث عرض طائرة الشركة A380 المستخدمة للرحلات التجارية، وتزن أقل من 75 كغ.

وعندما تُطرح بالكامل للعملاء، سيكون التحكم فيها أرخص وأسهل من الأقمار الاصطناعية، بالإضافة إلى الهبوط وإعادة توجيهها لمهمة مختلفة.

وبما أنها تستخدم ضوء الشمس للطيران وإعادة شحن بطارياتها، فإنها لا تستخدم أي وقود ولا تنتج أي انبعاثات كربونية. وتشحن البطاريات الثانوية في رحلة ليلية بقوة ضوء النهار سابقا.

ومن المحتمل أن يقضي Zephyr قريبا حوالي ستة أشهر في الجو في كل مرة، وفقا لجانا روزمان، رئيس أنظمة الطائرات من دون طيار في شركة «إيرباص».

وقالت روزمان: «لدينا طموحات للوصول لفترات تصل إلى ستة أشهر. وتعمل بطارياتنا بشكل جيد للغاية. أعتقد أننا واثقون الآن من الوصول إلى ثلاثة أشهر، وأود أن أقول إن الذهاب لمدة ستة أشهر على هذه المركبة الجوية لن يكون مشكلة. هل أثبتنا ذلك عمليا؟ لا ليس بعد. لكن كل الخطوات التي قمنا بها في اختباراتنا المعملية تشير بوضوح إلى أننا نسير على طريق جيد للغاية».

وقال جيمس جافين، رئيس مجموعة القدرات المستقبلية بوزارة الدفاع: «من خلال العمل مع إيرباص وفريق Zephyr خلال حملة الطيران لعام 2021 تم إحراز تقدم كبير نحو إظهار HAPS كقدرة».

وتمثل أنشطة هذا الصيف خطوة مهمة نحو تفعيل طبقة الستراتوسفير. وتألفت الحملة من ست رحلات في المجموع – أربع رحلات في المجموع – أربع ورحلتان في الستراتوسفير.

وطارت كل من رحلات الستراتوسفير حوالي 18 يوما، أي ما مجموعه أكثر من 36 يوما من رحلة الستراتوسفير في الحملة.

وهذا يضيف 887 ساعة طيران أخرى إلى 2435 ساعة طيران في الستراتوسفير لـ Zephyr حتى الآن.

وتهدف حملة الطيران إلى توضيح كيف يمكن استخدام Zephyr للعمليات المستقبلية، والتحليق خارج المجال الجوي المحظور وفوق المجال الجوي المشترك مع الحركة الجوية التجارية، بعيدا عن السحب وتيارات الطائرات.

وتعمل الشركة أيضا على الترويج لها لاستخدامها في مناطق الكوارث، وغيرها من المجالات التي تتطلب معلومات في الوقت الفعلي.

وتقول شركة إيرباص إنها يمكن أن تحدث ثورة في إدارة الكوارث، بما في ذلك مراقبة انتشار حرائق الغابات أو الانسكابات النفطية.

سيارة طائرة بمواصفات خارقة

لندن – «القدس العربي»:

تمكن تجمع من المهندسين الأوروبيين والأمريكيين من تطوير سيارة طائرة ذات مواصفات خارقة أطلقوا عليها اسم «إير سبيدر» وتتمتع بامتيازات كبيرة مقارنة بنظيراتها من الطائرات والمركبات.

وحسب تقرير مفصل عن هذه السيارة الطائرة نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، فإن سيارة «إير سبيدر» هي سيارة سباق طائرة يمكنها الانتقال من السرعة صفر إلى 62 ميلاً في الساعة خلال 2.8 ثانية فقط، مثل سيارات سباقات «فورمولا ون» وقد نجحت في إجراء اختبار مزدوج للمرة الأولى.

وتمثل الرحلة التجريبية لمركبتين بدون طيار، في السماء فوق موقع غير معروف بالقرب من أديلايد، جنوب أستراليا في نهاية أيلول/سبتمبر، المرة الأولى التي تنطلق فيها وحدتان في الهواء معاً، بحسب ما أورد تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير.

ويعد هذا معلماً مهماً لأن «إير سبيدر» تم تصميمه لسباق المركبات الأخرى في الهواء على مقربة شديدة.

و«إير سبيدر» هي طائرة «أوكتوكوبتر» كهربائية يتم تجميعها في شركة «Adelaide» كمزيج من طائرات الهليكوبتر والطائرة المقاتلة وسيارة «فورمولا ون».

وهذا النموذج، الذي تم الكشف عنه في شباط/ فبراير من هذا العام ويخضع حالياً لمراحل الاختبار، هو ثالث نموذج أولي للسرعة الجوية ويسمى «Mk3».

ومن المقرر أن يتم تشغيل أول سيارة طائرة كهربائية مأهولة تضم أشخاصاً حقيقيين في قمرة القيادة في عام 2022.

وتتميز «إيرسبايدر» بثماني شفرات دوارة تحيط بقمرة القيادة المركزية المصنوعة من ألياف الكربون وهي قادرة على الوصول إلى سرعات قصوى تبلغ 75 ميلاً في الساعة. وسيتمكن لويس هاميلتون في سيارة مرسيدس F1 من الوصول إلى 62 ميلاً في الساعة في حوالي 2.6 ثانية.

والهدف من فريق «Airspeeder» هو وجود طيارين بشريين في قمرة القيادة لسلسلة سباقات مأهولة في جميع أنحاء العالم المقبل.

وقبل ذلك، سيتم نقل العديد من أجهزة السرعة الجوية عن بُعد على مسارات سماء الواقع المعزز كجزء من سلسلة «EXA» قبل نهاية هذا العام.

وقال مات بيرسون، مؤسس شركة «إيرسبيدر» التي لها مكاتب في أديلايد ولندن: «يوفر السباق المكان والمساحة لتطوير سيارات الطيران الكهربائية التي طالما وعدت بها».

وأضاف: «لا تعرض هذه الرحلات المميزة الأولى لسباقات السباق المزدوجة فقط كيف ستبدو سباقاتنا القادمة مذهلة ولكنها تضع الأساس لإدخال السيارات الطائرة إلى المدن في كل مكان.»

وتقدم الرحلات التجريبية المزدوجة لمحة عما سيبدو عليه السباق ذو النمط المزدوج في سلسلة سباقات «EXA» القادمة عن بعد والتي من المقرر أن تحدث في وقت لاحق من هذا العام. وقال متحدث باسم الشركة إنه سيتم الإعلان عن التواريخ الدقيقة قريباً.

وسيشاهد «EXA» الطيارين يتحكمون عن بعد في السيارات عبر «مسارات السماء» التي تعمل بتقنية الواقع المعزز، مع قدرة الجماهير على المشاهدة عبر التدفقات الرقمية.

وستضم طيارين عن بُعد مأخوذون من خلفيات طيران مدنية وعسكرية ورياضات سيارات، وكلهم يقاتلون عن بعد وهم يتحكمون في مركبة السرعة الجوية الخاصة بهم.

وسيجلس طيارو سيارة السباق «Mk3» عن بعد في جهاز محاكاة يحاكي ديناميكيات وبيئة العمل في قمرة القيادة نفسها، في حين أن الروبوت «Aviator» الموجود على متن الطائرة سيدير رأسه عندما يدير الطيار رأسه.

وقال ماثيو بيرسون مؤسس مشروع «Airspeeder» إن هذا المشروع يغير بوعد المستقبل الذي ظهر لأول مرة في الخيال العلمي.

وتعمل المركبة ببطارية ليثيوم بوليمر تسمح لها بالطيران لمدة 15 دقيقة تقريبا، وسيستمر كل سباق لمدة 45 دقيقة، مما يعني أنه سيتطلب الأمر محطتي توقف على غرار رياضة السيارات لتغيير البطارية في غضون 20 ثانية.

اقتصاد

غول التضخم كيف يهددنا ومتى يعود داخل نطاق السيطرة؟

ابراهيم نوار

بمجرد أن تنتهي من قراءة التقرير الأخير لصندوق النقد الدولي الذي صدر منذ أيام، فإن السؤال الكبير الذي يخطر ببالك، ليس ما إذا كان التضخم يهدد العالم أم لا، ولكن إلى متى سيستمر هذا التضخم، وهل سيتمكن العالم بسرعة من وضعه تحت السيطرة بسهولة؟ ويقدر الصندوق أن التضخم قفز في العام الحالي إلى أربعة أمثال ما كان عليه في العام الماضي مسجلا 2.8 في المئة مقابل 0.7 في المئة، لكنه سيتراجع في العام المقبل إلى 2.3 في المئة، وهو ما يقرب من ضعف ما كان عليه في العام 2019. ومع ارتفاع التضخم فإن الصندوق يقدر ان أسعار الفائدة على الودائع الدولارية ستتضاعف من 0.2 في المئة في العام الحالي إلى 0.4 في المئة في العام المقبل، بينما تشهد السندات الحكومية فعلا ارتفاعا زاحفا في أسعار الفائدة. هذا التشخيص يهدد الاقتصاد العالمي بالانزلاق إلى هاوية ركود تضخمي، بينما هو ما يزال يحاول التعافي من تداعيات جائحة كورونا.

لقد ظلت السياسة الاقتصادية مصابة بهوس مكافحة التضخم ووضعه تحت السيطرة منذ منتصف سبعينات القرن الماضي حتى الآن. ووصلت في تشددها إلى درجة التضحية بالنمو مقابل ضبط التضخم تحت معدل 2 في المئة سنويا. وكانت المهمة الأساسية لصندوق النقد الدولي خلال العقود الأخيرة هي ضمان الانضباط المالي في العالم بما يحقق هدف تطويق غول التضخم من رقبته ولجمه ومنعه من الانطلاق. لكن ما حدث الآن، وطبقا للاستنتاجات الكبرى الواردة في التقرير يؤكد أن غول التضخم قد انطلق من عقاله، وأنه أصبح التهديد الأخطر للاقتصاد العالمي، وسط شبكة قاتمة من التهديدات ترتبط بجائحة كورونا وتغير المناخ والتحولات التكنولوجية الهائلة التي تجتاح العالم.

سياسات تصنيع الأزمة

ومع أن التقرير يأمل في أن ينحسر التضخم ويعود إلى نطاق السيطرة في العام القادم، إلا أن تحقيق ذلك سيتوقف على السياسات التي ستتبعها الحكومات والشركات. ومن ثم فإن توقعات صندوق النقد تظل مجرد «توقعات» قد لا تتحقق في المدى الزمني المرسوم، خصوصا بعد أن دمرت جائحة كورونا حجر الأساس للسياسة الاقتصادية السابقة للصندوق الذي كان يتمثل في تخفيض العجز المالي، وضبط الإنفاق الحكومي. إذ أن الارتباك الحاد الذي وصل تأثيره إلى حد الانهيار في سلاسل الإمدادات العالمية، واضطراب سوق العمل، وزيادة الحاجة إلى ضخ أموال هائلة في أنظمة الرعاية الصحية والاجتماعية، هي جميعها عوامل قادت إلى اتساع نطاق عجز الميزانيات في الدول المتقدمة والنامية على السواء، وقللت قدرة صانعي السياسات النقدية والمالية على المناورة داخل هامش ضيق.

ثم جاء تعافي الاقتصاد في العام الحالي مصحوبا بعدد من المحركات التضخمية الرئيسية أهمها ارتفاع أسعار الطاقة، وأسعار السلع الزراعية، والأجور، واستمرار اضطرابات سلاسل الإنتاج بسبب عوامل اقتصادية وبيئية، والحرب التجارية بين الولايات المتحدة والصين. وقد ظهر أثر هذه الحرب بصورة صارخة في صناعة السيارات وصناعات الرقائق الإلكترونية الذكية. ومع أن تقرير صندوق النقد الدولي لم يتطرق إلى خطورة الدور الذي تلعبه الشركات العالمية العملاقة، خصوصا تلك العاملة في مجالات الطاقة والتكنولوجيا والتجارة الإلكترونية، في «تصنيع» عوامل تقود إلى تحقيق أرباح استثنائية على حساب السوق والمستهلكين بشكل عام، فإنه يجب التنبيه على أن استمرار ما يمكن أن نطلق عليه «سياسات تصنيع الأزمة» بهدف تحقيق أرباح استثنائية سيؤدي إلى تعطيل جهود مكافحة التضخم، وإبطاء سرعة العودة إلى معدلات النمو والرفاهية التي كانت قبل الجائحة.

على سبيل المثال فإن شركات الطاقة تعمدت تقليل المخزون، سواء من الغاز أو النفط، وهو ما أدى إلى اختلال العلاقة بين احتياجات نمو الطلب ومدى وفرة المخزون المتاح، وقد أكدت ذلك إحصاءات وكالة الطاقة الدولية. هذه السياسة كانت السبب الرئيسي في تشغيل محرك التضخم المدفوع بزيادة أسعار الطاقة. أما شركات التكنولوجيا والتجارة الإلكترونية التي حققت أعظم أرباحها وأسرعها منذ نشأتها حتى الآن خلال جائحة كورونا، فإنها لم تمرر تخفيض تكاليف الإنتاج والوفورات، الناتجة عن استخدام تكنولوجيا متقدمة محل العمل البشري، إلى المستهلكين أو إلى الصناعات الأخرى، وإنما تعمدت الاستفادة منها، وكذلك من وضعها شبه الاحتكاري، لتحقيق أقصى أرباح ممكنة، وكانت أسعار أسهم هذه الشركات في البورصة هي المحرك الرئيسي لسياساتها التجارية. كما قامت شركات الشحن بتقليل العدد المتاح من ناقلات النفط والغاز وسفن الحاويات، بما يقود عمليا إلى زيادة أسعار الشحن، التي بلغت حاليا ومع اقتراب موسم الأعياد إلى حوالي 6 أضعاف ما كانت عليه قبل جائحة كورونا؛ فتكلفة نقل حاوية سعة 40 قدما من الصين إلى غرب أوروبا زادت من 3000 دولار إلى ما يتراوح بين 15 إلى 18 ألف دولار.

كذلك فإن شركات الأدوية وشركات الرعاية الصحية الخاصة بما فيها شركات التأمين، حققت أيضا أرباحا استثنائية من جائحة كورونا، في الوقت الذي فقد فيه العالم ما يقرب من 5 ملايين من الضحايا وتعرض أكثر من 240 مليون شخص للإصابة. ومن المعروف في صناعة اللقاحات أن تكلفة إنتاج جرعة اللقاح الواقي من فيروس كورونا لا تتجاوز ثلاثة دولارات حسب تصريح لرئيس شركة أسترازينيكا، وأن الشركات العاملة في الإنتاج حصلت على مساعدات ضخمة من أموال دافعي الضرائب لتطوير وإنتاج اللقاحات. ومع ذلك فإن حاجة البشرية إلى اللقاح والعلاج تحولت إلى فرصة لتحقيق أرباح استثنائية للشركات. وقد أصبح مبدأ «تحويل الأزمة إلى فرصة لتحقيق أرباح استثنائية» هو المبدأ الحاكم لسياسة الشركات العملاقة وشركات التكنولوجيا والتجارة الإلكترونية في ظل جائحة كورونا. وإذا استمرت تلك الشركات في تكثيف سياساتها على أساس هذا المبدأ، فإن النتيجة ستكون استمرار قوة محركات التضخم، وإبطاء العودة إلى نمو اقتصادي صحي مع مستوى للتضخم داخل نطاق السيطرة. إن التخفيض الهامشي بنسبة 0.1 في المئة الذي أدخله الصندوق على معدل النمو المتوقع، لا يستحق أن يذكر، كما أنه تركز في تعديل توقعات النمو للدول الصناعية. وطبقا للتقرير فإن الصندوق يتوقع نموا بنسبة 5.9 في المئة هذا العام، و4.9 في المئة في العام المقبل.

التضخم في الشرق الأوسط

أما بالنسبة للشرق الأوسط، فإن توقعات النمو التي جاءت في تقرير الصندوق تتراوح بين 4.5 في المئة للدول المصدرة للنفط و 3.6 في المئة للدول المستوردة بمتوسط يبلغ 4.1 في المئة للمجموعة ككل. وطبقا للصندوق ستحقق المملكة المغربية في العام الحالي أعلى معدلات النمو في العالم العربي بنسبة 5.7 في المئة يليها العراق ومصر بنسبة 3.6 و 3.3 في المئة على التوالي. بينما ستحقق إسرائيل أعلى معدلات النمو في المنطقة ككل بنسبة 7.1 في المئة، مع استمرار النمو القوي في العام القادم بمعدل 4.1 في المئة. وسوف تتوقف قوة محركات التعافي والنمو في الناتج المحلي الإجمالي لدول الشرق الأوسط على عوامل صحية وبيئية ومالية ونقدية تتعلق بمدى زيادة نسبة الحاصلين على لقاح كورونا. وقد وضع الصندوق برنامجا لزيادة هذه النسبة إلى 40 في المئة على مستوى العالم بنهاية العام الحالي، ترتفع إلى 70 في المئة في منتصف العام المقبل. وتعود أهمية رفع نسبة المحصنين ضد الفيروس إلى أن ذلك يساعد على تقليل الآثار السلبية لتأثير الفيروس على الإنفاق الحكومي، وسلاسل الإنتاج، وعرض العمل، واستقرار السوق.

وتعتبر أخطار ارتفاع أسعار الطاقة، والسلع الغذائية، وارتباكات سوق العمل، إضافة إلى ارتباكات السياسات المالية والنقدية، خصوصا سياسة أسعار الصرف أهم محركات التضخم في منطقة الشرق الأوسط، نظرا لاعتمادها الكبير في سد احتياجاتها، وأهمها الغذاء، على الاستيراد من الخارج، ونظرا لوجود حالة من الفراغ التنظيمي للسياسات الاقتصادية وأدوات تنفيذها في خمس دول عربية هي اليمن ولبنان وسوريا والسودان وليبيا، فإن ذلك يغذي حالة عدم الاستقرار وإعاقة التعافي الاقتصادي. ويتوقع الصندوق أن يبلغ معدل التضخم في السودان هذا العام 194.6 في المئة. بينما يبلغ المتوسط المتوقع في المنطقة ككل 12.7 في المئة، ويرتفع في مجموعة الدول المستوردة للنفط إلى 13.2 في المئة، وفي الدول المصدرة للنفط ينخفض إلى 10.8 في المئة.

هذه التوقعات مبنية على أساس الإحصاءات الرسمية المقدمة من الحكومات. وبدون الدخول في تعقيدات الطرق الفنية لحساب معدلات التضخم في أسعار السلع المختلفة، فإننا نستطيع أن نقول بمجرد النظر أن معظم الأرقام التي تقدمها حكومات الدول النامية عموما، ودول الشرق الأوسط وأفريقيا على وجه الخصوص هي «أرقام مطبوخة» لا يقوم من يمثلون الصندوق في تلك الدول بتدقيقها، وأنها قليلة الصلة بالواقع أو عديمة الصلة به تماما. كما يصدق الشيء نفسه بقوة على إحصاءات العمل ومعدلات البطالة. وما يفعله الصندوق هو مجرد «تبييض» هذه الأرقام واعادتها إلينا في «ثوب دولي» لتحتفل بها الحكومات العربية بوصفها دليلا على مصداقية سياساتها الاقتصادية. وتستبعد إحصاءات التضخم الأساسية أسعار السلع ذات التقلبات الموسمية الحادة، ومنها السلع الغذائية بما فيها الخضروات واللحوم. ونظرا لأن هذه السلع تشكل ما يتراوح بين 40 في المئة إلى أكثر من 60 في المئة من سلة إنفاق المستهلكين على السلع المختلفة فإن معدلات التضخم المحسوبة لا تقدم صورة صحيحة، ويجب زيادتها على الأقل بنسبة 50% في المتوسط، حتى تقترب من الواقع الفعلي للتضخم في السوق. ويتوقع الصندوق تحسن معدلات التضخم في الدول العربية عموما في العام المقبل، حيث يقدر أنه سينخفض إلى 8.6 في المئة في المتوسط لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو معدل لا يجب الاحتفال به لأنه أكبر من ضعف معدل النمو المتوقع للناتج المحلي، واقترب من ثلاثة أمثال معدل التضخم المتوقع عالميا الذي يبلغ 2.8 في المئة.

الأمم المتحدة تدعو إلى تحرك الجميع ضد الجوع وتغير المناخ

دعت الأمم المتحدة إلى اتخاذ مزيد من الإجراءات ضد الجوع وأزمة المناخ قبيل يوم الأغذية العالمي.

وقال المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة «فاو» شو دونيو في مراسم الافتتاح يوم الجمعة إن الجوع أثر على 811 مليون شخص في العالم في العام الماضي، على الرغم من أن العالم ينتج أغذية تكفي الجميع و«هذا لا يمكن تصوره وغير مقبول».

وحذر شو من أن المخاطر أكبر ما تكون بالنسبة للشباب. وقال إنه في الأعوام المقبلة، يجب التخفيف من آثار تغير المناخ لمحاربة الجوع والفقر.

وللقيام بذلك، قال إنه يجب أن يصبح إنتاج الغذاء العالمي أكثر كفاءة واستدامة، مشيرا إلى أنه يمكن للمستهلكين أيضًا المساهمة بسلوكهم.

من جانبه، قال الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش في رسالة بالفيديو إن يوم الأغذية العالمي السبت هو دعوة لتحقيق الأمن الغذائي العالمي.

وقال إن وباء فيروس كورونا تسبب في تفاقم الوضع الغذائي العالمي، مما يعني أن 3 مليارات شخص لا يستطيعون تحمل تكلفة الغذاء الصحي.

وفي رسالة تمت قراءتها خلال المراسم، تحدث البابا فرنسيس بابا الفاتيكان عن مفارقة لأن عددا كبيرا للغاية من الناس لا يحصلون على طعام مغذي بينما يعاني ما يقرب من مليارى شخص من زيادة الوزن.

(د ب أ)

مباحثات لبنانية تركية حول إمكانية تنفيذ مشاريع بين البلدين

بحث وزير الأشغال العامة والنقل اللبناني علي حمية، مع سفير أنقرة لدى بيروت علي بارش أولصوي، أمس إمكانية «مساهمة» تركيا في إعادة إعمار مرفأ بيروت وتشغيل سكة الحديد، والتعاون في مجال النقل.

جاء ذلك خلال استقبال الوزير اللبناني للسفير التركي في مقر وزارته في بيروت، بحسب ما أفادت وكالة الإعلام الرسمية اللبنانية.

وتناول اللقاء «التعاون المشترك القائم في مجال النقل على الصعيدين البري والبحري، لا سيما ما يتعلق منها بنقل البضائع بالشاحنات اللبنانية والتركية بحرا من خلال الخط البحري القائم بين مرفئي طرابلس و تاشوجو في تركيا».

ويعد هذا الخط البحري مهما لصادرات لبنان إلى تركيا أو إلى العراق عن طريق تركيا، إضافة إلى الصادرات التركية إلى لبنان، بحسب الوكالة.

وشدد الجانبان على «أهمية تعزيز وتطوير التعاون والتنسيق في هذا المجال، خاصة أن كل من البلدين لا يفرضان أي رسوم على مرور الشاحنات في أراضي كل منهما». كما تطرق حمية وأولصوي إلى «إمكانية مساهمة الشركات التركية في إعادة إعمار مرفأ بيروت، وإعمار الاهراءات (صوامع القمح) في المرفأ، لما للشركات التركية من خبرة واسعة في هذا المجال» بحسب ذات المصدر.

وفي 4 آب/اغسطس 2020 وقع انفجار ضخم في مرفأ بيروت أدى إلى مصرع 217 شخصاً وإصابة 7 آلاف آخرين فضلاً عن أضرار مادية هائلة.

ولا يزال المرفأ يعاني حتى اليوم من أضرار الانفجار لا سيما الأرصفة ومحطة الحاويات وصوامع الحبوب، فضلاً عن تعطّل غالبية رافعات الحاويات.

كما تطرق اللقاء، وفق الوكالة، إلى «موضوع إنشاء وتشغيل سكة الحديد في لبنان، وإمكانية تقديم تركيا خبراتها وإمكاناتها المتقدمة على هذا الصعيد».

وخلال فترة الحرب الأهلية اللبنانية (1975– 1990) تعطلت سكك الحديد وتوقفت حركة القطارات بعدما كانت تسير منذ عام 1895 وتربط المناطق ببعضها كما كانت تربط لبنان بالخارج. كما بحث حمية «إمكانية قيام تركيا بتقديم معدات سكانر (كواشف) متطورة للكشف على البضائع في المرافئ اللبنانية».

وأشارت الوكالة، إلى أن السفير التركي «وعد برفع هذا الطلب للسلطات التركية في أنقرة متمنيا الموافقة عليه».

وفي سياق آخر، قدم السفير للوزير حمية باسمه وباسم الحكومة التركية، التعازي بضحايا أحداث الحميص التي وقعت في بيروت، وأسفرت عن مصرع 7 أشخاص وإصابة 32 آخرين.

ويعاني لبنان منذ نحو عامين أزمة اقتصادية حادة تسببت بانهيار مالي، وشح في الوقود والأدوية وسلع أساسية أخرى، فضلاً عن انقطاع الكهرباء عن المنازل والمؤسسات لساعات طويلة. (الأناضول)

مدن وآثار

طنجة العالية عروسة الشمال المغربي ترفل في ثوب من حرير التاريخ وتتوشح بأفق التألق

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

طنجة أو عروسة الشمال المغربي كما يحلو لأبنائها والمغاربة قاطبة تسميتها، تتقدم القارة الأفريقية لتكون أول مدينة تلامس أوروبا ولا يفصلها عنها سوى كيلومترات قليلة، حتى أن المتأمل يستطيع أن يشاهد حركة السيارات وسطوح المباني في إسبانيا انطلاقا منها.

طنجة نسجت حولها الكثيرة من الحكايات الجميلة والهادئة، كما ارتبطت بأسماء أعلام مغاربة ومن كل العالم، ولا يمكن الحديث عن عاصمة البوغاز بدون أن تقف شامخة ذكرى ابن بطوطة، الرحالة العربي الأشهر.

إلى جانب ابن بطوطة القادم من التاريخ القريب، تنسل ذكرى كاتب حظي بالعالمية، هو محمد شكري، وتنساب جمله وفقرات روايته الشهيرة «الخبز الحافي» لتسرد علينا بعضا من مدينة طنجة كما عرفها، مدينة جميلة لكنها غامضة، ساحرة وأيضا موغلة في الرهبة من يومياتها.

هذه المدينة الساحرة التي تأسست سنة 1320 قبل الميلاد، تغطي مساحة تبلغ 124 كيلومترا مربعا، وترتفع عن سطح البحر مئة وخمسةً وأربعين كيلومتر، أما القابها فعديدة مثل جاذبيتها، فمن عاصمة البوغاز إلى عروس الشمال وطنجة العالية وغيرها من الأسماء التي تترجم العشق لها.

من أشهر معالمها الطبيعية مغارة هرقل التي شاء لها تصريف الرياح وتوارد مياه البحر عليها أن تتشكل مثل خريطة أفريقيا، لتجسد المدينة بالفعل وصفها من كونها بوابة أوروبا نحو أفريقيا وأيضا بوابة أفريقيا نحو أوروبا.

نقطة لقاء

هي المدينة التي تجاور جبل طارق، وعند مضيقه تستنشق ريحا يمتزج بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، جوها معتدل في الصيف كما في الشتاء، يتكيف مع تقلبات الطقس، لا هو بالبارد جدا ولا بالساخن جدا، فالرياح تهب عليها من كل النواحي من المحيط الأطلسي والأبيض المتوسط، تحتوي على عدد متنوّع من التضاريس التي تتمثّل في الهضاب كهضبة مرشات، والسواحل الساحليّة كساحل البحر الأبيض المتوسّط، وساحل المحيط الأطلسيّ، والخلجان كالخليج الكبير، والبحيرات كبحيرة سيدي قاسم، والوديان كوادي الملاح، ووادي الشط، والجبال كالجبل الكبير، والغابات كغابة الرميلات، وغابة مسنانة.

طنجة هي أيضا «الطنجويون» أي سكان المدينة وأبناؤها الذين رضعوا حليب التواصل من ثدي المدينة الموضعة، التي لا يكاد يتذوق زائر بعضا من قطراته حتى يدمن عليها وينتمي إليها، وتحضرنا هنا ذكرى كتاب عالميين كبار سنعود إليهم لاحقا.

أهل طنجة هم من معالم المدينة أيضا، لا يمكنك أن تفقد البوصلة فيها، فالكل يدلك على مبتغاك، مسألة التيه فيها مستبعدة جدا، فلن تجد نفسك وحيدا أبدا، ومن يسأل يُجاب بدون تأخر أو تردد، قد تكون بعض هذه الملامح سائرة في طريق الزوال مثل باقي مدن المغرب الكبرى، أو بالأحرى كل مدن العالم الكبرى، هي الحداثة والعزلة داخل الذات التي تفرض قيمها الجديدة على سكان الكرة الأرضية.

من السكان نتوقف عند التاريخ مرة أخرى، ونسترجع حضارات متوسطية كانت طنجة حاضنتها، وهي غنية بماضيها الكبير والمشع، بين الانتماء الأمازيغي الأول إلى الحضارة العربية الإسلامية، مرورا بالحضارة الفينيقية واليونانية أيضا.

لكنها تظل المدينة الدولية دائما، فهي المنفتحة على الجميع والكل يجد ذاته فيها، يحس بالانتماء كما لو كان أحد أبنائها، تماما مثل مراكش الحمراء «الولّافة».

وتتوزع مدينة طنجة بين «مغوغة» وطنجة المدينة والشرف السواني وبني مكادة، وهي أيضا مركز تجاري بامتياز، بعد أن صارت قاطرة للتبادل التجاري المغربي مع العالم من خلال معلمتها الحديثة ميناء طنجة المتوسط.

والحديث عن التاريخ يجرنا حتما إلى التجول في بعض معالمها، المدينة القديمة القصبة، وأبوابها العتيقة كباب القصبة وباب حاحا وباب العسة، ومغارة هرقل، ومنتجع طنجة سيتي سانتر، وبرج النعام، والجامع الكبير، والكنيسة الإسبانيّة.

ومن ضمن الفضاءات الشهيرة وسط المدينة سور المعاكيز أو «المعكازين» كما يحب الطنجيون تسميته، وتعني الكسالى أو المتثاقلون بالدارجة المغربية. يقع هذا السور في أهم شارع في طنجة، وتعددت الأساطير حول سر تسمية هذا السور باسم سور المعاكيز الذي توجد فيه مدافع قديمة، فمنها من تقول إن شباب طنجة كانوا يقصدون السور للتطلع إلى ما وراء البحار والحلم بحياة أفضل في أوروبا، وأخرى ربطته بكونه نقطة كان يجتمع فيها كبار السن لأخذ قسط من الراحة أو لتمضية الوقت، لكنه صار اليوم قبلة للسياح من داخل المغرب وخارجه.

وكسائر المدن اللامنتهية في جمالها، تأسرك الأساطير التي تحوم حولها، فاسمها كما قيل في حكايات غابرة مستمد من طوفان بحريّ أدّى إلى حدوث صراع بين الرمز البحريّ القوي أطلس والعملاق أنطي، وكانت طنجة هي أرملة أنطي الذي قتله أطلس.

أما الحكاية الأخرى فترتبط بطوفان نوح المذكور في الكتب السماوية، كما توجد قصة تُشير إلى أن اسم طنجة يعود لاسم إحدى الأميرات التي سُمّيت المدينة على اسمها حتّى تكون تذكاراً لها.

ويبقى اسم طنجة لغزا مثل فتنتها، حتى معجم لسان العرب لم يطفئ الظمأ لمعرفة المزيد حيث ورد به اسم «طنوج» دلالة على طنجة بدون توضيحات.

ورغم الاختلاف حول معنى اسمها، فإن الكل يتوحد في الاقتناع بكون طنجة ساهم موقعها الاستراتيجيّ والتاريخي في أن تكون صلة وصل بين العديد من الحضارات. فقد مر من دربها العتيق الوندال، والبونيقيون، والرومان، والفينيقيون، وغيرهم من الشعوب الأخرى، وكل هؤلاء تدل عليهم آثارهم الباقية ومواقع تاريخية.

وكان لقاء الحضارة الإسلامية العربية بها، سنة 711 ميلادية، حين وصلها الفتح الإسلاميّ فأصبحت ممر عبور جيش المسلمين إلى أراضي إسبانيا بقيادة طارق بن زياد فاتح الأندلس.

ما يميز تاريخ طنجة أيضا، هو دورها المهم جدا في التبادل التجاري بين المغرب وباقي دول العمور وخاصة الدول الأوروبية، هذا الإغراء التجاري إن صح التعبير، دفع العديد من الدول إلى محاولة استعمارها والانفراد بها، لتنتهي الحكاية في الفترة الزمنيّة بين سنتي 1911 و1912 حين وُقّعَ بروتوكول طنجة الدولي، لتصبح المدينة سنة 1923 منطقة دوليّة مع إقليمها، وحُكمت طنجة بالاعتماد على اتفاقيّة عام 1925 التي جمعت بين مجموعة من الدول الكبرى وسلطان المغرب.

لغز المغارة وسحر الحافة

من بين الوجهات المفضلة لدى زائر طنجة مغارة هرقل التي تبعد عن وسط المدينة إلى الغرب بحوالي 14 كلم، فهي موقع أثري مذهل ورائع ومليء بالغموض. من الداخل، ومن خلال فجوتها الكبيرة التي تواجه المحيط الأطلسي، يمكن رؤية غروب الشمس ورأس مضيق جبل طارق، هذا المنظر المواجه للبحر جرى التقاط صور فوتوغرافية له آلاف المرات، لجماله بالطبع، ولكن أيضًا لأنه يتخذ شكل أفريقيا.

ويحظى الموقع بشعبية كبيرة، لكن ليس ذلك ما جعله مشهورًا جدًا. في الواقع، إذا كانت مغارة هرقل نقطة جذب سياحي في المغرب، فذلك لأن الموقع يحتوي على آثار احتلال ما قبل التاريخ بالإضافة إلى لغز أثري.

تقول الحكاية التي تنقلها بعض الموسوعات إن أفريقيا كانت متصلة بأوروبا، وتفصل هذه المنطقة المتوسطة بحر الروم (البحر المتوسط) عن بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ولما كان لأطلس ابن نبتون ثلاث بنات يعشن في بستان يطرح تفاحا ذهبيا ويحرسهن وحش، قاتله هرقل ابن جوبيتر وهزمه، لكن هرقل في غضبة من غضبات الصراع ضرب الجبل فانشق لتختلط مياه المتوسط الزرقاء بمياه الأطلسي الخضراء، وتنفصل أوروبا عن أفريقيا، ثم يتزوج هرقل ابنه سوفاكيس لإحدى بنات نبتون ليثمر زواجهما بنتا جميلة أسموها طانجيس، ومنها جاء اسم مدينة طنجة؛ وفق الرواية الأسطورية طبعًا.

مكان آخر لا يقل جاذبية بالنسبة لأبناء طنجة وزوارها، هو مقهى الحافة الذي يمتد تاريخه لما يقرب من 100 عام. مكان أسطوري معروف عالميا بإطلالة ساحرة على المحيط الأطلسي

بُني المقهى عام 1921 على منحدر أو حافة كما يشير إلى ذلك الاسم، ويوفّر إطلالة رائعة على مياه البحر. موقعه، وأجواؤه، شاي النعناع الشهير الخاص به، كل ذلك وغيره أغرى الكثير من المشاهير لزيارته بمن فيهم فرقة ذا رولينج ستونز، وفنان البلوز والروك الشهير جيمي هندريكس، والممثل والمنتج شون كونري، والكاتب بول باولز... لقد غيّر الزمن كل شيء ما عدا هذا المكان؛ ظلّ صامتًا وساحرًا كما كان من قبل. جيلًا بعد جيل، يلتقي لاعبو الشطرنج والشعراء والكتاب والفنانون والعشاق وعموم الناس.

كتاب أقاموا في طنجة

متعة الحكي عن طنجة لا تتوقف بالجولات والتأملات، بل أيضا بقراءة ما كتب عنها بأقلام كبار الأدباء وما رسم بريشة كبار التشكيليين، وكما أسلفنا يبقى محمد شكري أحد معالم طنجة الثقافية، فهو صاحب الرواية المغربية الأشهر على الإطلاق «الخبز الحافي» والتي ترجمت إلى العديد من اللغات.

لكن أيضا، يبقى إلى جانب حضور شكري، هناك حضور وازن آخر للكاتب الامريكي بول بولز الذي عاش ومات في طنجة، هذا الكاتب الذي ظل وفيا لعاصمة البوغاز ويزفها في ذاكرته بالفعل كعروس الشمال.

سلسلة الأسماء لا تتوقف عند شكري وبولز فقط، بل تتواصل لتبلغ الكاتب الأمريكي براين جيسن الذي اضطره مرضه المزمن إلى مغادرة طنجة، لكن ارتباطه بالمدينة لم يخفت أبدا فقد أوصى بأن ينثر رماده في أماكن معينة بالمدينة، وهو ما أوفت به آن كومين فيليستي التي حملت رماده وقامت بنثره في أماكن متفرقة.

أيضا الصحافي والتر هاريز، الذي عمل في صحيفة «تايمز» اللندنية، أوصى بدوره أن يدفن بطنجة، إلى جانب هؤلاء يقف أيضا اسم كبير وهو الكاتب الفرنسي جان جينيه، الذي عشق طنجة ودفن بالقرب منها وبالضبط في مدينة العرائش.

بين المقيمين والعابرين والزائرين، كان هناك رابط قوي هو عشق طنجة، ونذكر من بين هؤلاء الزوار المفتونين بحب عاصمة البوغاز: جيرترود شتاين، والكاتب الأمريكي تينسي وليامز، والمخرج الإيطالي برناردو بيرتولوتشي، والكاتب الأمريكي جون ستينهام، والكاتب الأمريكي اللاتيني رودريغو راي روسا، والروائية الفرنسية فيليسي ديبوا، والكاتب المسرحي صاموئيل بكيت، ودولاكروا، ومارك توين، وبراين جيسن، وترومان كابوتي، وجاك كروك، وألفريد تشستر، وروبين داريو، وبلاسكو إيبانيت، وبيوباروخا وليام بروز، كما نالت طنجة زيارة من فرقة موسيقية شهيرة جدا وهي «رولينغ ستون».

للكتاب العرب أيضا كان نصيب من عشق طنجة، فهم على تواصل معها ومع الكتاب المغاربة زملائهم في القلم يسردون قصصهم المتفرقة في كلمات تبقى راسخة في ذهن القارئ.

ميناء طنجة المتوسط

من المستحيل أن تذكر طنجة الحديثة من دون أن تذكر ميناءها الكبير الذي أعطى نفسا جديدا للاقتصاد المغربي، ومنح الريادة بعد أن راكم سنوات من العمل الدؤوب ونال ثقة القريب والبعيد من دول العالم حتى تبوأ في أكثر من مرة المراتب الأولى عالميا.

وتحضرني هنا ورقة كتبتها وكالة الأنباء الفرنسية، كانت عبارة عن غزل في المدينة وميناء طنجة المتوسط، الذي «قَلَبَ شكل المدينة وحياتها رأسا على عقب، وبثّ فيها روحا من الحداثة تتعايش جنبا إلى جنب مع الأصالة التي تطبع عاصمة البوغاز بعد وقت طويل من النسيان».

وتتابع الوكالة ورقتها، مشيرة إلى أن «السيّاح الذين يجوبون المدينة في حافلات حمراء مكشوفة، صاروا يرون الأسوار والواجهات التاريخية في طنجة العتيقة. أما الكورنيش، فهو شاهد على حداثة تجتاح المدينة في الآونة الأخيرة».

وبخصوص ميناء طنجة المتوسط، الذي دشنه العاهل المغربي الملك محمد السادس سنة 2013 فيندرج ضمن برنامج ضخم لإعادة هيكلة المدينة.

المشروع الكبير، به استثمارات تقدر بـ7.6 مليارات درهم (حوالي 630 مليون يورو) خصص ربعها للواجهة البحرية.

ومنذ ذلك الحين، صار ميناء طنجة المتوسط حجر الزاوية في بناء نهضة اقتصادية مغايرة وتسريع وتيرة النمو حتى صار من أهم موانئ العالم وأكثرها قدرة على جذب السفن والبواخر العالمية.

السؤال الذي يظل عالقا في ذهن الزائر لطنجة، هل يستطيع أن يتجاهل العودة إلى عاصمة البوغاز وأن يمني نفسه بلقاء متجدد مع عروسة الشمال؟ الجواب حتما لا، فالزائر عائد والعابر قد يصبح مقيما في طنجة العالية.

رياضة

التصور الأولي لمشروع نيوكاسل الانكليزي تحت ملكية السعوديين؟

نادي نيوكاسل أصبح ملكية سعودية

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

ما زالت مظاهر الفرح تعم الشوارع في مدينة نيوكاسل، احتفالا بإتمام أهم وأعظم الصفقات في تاريخ الكيان، والمؤجلة منذ ما يزيد على عام، بنقل الملكية من الملياردير البخيل مايك آشلي إلى صندوق الاستثمار السعودي، مقابل حصول الثري البريطاني على قرابة الـ300 مليون جنيه إسترليني، وسط توقعات تلامس عنان السماء، بتحويل وتعديل أوضاع النادي، من فريق يعيش على أطلال الماضي وسقف طموحه البقاء على قيد الحياة في الدوري الإنكليزي الممتاز، إلى واحد من الجبابرة والمنافسين الأقوياء على البطولات المحلية والقارية في غضون سنوات تعد على الأصابع.

رسائل العرابة

كشفت مهندسة صفقة استحواذ السعوديين على أسهم جيوش المدينة أماندا ستافلي، عن النوايا والخطوط المستقبلية لوصول أسعار وأجور اللاعبين إلى أرقام غير مسبوقة في التاريخ، مقارنة بالأرقام التي كان ينفقها رومان آبراموفيتش في بداية حقبته مع البلوز.

ونفس الأمر بالنسبة للنادي السماوي والآخر الباريسي، إلى أن خرجت الأسعار عن السيطرة بسبب التضخم الأخير في السنوات الأربع أو الخمس الماضية، فضلا عن ضرورة الاستعراض والتضحية بأموال إضافية، لجذب وإقناع النجوم بفكرة القدوم إلى «سان جيمس بارك»، لوضع حجر أساس مشروع التحول العظيم، مثلما حدث في تجربة تشلسي الرائدة، بالتوقيع مع هيرنان كريسبو، كأول صفقة كبرى في نافذة 2003، أو بمعنى آخر أول هدية للجماهير في عهد الإدارة الجديدة، حتى الإدارة الإماراتية المستحوذة على السكاي بلوز، أحدثت ضجة على نطاق واسع في أول يوم بعد إبرام صفقة الاستحواذ، بضم اللاتيني الآخر روبينيو من ريال مدريد، كأفضل صفقة دعائية للعصر الجديد. وعلى سيرة أبناء القارة اللاتينية، كان البرازيلي ماكسويل، أول توقيع للعملاق الباريسي في شتاء 2012، قبل أن يتوافد إليه صديق رحلة الكفاح زلاتان إبراهيموفيتش وباقي الرجال الأوائل، الذين رسموا ملامح وشخصية باريس سان جيرمان الذي نعرفه الآن.

معضلة المدرب

نستنتج مما سبق، أو بمعنى آخر، من المسار المجرب من قبل مع نماذج الاستثمارات الضخمة في عالم المركولة المجنونة، أن نيوكاسل يونايتد سيتعاقد على الأقل مع لاعب ذي وزن وثقل كبير في السوق، وبلغة كرة القدم «صفقة إعلامية»، منها لإحداث «بروباغاندا» في الوسط، ومنها أيضا رفع الحالة المعنوية للمشجعين، بخلاف الرسائل الخفية للسوبر ستارز المنفتحين على فكرة الانضمام إلى المشروع بعد استقرار الأوضاع مع بداية الموسم الجديد. لكن ما سيبقى غامضا، هو مستقبل المدرب ستيف بروس، صحيح هو يعرف أكثر من غيره، أن أيامه باتت معدودة هناك في الشمال الشرقي للبلاد، لكن لا أحد يستطيع التنبؤ بالموعد المحدد للتخلص منه، حيث تخبرنا التجارب السابقة، أن الملاك الجدد الأثرياء، لا يغضون دائما التضحية بالمدرب المعين مع وصولهم، والدليل على ذلك ما حدث مع الإيطالي كلاوديو رانييري، الذي أبقى عليه آبراموفيتش لمدة عام بعد شراء النادي، رغم أنه كان كثيرا ما يصرح أمام الكاميرات أنه يتوقع إقالته في مايو/آيار، لكنه احتفظ بمنصبه إلى أن سلم المهمة لجوزيه مورينيو في صيف 2004، وأيضا الويلزي مارك هيوز، تحملته الإدارة الإماراتية قرابة الـ18 شهرا بعد امتلاك النادي، إلى أن وقع الاختيار على المؤسس الحقيقي لنهضة المان سيتي الأنيق روبرتو مانشيني أواخر 2009، فيما كان أنطوان كومبارييه أقل حظا من نظرائه، بطرده من «حديقة الأمراء» بعد شهرين من وصول رجل الأعمال القطري ناصر الخليفي إلى سُدّة حكم النادي الباريسي، وذلك لتعيين القيدوم الإيطالي كارلو أنشيلوتي، لذا قد يستمر ستيف بروس لفترة أطول من توقعات الصحافة والمصادر الموثوقة، بأنه سيغادر النادي بعد نهاية مباراة توتنهام، لكن ما يصعب الاختلاف عليه، أن هناك واحدا من الكبار في عالم التدريب، سيكون على رأس القيادة الفنية لنيوكاسل في المستقبل القريب، وأغلب الترشيحات تصب في مصلحة رجل الغرينتا أنطونيو كونتي، لما يملك من خبرات وسمعة تسبقه في بناء المشاريع، لعل آخرها كان إنجازه التاريخي، بقيادة ناديه السابق الإنتر لوقف احتكار يوفنتوس لبطولته المفضلة الدوري الإيطالي، كأول لقب كالتشيو في سجل الأفاعي منذ الانفصال عن جوزيه مورينيو عام 2010.

بدلاء آخرون

ووضع اسم كونتي في قائمة المرشحين، لابتعاده عن المهنة منذ رحيله عن النيراتزوري الصيف الماضي، اعتراضا على سياسة الإدارة الصينية، بضرورة التخلي عن أهم الأسماء التي ساهمت في إنجاز السيريا آه، لأسباب تتعلق بالأزمة المالية الطاحنة التي يمر بها النادي، لكن هناك مصادر، ادعت أن أنطونيو يضع عينيه على أحد كبار إيطاليا أو أوروبا، وليس الذهاب إلى مغامرة مجهولة. وكما نعرف جميعا، تضم قائمة المرشحين أسماء أخرى، منها مدرب ليستر بريندان رودجرز، لتمتعه بالكثير من المواصفات المطلوبة في مؤسس المشروع الجديد، منها أفكاره وأساليبه الهجومية الحديثة، التي أثارت إعجاب المشجعين المحايدين في أوج لحظاته في تجربته الشهيرة مع ليفربول والآن مع ناديه الحالي ليستر، ومعه أسطورة تشلسي ومدربه السابق فرانك لامبارد، بعد عمله الكبير مع البلوز، بداية بإنقاذ النادي في موسم عقوبة الفيفا بمنعه من الشراء، ثم باختياراته التي شكلت ذاك الفريق المخيف الذي فاز معه توماس توخيل بكأس دوري أبطال أوروبا الموسم الماضي، ويتساوى معهما في الفرص، الإنكليزي الآخر ستيفن جيرارد، وذلك لإنجازه الكبير مع ناديه غلاسغو رينجرز، بقيادته للفوز بالدوري الاسكتلندي، واضعا حدا لمسلسل هيمنة عدوه اللدود سيلتك على اللقب طيلة العقد الماضي. وهناك أسماء أخرى تظهر فجأة على الساحة ثم تختفي، لعل أشهرها أسطورة

عرابة الصفقة أماندا ستافلي تتحدث الى الاعلاميين

بل لحالة الغضب والاستياء الجماهيري اتجاه المدرب، بسبب أفكاره الدفاعية المبالغ فيها، التي تحد كثيرا من قدرات الفريق وشكله الهجومي، بخلاف ما يشاع عنه، أنه مدرب تفوح منه الطاقة السلبية، وعلاقته ليست جيدة باللاعبين، ومثل هكذا عيوب ومشاكل، لا تتماشى ولا تتوافق مع أهداف وطموحات الملاك الجدد، الذين يخططون لوضع النادي في مكانة ووضعية مختلفة عن حاله المأساوي في الوقت الحالي.

رجال المشروع

أشرنا أعلاه إلى أن الإدارة الجديدة ستقوم بشراء لاعبين جدد في نافذة انتقالات اللاعبين الشتوية، وفي الغالب سيكون منهم لاعب أو اثنان من مشاهير اللعبة، ولعل أغلب المصادر تتحدث عن منيوذ برشلونة فيليب كوتينيو، حتى أن صحيفة «سبورت» المقربة من النادي الكتالوني، تزعم أن هناك اتفاقا مسبقا بين بيئة اللاعب وممثلي الاستثمار السعودي، ويقال أن التواصل لم يتوقف حتى بعد تعثر محاولة الشراء في الشهور الـ12 الماضية، وفي حقيقة الأمر، تبدو صفقة منطقية ورابحة لكل الأطراف، حيث يحتاج نيوكاسل لنوعية خاصة من اللاعبين، تجمع بين الخبرة والجودة، لرفع كفاءة ومستوى الفريق، بهدف الإسراع في عملية تغيير الجلد، وأيضا البلوغرانا، في أمس الحاجة لعشرات الملايين، التي سيضحي بها العملاق المنتظر، للتغلب على الأزمة المالية الطاحنة التي يمر بها الآن، فضلا عن التخلص من كابوس راتب اللاعب البرازيلي الباهظ، مقارنة بما يقدمه مع الفريق، وهو لا يعطي أي شيء للفريق، كأن هناك لعنة أصابته منذ تمرد على ليفربول من أجل تحقيق حلم الذهاب إلى «كامب نو»، والدليل على ذلك الانتكاسات المتكررة التي تلاحقه بلا توقف، سواء في بدايته أو حتى بعد عودته من إعارته مع بايرن ميونيخ، والأمر المثير بحق، أن معدل إصاباته في تجربته مع البايرن، كان لا يقارن بمعدله المرعب مع البارسا، لذا، قد يكون خروجه من مدينة برشلونة وعودته مرة أخرى إلى الدوري الإنكليزي الممتاز، بمثابة مفتاح السعادة وإحياء مسيرته قبل فوات الأوان، أو بالأخرى قبل أن يجد نفسه مجبرا على اللعب في الدوري الأميركي أو في منطقة الخليج، طالما أراد الحفاظ على مستوى معيشته الحالية.

وهناك عدد لا بأس به من الأسماء اللامعة، سواء في البريميرليغ أو خارجه، اقترن مستقبلها بأحداث المشاريع الضخمة في ملاعب إنكلترا، منها حامي عرين ريال مدريد في سنوات احتلال أوروبا وحارس باريس سان جيرمان الحالي كيلور نافاس، أيضا للاستفادة من خبراته التي لا تقدر بثمن، وأيضا لإمكانية خروجه من «حديقة الأمراء»، بنفس الطريقة التي أكره بها على الخروج من «سانتياغو بيرنابيو»، بوضعه في المرحلة القادمة على مقاعد البدلاء لأفضل لاعب وحارس مرمى في بطولة اليورو الأخيرة جيجي دونارما، خاصة بعد تألقه في ليلة الثأر من مانشستر سيتي بثنائية نظيفة في قمة مواجهات الجولة الثانية لدوري أبطال أوروبا، مثلما ترك عرينه للبلجيكي تيبو كورتوا في الموسم التالي لحملة الاحتفاظ بذات الأذنين للمرة الثالثة تواليا والثالثة عشرة في تاريخ النادي. أما الأكثر انتشارا، فهو ما يتردد عن النية السعودية المبيتة، لعمل «غارة انتقالية» على مانشستر يونايتد، ذاك المصطلح الذي استخدمته صحيفة «ذا صن»، لتسليط الضوء على الصفقات الأربع التي يستهدفها نيوكاسل من «الشياطين الحمر»، سواء على المستوى القريب أو البعيد، يأتي في مقدمتها ضحية المدرب النرويجي أولي غونار سولشاير، والإشارة إلى دوني فان دي بيك، الذي تظهر جُل المؤشرات، أنه يعيش أيامه الأخيرة في الجزء الأحمر لعاصمة الشمال، لصعوبة تحمله دفء مقاعد البدلاء لمدة 18 شهرا، وبطبيعة الحال، إذا صدقت الأنباء التي تضعه في جمل مفيدة مع جيوش المدينة، سيكون ظهوره بالقميص الأبيض والأسود مجرد مسألة وقت، رغم ما يتردد في الإعلام الكتالوني والمدريدي، عن وجود نية لاستغلال وضعه المأساوي مع اليونايتد، باعتباره واحدا من المرشحين القدامى، الذين أثاروا إعجاب عملاقي الليغا في فترة توهجه مع ناديه السابق أياكس أمستردام. وتشمل القائمة المختصرة للاعبي مانشستر يونايتد المستهدفين في المستقبل القريب، الدولي الإنكليزي جيسي لينغارد، كصفقة مميزة على المستوى المحلي، كما أثبت بشكل عملي في تجربة إعارته الناجحة مع ووستهام، على عكس معاناته مع اليونايتد، كأغلب اللاعبين في زمن المدرب الاسكندينافي، وما قد يساهم في إتمام الصفقة، حاجة اللاعب للعب بصفة مستمرة، لضمان البقاء في معسكر منتخب بلاده، قبل أن يستقر المدرب غاريث ساوثغيت على التوليفة التي سيعول عليها قبل السفر إلى الدوحة للمشاركة في المونديال المنتظر، هذا بخلاف إمكانية تخلي النادي عنه بسهولة في النافذة الشتوية، وذلك لتفادي هروبه بدون مقابل بعد ستة شهور من غلق ميركاتو يناير/كانون الثاني، ومعه الثنائي إيريك بايلي وأنطوني مارسيال، كونهما عناصر فائضة على الحاجة، في ظل وجود ثنائية رافاييل فاران وهاري ماغواير والبديل فيكتور ليندلوف على مستوى الدفاع، وفي الهجوم حدث ولا حرج عن الأسلحة الثقيلة، التي عقدت مهمة المهاجم الفرنسي في الحصول على دقائق لعب أكثر، فيما تدعي الكثير من الصحف الإسبانية، أن الغول الجديد يضع عينيه على صفقة مجانية أو اثنتين من ريال مدريد، إما إيسكو أو مارسيلو، للاستفادة من عروض الملكي المجانية. وقبل هؤلاء جميعا، بمن فيهم المدربون المرشحون لقيادة الفريق، يقال أن مكتشف النجوم لويس كامبوس، هو من سيُكلف بوضع حجر الأساس، أملا في تكرار ما فعله في تجاربه السابقة في وطنه البرتغال وفرنسا، باكتشاف جواهر بحجم كيليان مبابي ورادااميل فالكاو وليمار ونيكولاس بيبي وخاميس رودريغز وآخرين.

أكبر الخاسرين

لا شك أبدا أن استحواذ الصندوق السعودي على نيوكاسل، سيكون له ضحايا وخاسرون أو يكون سببا في ازدهار البريميرليغ ووصوله إلى مستوى يفوق نسخته المثيرة الحالية، وذلك إما بهدم ما تبقى من أطلال آرسنال مع الأستاذ آرسين فينغر، ومعه الجار العدو توتنهام والمنافس الطموح ليستر، ليعود المصطلح القديم «الأربعة الكبار»، الذي ظل حكرا على مانشستر يونايتد وتشلسي وليفربول وآرسنال، إلى أن توحش النادي السماوي وتبدلت أوضاع الديوك في العقد الماضي، وإما يتم فتح القوس لتعديل المصطلح لـ«السبعة الكبار» أو الثمانية، إذا أفلت فريق المدفعجية من الموج العالي القادم، وحافظ كل من السبيرز والشعالب على صموده أمام الحيتان الضخمة قبل أن تتفاوت موازين القوى في مرحلة ما بعد استحواذ السعوديين على نيوكاسل، كمؤشر الى أن العشرية الجديدة ستشهد الكثير من التحولات وسجلات الأندية البطلة، سواء في البريميرليغ أو دوري أبطال أوروبا، كما فعلها تشلسي بكسر هيمنة اليونايتد وآرسنال على الألقاب المحلية، بالتتويج بالبريميرليغ 5 مرات منذ وصول آبراموفيتش في بداية القرن الجديد، بالإضافة إلى لقبي دوري الأبطال، وهو الفريق الإنكليزي الوحيد الذي «هز» الكأس مرتين في هذه الألفية، بخلاف باقي الكؤوس المحلية، وكذا مانشستر سيتي وباريس سان جيرمان، وكلاهما اكتسب سمعة الفريق البطل والمرشح للفوز ببطولته المحلية الرئيسية والأبطال، وهذا تحقق بعد 10 سنوات من بدء الاستثمار وضخ الملايين، والسؤال الآن: هل سيكون نيوكاسل لاعبا أساسيا في تقسيم البطولات المحلية والقارية في المرحلة المقبلة؟ دعونا ننتظر ونتابع تفاصيل هذه الرواية الجديد.

المدرب ستيف بروس يعلم أن أيامه معدودة في نيوكاسل

مرموش أول خليفة واعد لمحمد صلاح في مصر

مصر ـ «القدس العربي»:

مرموش، قدمه اليمنى تسرّ الناظرين، لما لديه من موهبة تنبض بالإبداع وما يُعرف بالخيال الكروي، متسلحا بعنفوان وطاقة الشباب، مع جرأة وثقة فولاذية في النفس، تتجلى في شخصيته داخل الملعب، خصوصا مكانه المفضل في الثلث الأخير من الملعب، حيث تظهر قدراته في الانطلاق والمراوغة، كلاعب أشبه بالسهم الجارح في دفاعات الخصوم، مرتكزا على سرعته الجنونية والكرة بين قدميه، وكثرة حلوله الفردية، وأهم من هذا وذاك، إيجابيته وشراسته على المرمى، مجسدا مقولة نابليون بونابرت: «لا توجد كلمة مستحيل في قاموس الضعفاء»، بعد نجاحه في تحقيق جزء كبير من أحلامه في مسيرته الاحترافية في وقت قياسي.

عمر مرموش يسير على خطى صلاح نحو العالمية

جعل العالمي أحمد حسام (ميدو)، يعطيه الفرصة التي يحلم بها الجميع في قطاع الشباب، بتصعيده إلى الفريق الأول، ليستغلها على أحسن وجه، بتقديم أوراق اعتماده، كلاعب مراهق صاعد إلى سماء النجومية بسرعة الصاروخ، ليتم ربط مستقبله بالعملاقين الأهلي والزمالك عام 2016، لكن لم يحدث أي شيء على أرض الواقع، ليجد نفسه مجبرا على الطريق الأصعب، الذي سلكه أبو مكة في النصف الأول من العقد الماضي، وذلك بالبحث عن مغامرة في أوروبا، على أمل أن يبتسم له الحظ، ويحقق حلمه الكبير، باللعب في أعلى مستوى تنافسي في كرة القدم، تاركا الطريق السهل، بما في ذلك أريحية تثبيت أقدامه في التشكيل الأساسي وحياة الصخب في الأماكن الخاصة لأثرياء القاهرة.

أول الغيث قطرة

وجد مرموش الضوء في نهاية الطريق، بعدما تلقى ثلاثة عروض، منها عرض من بوروسيا دورتموند وآخر من ملقة الإسباني، لكنه كما يقول انحاز لعرض فولفسبورغ، لتوافر الشرط الرئيسي، الذي كان يبحث عنه قبل السفر إلى أوروبا، وهو الذهاب لبيئة تساعده على تطوير وتحسين مستواه من الناحية والفنية، حتى تكون فرصه أقوى وأسرع في الحصول على فرصته وإظهار موهبته، كما حدث من قبل مع أسماء لامعة مرت عبر نفس النادي، من نوعية كيفن دي بروين وإيدين دجيكو. وبعد معاناة دامت عامين من أجل التأقلم على الأجواء والطقوس الألمانية المختلفة عن المصرية، بدأ يخطف الأنظار في مسيرته الاحترافية، تماما كما حدث مع أبو صلاح في رحلته الشاقة للوصول لهرم النجاح والنجومية، غير أنه يتشارك مع مثله الأعلى، في إجماع كل الفئات على حبه، لعدم انتمائه لواحد من الإخوة الأعداء الأهلي والزمالك. وبالطبع، مرموش لن يكون آخر تلامذة مدرسة صلاح لـ«تحويل الأحلام إلى حقيقة»، بعدما كان سببا في تشجيع رفقاء الدرب في مرحلة الشباب ومن هم أصغر منهم على الاحتراف في أوروبا بوجه عام والدوري الإنكليزي خصوصا، في عمر الزهور، بعدما كان حلما بعيد المنال، لكل من حصد جائزة أفضل لاعب صاعد في البوندسليغا الشهر الماضي، لتنقلب حياته رأسا على عقب في نهاية ذلك الشهر.

مولد نجم

تعرض المدرب الجديد للمنتخب المصري كارلوس كيروش، لانتقادات لاذعة، بسبب قرار ضم مرموش قبل مواجهة ليبيا الحاسمة في الجولة الثالثة لتصفيات كأس العالم 2022، في الوقت الذي قام فيه المدرب البرتغالي باستبعاد أسماء بوزن محمد مجدي (أفشة) وشريكه في الأهلي وهداف الدوري المصري محمد شريف، وعكس أغلب التوقعات، بأن لا يقدم أي إضافة للفريق، تكفل بالرد عمليا على كل المشككين، بسحب البساط من تحت قدم القائد والقدوة محمد صلاح، بأداء خرافي منها هاتريك في شباك هانوفر، في البوندسليغا الشهر الماضي، في دوري القسم الثاني، ليجني ثمار التعب والمثابرة، بالظهور في 6 مناسبات مع الفريق الأول في نهاية حملة 2019 –2020، بواقع 5 مباريات في البوندسليغا ومباراة في اليوروبا ليغ، لكن بعد ذلك، غاب عن المشاركة في أول ستة شهور في بداية موسم 2020–2021، ما اضطر لقبول عرض الذهاب إلى سانت باولي على سبيل الإعارة في النصف الثاني من الموسم، وحسنا فعل، بتسجيل سبعة أهداف وصناعة ثلاثة، ليخطف أنظار الكثير من أندية البوندسليغا، وفي الأخير، حط الرحال في شتوتغارت على سبيل الإعارة النهائية الموسم الجاري، كثاني لاعب مصري يذهب إلى «ميرسيدس بنز آرينا»، بعد أحمد صلاح حسني، الممثل الحالي، لتنفجر موهبته بالطريقة التي مكنته بتمثيل الفراعنة في أولمبياد طوكيو 2020.

تلامذة البطل

صحيح اليافع العشريني، بالكاد وضع قدميه على أول الطريق الصحيح، لكن الشيء المؤكد، أنه استلهم الطموحات والمغامرة برمتها من تأثير البطل القومي محمد صلاح، الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الطامحين في تحقيق أحلامهم، وهذا باعترافه في مقابلة تلفزيونية أجراها قبل عامين، تمنى خلالها أن تسير الأمور كما يخطط لها، بالتدرج بخطى ثابتة للأعلى في مسيرته الاحترافية، تماما كما حدث مع أبو صلاح في رحلته الشاقة للوصول لهرم النجاح والنجومية، غير أنه يتشارك مع مثله الأعلى، في إجماع كل الفئات على حبه، لعدم انتمائه لواحد من الإخوة الأعداء الأهلي والزمالك. وبالطبع، مرموش لن يكون آخر تلامذة مدرسة صلاح لـ«تحويل الأحلام إلى حقيقة»، بعدما كان سببا في تشجيع رفقاء الدرب في مرحلة الشباب ومن هم أصغر منهم على الاحتراف في أوروبا بوجه عام والدوري الإنكليزي خصوصا، في عمر الزهور، بعدما كان حلما بعيد المنال، لكل من حصد جائزة أفضل لاعب صاعد في البوندسليغا الشهر الماضي، لتنقلب حياته رأسا على عقب في نهاية ذلك الشهر.

وهدف لن يمحى من الذاكرة، ليصبح حديث الساعة في مصر، ما بين فئة تضرب أخماسا بأسداس، كنوع من أنواع الانبهار بالموهبة أو الهدية الجديدة للمنتخب، وفئة أخرى تستغل الحدث، للتشكيك في كفاءة المسؤولين عن الكرة والمحسوبية في اختيارات المدربين، خصوصا المكلفين بالتقاط وإعداد المواهب الخام في منتخبات الشباب، ما ساهم في فتح الدفاتر القديمة لمدرب المنتخب الأولمبي القديم الجديد شوقي غريب، بعد قرار إعادته مرة أخرى إلى منصبه، والذي جاء قبل أيام قليلة من ظهور مرموش اللافت في أول مباراتين ضد ليبيا، كأن الكرة أرادت تصفية الحسابات الخاصة، بحصوله على دعم واعتراف الملايين، بأنه مشروع لاعب من الطراز العالمي، في نفس وقت موجة الهجوم الكاسح على المدرب الذي حرمه من حلم المرافقة.

أرجنتين ميسي... بلاد فضية تسير على درب الذهب!

لندن ـ «القدس العربي»: جواد صيدم:

بعد سنوات طويلة مليئة بالمطبات والعثرات، عاد المنتخب الأرجنتيني ليطفو على الساحة الكروية العالمية. فبعد تحقيق «الألبيسيلستيه» لكأس العالم للمرة الأخيرة عام 1986، لم ينجح بتحقيق اللمعان مرةً أخرى. إذ لم يتمكن مواطنو مارادونا من تحقيق كأس العالم مرةً أخرى. فلولا كوبا أميريكا في 1991 و1993 وكأس القارات 1992 والميداليتان الأولمبيتان في 2004 و2008 لخرج المنتخب من معادلة صفوة منتخبات العالم بعد اللقب العالمي الأخير في 1986.

ميسي يحتفل أخيراً مع زملائه بلقب للأرجنتين

فخلال السنوات الماضية لم نشهد تكافؤاً في المراكز، إذ لم تخل التشكيلة من التغرات في عدة مراكز، ما جعل التذبذب عادةً سمة مواجهات المنتخب على الصعيد الدولي والقاري. وعند الحديث عن منتخب الأرجنتين فنحن في حضرة ريكيلمي وباتستوتا وزانيتي وباسارلا وماريو كيمبيس وكون أغويرو والساحر دييغو مارادونا. ولأن الأرجنتين هي مسرح الأبطال والمواهب الاستثنائية، فهي من أنجبت أيضاً أحد أعظم لاعبي المستديرة عبر التاريخ ليونيل ميسي. ولأن ميسي جزء من منتخب البلاد الفضية فإن التطلعات والطموحات والعدسات الإعلامية تتضاعف مع كل مواجهة. إذ تصب معظم أراء النقاد في أن ميسي هو السبب الرئيس في تأهل الأرجنتين لثلاثة نهائيات في القارة اللاتينية وكأس العالم خلال العقد الأخير. فبالنظر إلى أسماء اللاعبين في تشكيلة المنتخب على مدار العقد الأخير لرأينا ثغرات في كافة المراكز. وهنا نقصد أن أسماء اللاعبين المكونين للمنتخب لا تصل إلى طموحات البلاد الفضية ولا لمكانتها التاريخية. إذ شعرنا بأن الجيل الذي رافق البرغوث لا يملك الـ«دي أن ايه» الأرجنتيني.

لكن مع انتهاء كأس العالم 2018 وطرد المدرب خورخي سامباولي الذي أنتج أحد أسوء النسخ الأرجنتينية على الإطلاق، تم تعيين نائبه ليونيل سكالوني خلفاً له. ولم يكن القرار محط تفاؤل لجماهير الألبيسيلستة نظراً لقلة خبرة سكالوني التي تقتصر على منصب «مدرب مساعد» لفريق إشبيلية ومنتخب الأرجنتين فقط. لكن مع انطلاق مواجهات تصفيات قارة امريكا الجنوبية لكأس العالم في قطر 2022 بدأ المنتخب يأخذ شكلاً مقبولاً ليتطور تدريجياً مباراةً تلو الأخرى.

وقبل انطلاق كوبا أميريكا 2021، كانت مشاعر غامضة تسود جماهير البلاد الفضية. إذ لم تتضح معالم المنتخب نظراً لقلة المدة التي أمضاها المدرب على مقاعد البدلاء، ولخسارته المهينة من البرازيل في الأراضي البرازيلية في البطولة ذاتها قبل مركز قلب الدفاع وحراسة المرمى والوسط بأسماء عالية تنشط في الدوريات الخمس الكبرى، كماركيستيان رومييرو وإيميليانو مارتينز ورودريغو دي بول نجح الألبيسليسته في تحقيق الكوبا أميريكا لأول مرة منذ 1993.

وتكمن أهمية هذا الإنجاز لكونه اللقب الدولي الأول لأحد أعظم اللاعبين عبر التاريخ ليونيل ميسي. كما ويحمل أهمية خاصة نظراً لتحقيقه في استاد «ماراكانا» في ريو دي جانيرو في قلب العاصمة الكورية البرازيلية والغريم الكوري التاريخي للأرجنتين. لكن الأهمية الأبرز لهذا الإنجاز تكمن في إنشاء منظومة صلبة حول ميسي، والتي افتقدها المنتخب وميسي بالذات لسنوات طويلة. عندما تملك لاعبا بهذه الصفات عليك الاستفادة من قدراته على أرضية الميدان. ومن خلال خلق هذه البيئة الدافئة والعقلية الصلبة للاعبين بات المنتخب الأرجنتيني على الطريق الصحيح لتحقيق طموحاته في الظفر بكأس العالم العام المقبل.

الفوز باللقب القاري لا يعني إطلاقاً أن الأرجنتين ستجد نفسها أمام مواجهة سهلة في الملاعب القطرية. إذ أن الألبيسليسته لا يدخل في قائمة المنتخبات الخمس الأفضل في العالم من ناحية الإمكانيات اليوم، إلا أنه وبعقلية انتصارية كهذه وبقنبلة سحرية كميسي في صفوفه، يحق له الإيمان بفرصه القوية للخروج بالميدالية الذهبية في قطر مع نهاية العام المقبل!

خلدون الشيخ

لماذا أصبحت الكرة الذهبية أهم من الفوز بكأس العالم؟

في نهاية الشهر المقبل سيتم الاعلان عن الفائز بجائزة «الكرة الذهبية»، الشهيرة بـ«بالون دور» لأفضل لاعب في العالم، والمقدمة من مجلة «فرانس فوتبول»، والتي باتت تدغدغ أحلام العشرات من النجوم بعد فتح باب المرشحين على مصراعيه، ضمن حملات مقصودة وأخرى غير مباشرة.

عادة عندما تسأل طفلاً يحلم باحتراف كرة القدم، عن أمنياته، تصب الاجابة دائماً في خانة احراز أبرز الألقاب العالمية، من كأس العالم الى كأس الامم القارية والدوريات المحلية، لكن اليوم عقلية نجم الغد اختلفت، وبات التفكير بالجوائز الفردية كقمة التقدير لموهبته، والسبب انها ألقاب شخصية وليست جماعية، وهو الطريق الذي سلكه عدد من النجوم، وعلى رأسهم كريستيانو رونالدو، الذي لم يخف أبداً هوسه باحراز كل الألقاب الفردية الممكنة.

في الواقع منذ 2008 لم تفلت «الكرة الذهبية» من قبضتي النجمين رونالدو وعدوه ليونيل ميسي، سوى مرة واحدة في 2018 عندما ذهبت الى لوكا مودريتش، أي انهما فازا بـ11 من اصل 12 جائزة، رغم انه في عدد من المواسم كان يجمع عشاق كرة القدم على احقية فوز آخرين بهذه الجائزة على غرار ويسلي شنايدر وأندريس أنييستا، لكن الصراع الثنائي الشرس بين الاثنين في خضم صراعات ريال مدريد وبرشلونة، والتي توافقت مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي، التي أذكت هذه الصراعات، لم يعد وجود لأي منافسين آخرين، وأدخلتنا الى عالم جديد غير مسبوق، يكون فيه النجم حاضرا وفاعلا ومؤثرا عبر الانترنت، فبات الهدف كل موسم للنجمين ميسي ورونالدو هو «الجائزة الذهبية»، بل أمنية تحقيق لقب دولي مع المنتخب هو لخدمة تعزيز الفرص للفوز بالجوائز الفردية، فبات الحلم ليس رفع كأس العالم مع المنتخب كقمة الانجازات، بل الوقوف أمام لجنة خبراء ونجوم سابقين وحاليين وأمام كاميرات التلفيزيون وأنت تتسلم الجائزة الشخصية كأفضل لاعب في العالم.

وفي حين أن الكثيرين من عشاق كرة القدم، يعتبرون فوز نجمهم بجائزة، مثل «الكرة الذهبية»، بقدر أهمية فوز الفريق بالدوري، او دوري الأبطال، فان البعض الآخر يراها جائزة تكريمية لا اكثر، ولا تمثل أي معنى، لأن هدفها تسويقي وتجاري للمنظم والمانح وأيضا للفائز ولفريقه، خصوصا ان لا معايير حقيقية ملموسة أو واضحة لاختيار الفائزين، خصوصاً انها جوائز فردية في لعبة جماعية، يكون فيها النجم جزءاً من فريق مقتدر تساهم انتصاراته في تلميع صورة النجم. بل هناك حالات لنجوم يرجلون عن أنديتهم، كون هذه النقلة ستعزز في فوزه بهذه الجائزة، بل ان هناك بنوداً في عقود عدد من اللاعبين تمنح النادي البائع مبلغا اضافيا في حال فوز نجمه السابق بـ«الكرة الذهبية»، على غرار ما يحويه عقد نجم مانشستر يونايتد برونو فيرناندیز، حيث أصر سبورتنغ لشبونة في ادخال بند في عقد فيرناندیز ينص على حصوله على 5 ملايين يورو في حال فوز النجم البرتغالي بأي جائزة فردية كافضل لاعب.

النجم البرازيلي نيمار أخذ الامر الى منحى آخر في صراعه الشخصي للفوز بالجوائز الفردية، ففي 2017 قرر ترك برشلونة الذي شكل فيه ثلاثياً هجومياً رهيباً مع ميسي ولويس سواريز، لكنه قرر الخروج من عباءة ميسي كي يحظى بفرصة أكبر للفوز بـ«الكرة الذهبية» والالقاب الفردية الأخرى، بانتقاله المفاجئ الى باريس سان جيرمان، بل أصر على بند في عقده مع سان جيرمان يمنحه 3 ملايين يورو في حال فوزه بجائزة أفضل لاعب في العالم.

الامر لا يتوقف على اللاعب فحسب، بل الاندية تتصارع على ان يكون بين صفوفها فائزون بهذه الجوائز، على غرار ما فعل ريال مدريد وبرشلونة بشراسة على مدى السنوات الماضية، لضمان وجود نجومها ضمن أبرز المرشحين لهذه الجوائز، كون ذلك يعزز مداخيلهما التسويقية ويرفع قيمة عقود الرعاية. ولهذا فجأة اليوم وبعد انتصار فرنسا بكأس دوري الأمم، الاقل أهمية، الا انه كان فرصة لدب الصوت والصياح بأحقية كريم بنزيمة بـ«الكرة الذهبية» كونه الوحيد من الريال الذي يملك فرصة من بين المرشحين الـ30، خصوصاً ان الريال أنهى الموسم الماضي بلا أي لقب، ويعيش أزمة في بعض مبارياته هذا الموسم، كما أضيف اليه زميله في المنتخب كيليان مبابي كون انتقاله الى الفريق الملكي ليس سوى مسألة وقت، وهو بالضبط الذي أخفق تشلسي في فعله في الترويج لبعض نجومه الذين أحرزوا أبرز انجازات السنة، على غرار جورجينيو الذي فاز بدوري الأبطال مع تشلسي وكأس الأمم مع ايطاليا.

وكلاء اللاعبين المخضرمون يدركون سر سحر هذه الجوائز، فهي مثل جوائز نجوم السينما، فالممثل يحظى بأجر اليوم، يختلف عن الذي سيطلبه عندما يربح جائزة «الاوسكار»، والفيلم الذي يقوم ببطولته نجم متوج بهذه الجائزة، سيحظى بحضور أعلى بكثير من غيره، وعقود الرعاية والدعاية ستهل عليهم أكثر من غيرهم، ولهذا أصبحت «الكرة الذهبية» «الفردية» اليوم أهم عند الكثيرين من الفوز حتى بكأس العالم «الجماعية».

@khaldounElcheik

إيطاليا تبرع في داخل ملاعب كرة القدم وتخفق خارجها

روما ـ «القدس العربي»:

لطالما حقق المنتخب الايطالي المفاجآت وسار على عكس التوقعات في البطولات الكبيرة وتوج بالألقاب، على غرار لقبه العريق. لكن مسؤولي الأندية المعنية، الإنتر وميلان وروما وفيورنتينا، لا يزالون يبدون بعيدين عن رؤية ظهور هذه الملاعب حديثة وفي ملكيتهم كيفما يحلمون بتطويرها. فمشروع ملعب «سان سيرو» الجديد الذي سيقع بالقرب من الملعب الحالي، لا يزال محل نقاش، كما اتضح من الحملة الأخيرة للانتخابات البلدية في ميلانو. وفي فلورنسا، تم كبح جماح طموحات رئيس فيورنتينا روكو كوميسو من السلطات بفلورنسا، توجد أحيانًا مشاريع قديمة بالفعل لقلب الصفحة على آثار «سان سيرو» أو الملعب الأولمبي أو «أرتيميو فرانكي» العريق. لكن مسؤولي الأندية المعنية، الإنتر وميلان وروما وفيورنتينا، لا يزالون يبدون بعيدين عن رؤية ظهور هذه الملاعب حديثة وفي ملكيتهم كيفما يحلمون بتطويرها. فمشروع ملعب «سان سيرو» الجديد الذي سيقع بالقرب من الملعب الحالي، لا يزال محل نقاش، كما اتضح من الحملة الأخيرة للانتخابات البلدية في ميلانو. وفي فلورنسا، تم كبح جماح طموحات رئيس فيورنتينا روكو كوميسو من السلطات الإيطالية، معارضة تدمير استاد «فرانكي» الذي يمثل رمزا لهندسته المعمارية العقلانية للسنوات 1930/1920. وفي روما، تم التخلي عن مشروع الملعب الجديد بقيادة الرئيس السابق لروما الأمريكي جيمس بالوتا، لكن المالك الجديد لـ«غالوروسي» مواطنه دان فريدكن، يبحث بدوره عن موقع لبناء الملعب الجديد.

في حين أن متوسط عمر ملاعب الدرجة الأولى الإيطالية يزيد على 50 عاما، وتعود آخر موجة كبيرة من التجديدات إلى نهائيات كأس العالم 1990، لا يخفي الاتحاد الإيطالي قلقه بشأن هذا «التأخير». وأشار في تقرير التقييم السنوي الخاص به في آب/أغسطس إلى أنه «خلال العقد الماضي (–2010 2020)، تم بناء 153 ملعبا جديدا في أوروبا، باستثمارات بلغت 19.8 مليار يورو. وأعرب الاتحاد عن أسفه كون بلاده تمثل «بالكاد 1% من الاستثمارات»، بعيدا عن تركيا وملاعبها الـ28 الذي تم تشييدها أو تجديدها، وبولندا (23) أو روسيا (16) أو إنكلترا (12)، معتبرة أنه «من الضروري بشكل متزايد إطلاق برنامج استثماري لبناء جيل جديد» من الملاعب. وشحب وجه المسؤولين عن الكرة الإيطالية على وجه الخصوص عندما قرأوا في نهاية 2020 دراسة أجرتها شركة «ديلويت» تقارن عائدات التذاكر للأندية في البطولات الأوروبية الكبرى. وفي الموسم السابق لانتشار فيروس كورونا (2019–2018)، بلغت إيرادات الدوري الإيطالي، مقارنة بـ760 مليون يورو في الدوري الإنكليزي، و540 مليونا في الدوري الألماني، و520 مليونا في الدوري الإسباني، وفقًا لهذه الدراسة. وحدها فرنسا كسبت مداخيل أقل (200 مليون). هذا الفارق، وفقا للمحللين، يفسر من خلال انخفاض متوسط عدد المتفرجين في كل مباراة، ولكن أيضا من خلال حقيقة أن أغلب الأندية ليست مالكة للملاعب.

في إيطاليا، هناك أربعة أندية تملك ملاعب خاصة بها هي يوفنتوس وأتالانتا وأودينيزي وساسولو، بينما تملك غالبية الأندية ملاعبها في إنكلترا أو ألمانيا. وقال لويجي كابيتانيو الذي ترأس دراسة «ديلويت»: «أنا مقتنع تماما بأن أكبر قيمة غير مستغلة في الكرة الإيطالية مرتبطة بالدخل الناتج عن ملكية الملاعب». وأضاف: «قدرنا أن تجديد المعدات يمكن أن يدر عائدات بقيمة 25 مليار يورو لصناعة كرة القدم والقطاعات ذات الصلة». وهذه الإمكانات الاقتصادية هي أيضا السبب الرئيسي الذي طرحه العديد من الخبراء لشرح وصول المستثمرين الأمريكيين في السنوات الأخيرة إلى الكالتشيو (روما وميلان وفيورنتينا وفينيتسيا وبارما وجنوى). وقال كابيتانيو إن تقديم إيطاليا لطلب «استضافة حدث دولي كبير، مثل كأس أوروبا 2028، يمكن أن يعطي دفعة وتغييرا في الاتجاه». ولم يتم تأكيد فكرة تنظيم إيطاليا لكأس أوروبا التي تطرقت إليها وسائل إعلام أجنبية، من الهيئات القيادية في البلاد. لكن رئيس الاتحاد الإيطالي غابرييلي غرافينا اعترف في أوائل أيلول/سبتمبر، أن البلاد «بحاجة إلى تنظيم حدث رياضي كبير لتحفيز الاقتصاد الوطني بعد الكساد الذي تسبب فيه كورونا».

استاد "سان سيرو" في ميلانو بحاجة الى التطوير والتحديث

مجتمع

إسرائيل تحرض الاتحاد الأوروبي على تجميد تمويل المناهج الفلسطينية

إسماعيل عبدالهادي

أطلق المعهد الإسرائيلي للسياسة (منظمة غير حكومية) حملة ضد محتوى المناهج التعليمية في الأراضي الفلسطينية، التي يتم تمويلها من قبل الاتحاد الأوروبي، حيث يطالب القائمون على الحملة تجميد الاتحاد الأوروبي تمويل المناهج التعليمية الفلسطينية، بادعاء أنها تحرض على العنف والقتل وتشجع الجهاد والعمليات المسلحة ضد الإسرائيليين.

وقال المدير العام لمعهد السياسة الإسرائيلي، ماركوس شيف، إن تقارير معهدنا دفعت من أجل التغيير الإيجابي في المناهج السائدة ليس في الأراضي الفلسطينية فقط، بل في السعودية وقطر ودول أخرى، ونأمل في ذلك أن تتفهم السلطة الفلسطينية رسالة الاتحاد الأوروبي وتتصرف بطريقة مماثلة، وبهذه الطريقة فقط يمكننا تحقيق سلام دائم وحقيقي مع الجيل الفلسطيني القادم.

وأدان برلمان الاتحاد الأوروبي وكالة الغوث «الأونروا» في الأراضي الفلسطينية، على خلفية احتواء الكتب المدرسية على مواد تشجع على العنف والكراهية، ومن بين الأمثلة التي زود بها الإسرائيليون مسؤولين في الاتحاد الأوروبي، احتواء المناهج الفلسطينية المعتمدة لديها إنهاء دولة إسرائيل وإقامة دولة فلسطين، إضافة إلى تمجيد العمليات المسلحة، والدعوة إلى محو إسرائيل عن الخرائط، ومطالبة التلاميذ بالدفاع عن فلسطين بالدماء.

الأونروا تستنكر

في غضون ذلك استنكر مكتب وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» في غزة، ما يتم تداوله من تهم موجهة من قبل إسرائيل والاتحاد الأوروبي، حول احتواء مناهج التعليم في مدارسها على نصوص تحرض على العنصرية والعنف، مؤكداً على أن المعلومات المتوفرة غير صحيحة، فالأونروا لا تدرس العنف في مدارسها، في حين ترى الأونروا أن التهم خلفها دوافع سياسية لا أكثر.

وقالت صحيفة «إسرائيل اليوم» العبرية، إن الاتحاد الأوروبي سيشرع في التحقيق فيما يصفه بالتحريض في المؤسسات الفلسطينية، خاصة في المقررات التعليمية والمناهج الدراسية الفلسطينية لاسيما في قطاع غزة.

وأشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل عثرت في السنوات الأخيرة، على مضامين قاسية وخطيرة ضد اليهود وإسرائيل في الكتب الدراسية الفلسطينية الجديدة التي أقرتها وزارة التعليم الفلسطينية، وقد توجه عدد من المعاهد الدراسية الإسرائيلية بهذه النتائج للعديد من الجهات الدولية وبينها الاتحاد الأوروبي.

أما صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية، فتحدثت عن مسؤولين في الاتحاد الأوروبي مكلفين بتقديم المساعدة للفلسطينيين، اعترفوا بأن الكتب المدرسية الفلسطينية فيها محتوى إشكالي للغاية ويثير قلقاً كبيراً، بما في ذلك معاداة السامية والتحريض على العنف وتمجيد الهجمات العسكرية.

وقال مدير عام المنهاج في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية ثروت زيد إن وزارة التعليم الفلسطينية ملتزمة في مناهجها بقيم التسامح والسلام، ولا تشجع على العنف والقتل كما تدعي إسرائيل، في حين إن التقارير الواردة من قبل جهات غير حكومية في إسرائيل، والتي تتحدث عن احتواء المناهج الفلسطينية على عبارات تحريضية، غير صحيح وإنما محاولة للنيل من مؤسسات التعليم الفلسطينية.

وبين زيد لـ«القدس العربي»: «أن الادعاءات الإسرائيلية كاذبة وقائمة للتغطية على الانتهاكات، فإسرائيل تسعى من وراء هجماتها المتكررة على المؤسسة التعليمية الفلسطينية، إلى إلغاء التراث الفلسطيني الذي يذكر في المقررات التعليمية، ونسيان القضية الفلسطينية للأجيال القادمة».

وأوضح أن دراسة الاتحاد الأوروبي للمناهج الفلسطيني مغلوطة وفيها خلل كبير، فالاتحاد يقوم على مقارنة المناهج الإسرائيلي بالفلسطيني وهذا غير صحيح، فهناك باحثون مستقلون أجروا قبل سنوات قليلة دراسات على المناهج واستخلص النقاد أن المنهاج الفلسطيني لم يعط القضية الفلسطينية حقها في كشف جرائم القتل والعنف التي ترتكبها إسرائيل بحق الفلسطينيين.

ولفت زيد إلى أن محاولات إسرائيل المتكررة وضع عقبات أمام المسيرة التعليمية في فلسطين، من شأنها زعزعة عملية التمويل المقدمة للتعليم الفلسطيني، لذلك على العالم أجمع العمل على وقف الهجمة الإسرائيلية المتواصلة بحق المنهاج الفلسطيني، وعدم الاكتراث لتحريضها.

إجراءات تستهدف الهوية الوطنية

وتتعمد إسرائيل في كل عام دراسي جديد، ابتكار أساليب جديدة لعرقلة عملية التعليم في الأراضي الفلسطينية والتصدي لمحاولة الحفاظ على التعليم الوطني للأجيال، فلم تكتف إسرائيل بإغلاق المدارس وهدمها وتعمد عرقلة وصول الطلبة إلى المدارس على الحواجز، بل أن الأمر وصل إلى حد التحريض على وقف عملية التمويل، والتي تشكل عصب عملية تطوير المناهج في وزارة التعليم الفلسطينية.

في سياق ذلك أكد المستشار الإعلامي للأونروا في غزة عدنان أبو حسنة على أن الادعاءات الإسرائيلية بأن الأونروا تدرس في مناهجها العنف والقتل ضد الإسرائيليين باطلة ولا أساس لها من الصحة، معبراً عن أسفه من محاولات التحريض الإسرائيلية المتكررة ضد المناهج التعليمية في مدارس وكالة الغوث الأونروا، والتي تهدف من خلالها إلى عرقلة الدعم الدولي للأونروا.

وقال أبو حسنة لـ«القدس العربي»: «إن مناهج الأونروا خالية بشكل كامل من أي عبارات تحريضية كما تدعي إسرائيل» مشيراً في ذلك إلى أن تقرير البرلمان الأوروبي الذي يدين الأونروا غير صحيح، فالوكالة لا تدرس العنف ولا الكراهية ولا التمييز العنصري في مدارسها، وتم سابقاً إجراء مراجعة للمنهج والتأكد من ضمان التقيد بمبادئ الأمم المتحدة.

وبين أن هناك عبارات موجودة داخل المنهاج الفلسطيني بشكل عام، تعبر عن علاقة الشعب بأرضه ولا تمس بأي تهديد أو عنف لإسرائيل، ولكن إسرائيل تعتبر هذه العبارات الوطنية والتي تتناقل للأجيال الفلسطينية تهديدا وتحريضا على العنف، فهي تريد شطب القضية الفلسطينية وتاريخها من المنهاج.

ويواجه التعليم الفلسطيني في مدارس القدس بالتحديد معاناة قاسية، حيث تعمل إسرائيل على استخدام أدوات وآليات وضغوط على المدارس في المدينة، لإنهاء اعتماد المنهاج الفلسطيني واستبداله بالإسرائيلي، إضافة إلى عمليات التحريف لمحتوى المنهاج الفلسطيني خاصة في المدارس التابعة لبلدية الاحتلال، وافتتاح معاهد جديدة لتعليم المنهاج الإسرائيلي مقابل التضييق على البنية التحتية للمدارس الفلسطينية، ومنع توسعها وعدم إعطاء تراخيص لمدارس جديدة إلا حال موافقتها على اعتماد نظام التعليم الإسرائيلي، وابتزاز المدارس الخاصة بالموازنات المالية وتتويج هذه السياسات بإغلاق مكتب التربية والتعليم الفلسطيني، بشكل يستهدف السيادة والهوية الوطنية الفلسطينية.

كلاج بالجوز والقرفة

المكوّنات

كيلوغرام من رقائق الكلاج
2 كوب من الجوز
1 كوب من الجبنة النابلسية
نصف كوب من السكر
ملعقة صغيرة من القرفة
نصف كوب من القطر
زبدة مذابة

طريقة التحضير

ندهن الصينية بالزبدة.
نضع 8 رقاقات من الكلاج في الصينية، وندهن بينها بالزبدة.
نخلط الجوز مع السكر والجبنة والقرفة، ثم نوزعها فوق العجينة.
نضع 8 طبقات أخرى من العجينة، وندهني بينه بالزبدة، وندهن وجهها أيضاً بالزبدة.
نقطع الكلاج حسب الرغبة بالشكل.
نضع الصينية في الفرن على درجة حرارة 180 مئوية، ونتركها حتى يصبح الكلاج ذهبيا.
نسكب القطر البارد على الكلاج فور إخراجه من الفرن.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

أعشاب تعوض نقص المغنيسيوم في الجسم

يتهاون الكثيرون في مشكلة نقص المغنيسيوم، الأمر الذي يحذر منه خبراء الصحة، فنقص المغنيسيوم له تأثير سلبي على بعض الأمراض المزمنة ومن الممكن أن يؤدي إلى الهلوسة، وهو يدخل في تركيب العظام، والخلايا، والأنسجة وكذلك الدم.

ويدرك البعض مشكلة نقص المغنيسيوم عند ظهور بعض الأعراض المفلتة مثل التشنجات العضلية والرعشة والتعب وفقدان الشهية والارتباك واضطرابات النوم. أما نقص المغنيسيوم الحاد، فمن الممكن أن يؤدي إلى الإصابة بالخدر والغثيان والتقيؤ والهلوسة، حسبما ما ورد في موقع «غيزوندهايت هويته» الألماني المعني بشؤون الصحة. وهنا ينصح خبراء الصحة أولئك الذين يعانون من إحدى هذه الأعراض، ضرورة إجراء اختبار بسيط للدم للتأكد مما إذا كانت نسبة المغنيسيوم في الدم كافية.

فوائد المغنيسيوم:

وفقا لدراسة نشرها موقع «ديلي هيلث بوست» أن المغنيسيوم دوره مهم في العمليات الخلوية مثل عملية الأيض (التمثيل الغذائي) ونقل الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد في الجسم، فضلا عن أهميته في تكاثر الخلايا ونقل الإشارات في الجسم.

ويمكن لنقص المغنيسيوم أن يؤثر سلبا على بعض المشاكل الصحية مثل نقص المناعة المكتسبة والاكتئاب وأمراض القلب والسكري وهشاشة العظام وغيرها من الأمراض المزمنة. ومن الممكن الحصول على المغنيسيوم عبر العديد من الأعشاب والتوابل، وفيما يلي بعض الأعشاب اللذيذة والغنية بالمغنيسيوم.

—الشبت: الشبت من الأعشاب المعروفة منذ زمن بعيد، إذ يستخدم في تحضير الكثير من الأطباق، فهو معروف بنكهته المميزة، فضلا عن أنه غني بالمغنيسيوم، ففي كل 200 غرام من الشبت يوجد ما يعادل 357 ميلليغرام من المغنيسيوم.

—النعناع: وفقا لموقع «غيزوندبه إيرنيرونغ» يحتوي 200 غرام على 422 ميلليغراما من المغنيسيوم. ويتميز النعناع بمذاقه المنعش ويمكن إضافته لبعض الأطباق مثل سلطة الفواكه، فضلا عن إمكانية مضغه للحصول على نفس منعش.

—الريحان: يعتبر الريحان من أفضل الأعشاب المستخدمة في علاج نقص المغنيسيوم، فكل 200 غرام من الريحان تحتوي على حوالي 556 ميلليغراما من المغنيسيوم. ويتميز الريحان بمذاقه اللذيذ، وهو يستخدم في إعداد العديد من الأطباق الإيطالية، فضلا عن إمكانية استخدامه في السلطة وتناوله مع بعض المكسرات.

—الزعتر: يحتوي الزعتر الطازج على 317 ميلليغراما من المغنيسيوم في كل 200 غرام من الزعتر. ومن الأفضل تناول الزعتر طازجا، فالزعتر الجاف لا يحتوي على هذا القدر العالي من المغنيسيوم. ويتميز الزعتر بطعمه الحار والحامض ومن المعتاد إضافته لأطباق الدواجن والأسماك.

—الكزبرة: تعد الكزبرة واحدة من أقدم التوابل المعروفة، وفي كل 200 غرام من الكزبرة يوجد حوالي 498 ميلليغراما من المغنيسيوم، وغالبا ما تستخدم الكزبرة في تحضير الحساء وعند سلق الخضار أيضا، فضلا عن أن استخدامه في الكثير من الأطباق الشرقية. (Dw)

الحمل

عليك التفكير في مستقبلك بجدية

الثور

تجنب الإفراط في العمل وابتعد عن تعقيداته

الجوزاء

اعتن بصحتك ولا تعمل حتى الإرهاق

السرطان

تبرهن أنك قادر على إنجاز العمل الذي كلف إليك

الاسد

شخص تهتم به جدا سيطب مساعدتك

العذراء

حاول أن تكون أكثر التزاماً مع الشريك

الميزان

لا تتردد بزيادة عدد ساعات عملك

العقرب

التدخل الخارجي بصلب عملك يزعجك

القوس

انتبه لكلامك لأن من حولك يفهون الكلام حرفيا

الجدي

مارس رياضتك المفضلة في منزلك

الدلو

لا تخلط بين الأمور الحياتية والمهنية

الحوت

واجه سلبيات هذا اليوم بالكثير من الصبر

جديد الطب

لا توافق حتى الآن حول تعليق براءات اختراع لقاحات كورونا

– أعلنت منظمة التجارة العالمية في بيان مساء الجمعة أنه لم يتم التوصل بعد إلى توافق بشأن الرفع المؤقت لبراءات اختراع اللقاحات المضادة لفيروس كوفيد–19 والهادف إلى زيادة إنتاجها، وذلك قبل سبعة أسابيع فقط من الاجتماع الوزاري للمنظمة.

واجتمع المجلس المعني بحقوق الملكية الفكرية في مجال التجارة الأربعاء والخميس لمناقشة القضية التي تعتبر حاسمة لزيادة إنتاج اللقاحات ومكافحة عدم المساواة في الحصول عليها.

وتتخذ القرارات في منظمة التجارة العالمية بالإجماع بين الدول الأعضاء البالغ عددها 164.

وشدد بعض الأعضاء على خطر الفشل «إذا لم تتوصل الوفود إلى حل وسط جاد» مضيفين أن النجاح في التوافق حول المسألة في الاجتماع الوزاري «لن يبعث فقط برسالة تضامن دولي قوية، بل سيثبت أيضا أن منظمة التجارة العالمية لديها القدرة على الاستجابة لأزمة عالمية كبرى».

وأقر سفير النروج لدى منظمة التجارة العالمية دغفين سورلي بأن مجلس حقوق الملكية الفكرية الذي يترأسه «ليس بعد في وضع يسمح له بالاتفاق على نتيجة ملموسة وإيجابية في هذه المرحلة».

وأوضح أنه «سيواصل التشاور مع الأعضاء حول كيفية المضي قدما نحو توافق» قبل الاجتماع الوزاري الذي سيعقد في الفترة من 30 تشرين الثاني/نوفمبر حتى 3 كانون الأول/ديسمبر في جنيف.

ومن المقرر إجراء مزيد من المشاورات في 26 تشرين الأول/أكتوبر.

وينعقد المجلس العام، وهو هيئة صنع القرار في منظمة التجارة العالمية بين كل اجتماعين وزاريين، يومي 22 و23 تشرين الثاني/نوفمبر لبحث الملف.

وتتلقى منظمة التجارة العالمية منذ عام دعوات من الهند وجنوب أفريقيا لرفع حقوق الملكية الفكرية عن لقاحات كورونا مؤقتا، من أجل تحفيز الإنتاج في البلدان النامية ومعالجة التفاوتات الصارخة في الحصول عليها.

وقد دعمت منظمة الصحة العالمية هذه المبادرة، كما فعلت العديد من البلدان الأخرى والمنظمات غير الحكومية.

لكن الفكرة تلقى معارضة شرسة من كبرى شركات الأدوية والبلدان المضيفة لها التي تعتبر أن براءات الاختراع ليست عقبة رئيسية أمام زيادة إنتاج اللقاح وتخشى أن يضر الإجراء بالقدرة على الابتكار.

وينتقد مراقبون بطء مسار النقاش بينما أودى الوباء بحياة 4.9 ملايين شخص حول العالم، وفي وقت تسجل الدول الغنية معدل تطعيم أعلى ثلاثين مرة من البلدان الفقيرة والنامية. (أ ف ب)

علماء ألمان يفكون الشفرة الغامضة لسرطان الرئة

يعد سرطان الرئة السبب الرئيسي للوفيات المرتبطة بالسرطان حول العالم، وفق دراسات سابقة. آلية تطور هذا المرض الخبيث بداخل جسم الإنسان ظلت غامضة، بيد أن علماء ألمان توصلوا الآن إلى معرفة عمل هذه الآلية ما يمهد لعلاج المرض.

وسرطان الرئة من أكثر الأمراض الخبيثة شيوعاً في ألمانيا. العلاج من هذا النوع من السرطان قد يحدث بشكل دائم أو على الأقل «إبقاء الورم تحت السيطرة». لكن إذا تُرك هذا السرطان من دون علاج، يتسبب ذلك في نمو وتكاثر الأورام بالجسم، مما قد يؤدي إلى الوفاة، لأن أعراض هذا المرض قد تظهر في وقت متأخر نسبياً، كما توضح خدمة معلومات السرطان في مركز أبحاث السرطان الألماني «DKFZ». غير أن مجموعة من الباحثين الألمان توصلوا إلى اكتشاف جديد يمكن أن يساعد في علاج هذا المرض الخبيث في المستقبل، نقلاً عن الموقع الألماني المتخصص بالشؤون الصحية «Heilpraxis».

فريق الباحثين الذي يرأسه الدكتور، مايك سول من الجامعة التقنية في دارمشتات في ألمانيا، اكتشفوا من خلال مجموعة من الدراسات، آلية تساهم بشكل كبير في الاتصال الخلوي بداخل الورم. وفقاً للباحثين، فإن تواصل خلايا الأورام السرطانية مع بعضها البعض، هو ما يمكنها من النمو، وفي حالة انقطاع هذا التواصل، يمكن أن يساعد ذلك في محاربة الورم، كما ذكرت جامعة دارمشتات التقنية. وهذا الاكتشاف يساعد في التوصل إلى خيارات علاجية مبتكرة لهذا النوع من السرطان.

التواصل بين الخلايا

يتطلب عمل الكائن متعدد الخلايا التنسيق الدقيق بين جميع الخلايا المعنية – في الأنسجة السليمة وكذلك في الأورام.

ويعد التواصل بين الخلايا ضرورياً ويتم عبر الاتصال الخلوي المباشر أو عبر المواد المرسلة. بالإضافة إلى ذلك، تُظهر أحدث الدراسات أن الخلايا تطلق حويصلات صغيرة خارج الخلية، تسمى بـ «الإكسوسومات» بحجم يتراوح من 50 إلى 200 نانومتر، مما يساهم بشكل كبير في الاتصال الخلوي، كما جاء في الدراسة التي نُشرت نتائجها مؤخراً في المجلة الدولية «Journal of Extracellular Vesicles».

لم يول الباحثون أهمية كبيرة لهذه الحويصلات من قبل. وكان يعتقد أن الخلايا تتخلص من الجزيئات الزائدة. لكن هذا الاكتشاف أظهر الأهمية الأساسية لهذه الحويصلات في الأمراض الفسيولوجية المختلفة مثل السرطان. ويلعب الرنا الميكروي (ميرنا) الموجود في الإكسوسومات دوراً مهماً في الاتصال داخل الخلية، وهذه جزيئات حمض نووي صغيرة تلعب دوراً رئيسياً في تنظيم التعبير الجيني وتخليق البروتين الخلوي.

السبب الرئيسي للوفيات المرتبطة بالسرطان

حسب الخبراء فإن سرطان الرئة هو السبب الرئيسي للوفيات المرتبطة بالسرطان في جميع أنحاء العالم. سرطان الرئة ذو الخلايا غير الصغيرة هو الشكل الأكثر شيوعاً لهذا السرطان ويمثل حوالي 80 في المئة من جميع الحالات. ومن المعروف أن معظم حالات سرطان الرئة ذو الخلايا غير الصغيرة مرتبطة بالإفراط في التعبير عن وسيط الدهون المؤيد للالتهابات «البروستاغلاندين» والذي يعزز نمو الورم بشدة. لم يتم التحقيق بعد في مدى تأثير وسطاء الدهون المعززة للالتهابات والأورام على التواصل الخارجي بين الخلايا. الدكتور، مايك سول رفقة فريقه قاموا بالتحقيق في الوظيفة الفسيولوجية لهذه الجزيئات المجهرية الخارجية، وقد تمكنوا مؤخراً من تحقيق نجاح كبير من خلال دراسة علاقتها بمرض سرطان الرئة.

تمكن فريق جامعة دارمشتات، جنباً إلى جنب مع باحثين من جامعة غيسن الألمانية ومعهد كارولينسكا (ستوكهولم/السويد) من إظهار أن «البروستاغلاندين» يزيد بشكل كبير من الإفراز الخارجي للرنا الميكروي (ميرنا) المرتبط في تطور خلايا سرطان الرئة.

ووجد الباحثون أيضًا أن ميرنا، الذي يتم نقله في الجسيم الخارجي، ينشط مستقبلًا مناعيًا، مما يقلل من مستوى البروستاغلاندين. في المقابل، يقوم ميرنا بتشغيل التخليق الحيوي للبروستاغلاندين داخل الخلية. وأظهرت الدراسة أن مزيجًا من ميرنا داخل الخلايا وخارجها يتحكم في مستويات البروستاغلاندين من خلال حلقة التغذية وبالتالي قد يؤثر هذا أيضًا على نمو الورم.

وفي أحد الأنواع الفرعية الأكثر شيوعًا لسرطان الرئة ذو الخلايا غير الصغيرة، لوحظ وجود تأثير للورم الخارجي على التخليق الحيوي لـ«البروستاغلاندين». يعزو فريق البحث هذا إلى التركيب الفريد للبروتينات المختلفة على السطح الخارجي.

ومن خلال الدراسة، تمكن العلماء لأول مرة من إظهار أن وظيفة ميرنا داخل الخلية يمكن أن تتعارض مع وظيفتها خارج الجسيم. واعتماداً على آلية الامتصاص، يمكن إطلاق ميرنا خارجي في نقاط مختلفة داخل الخلية، والتي يمكن أن يكون لها تأثير حاسم على وظيفة ميرنا. وتفتح العلاقة المكتشفة حديثًا بين ميرنا و «البروستاغلاندين» خياراً علاجياً جديداً لسرطان الرئة. ويقول الدكتور، سول: «توفر النتائج الأساس نحو تطوير مناهج علاجية مبتكرة» ويوضح أن «الجمع بين علاجات السرطان القياسية ومثبطات تخليق البروستاغلاندين يمثل استراتيجية علاج واعدة». (dw)

منوعات

مصر: مهرجانات سينمائية فاشلة ولعبة الدعاية في ثقافة الاستهلاك

كمال القاضي

على مدار السنة لم ينقطع تيار الدعاية والإعلان للترويج للمهرجانات التي تُطلقها وزارة الثقافة المصرية بشكل رسمي أو تُقام تحت رعايتها، وفي كل الحالات والمهرجانات تأتي الدوافع حميدة ورشيدة ويكون المبرر القوي جاهزا وموضوعا في صدارة المشهد، وهو بالقطع لا يخرج عن صيغ التبرير التقليدية وهي نشر الوعي الثقافي والقضاء على موجات التطرف والعنف وإتاحة الفرصة أمام الإبداع الجديد ليرى النور.

وفي واقع الحال أن المهرجانات المتعاقبة والمتتالية لا تمس من قريب أو بعيد المشكلة الحقيقية التي يتم المتاجرة بها لتسهيل اعتماد الميزانيات والحصول على الموافقات اللازمة لإطلاق المهرجانات والإنفاق عليها ببذخ، أما قضية التطرف والعنف وإشكالية القضاء عليهما فهذه ليست إلا ذرائع لأن المبالغة في الاحتفالات تخلق نوعاً من الاستفزاز، فالغالبية العظمى من الناس تعرف تماماً أن ما يُقام وتُشد إليه الرحال إلى العواصم الإقليمية محض سفه وبهرجة زائدة لا تُضيف للبرنامج الثقافي أو مجهود التثقيف الحقيقي شيئا يُذكر، اللهم إلا كرنفالات وعرض لمجموعة أفلام وحضور مُتفق عليه لبعض الشخصيات المحلية والعالطين عن العمل من أنصاف النجوم بالدول العربية والأوروبية وافتتاح فقير وختام أفقر لا يدل إلا على خيبة الأمل في المهرجانات ومنظميها وضيوفها والمُبتغى من ورائها.

هكذا تأتي الترجمة المُعتادة في مُعظم الدورات، ولكي لا تنكشف اللعبة يتم التركيز على الدعاية للتغطية على الأزمة ومُعالجة المُشكلة. وتمر أيام وليالي الدورة في سلام ليبدأ التحضير بنفس آليات الفشل للدورة التالية بذات الأشكال والوجوه والخبرات الضعيفة التي لا يُمكن أن تكون نواة في عمل إبداعي مهم يُقاوم الإرهاب أو يقلل من آثاره بحسب المبررات والتوصيات والتموياات وحسابات الجهات الداعمة التي تعلم تماماً أنها تحرث في البحر الغارقة في الكسل في الأقاليم والمحافظات بحجة كورونا كأن الوباء يستهدفها فقط ويستثني المهرجانات بضيوفها ومكرميها وجمهورها.

حين أصدرت النقابة العامة لاتحاد كُتاب مصر برئاسة الدكتور علاء عبد الهادي بياناً انتقدت فيه الأداء المُتهافت لوزارة الثقافة وأشارت لعدد من السلبيات، قامت الدنيا ولم تقعد، واعتبر المُنتفعون أن الحيثيات الصحيحة والحقيقية التي وردت في مضمون البيان هي بمثابة إعلان حرب على وزيرة الثقافة، ولم يكلف أحدهم نفسه عناء البحث في تفاصيل وخلفيات ما تم ذكره، وكأن من بين ما أشير إليه في البيان، كثافة المهرجانات والتهامها لقدر كبير من الميزانية الثقافية على حساب أساسيات أخرى كالإطلاع بحركة النشر وتنمية المواهب وتطوير المنظومة الثقافية في العاصمة والأقاليم والنظر بعين الاعتبار والتدقيق لمنح التفرغ والجوائز التي تُمنح للمحاسيب والمقربين والعاملين بالمؤسسات الثقافية ذاتها، فضلاً عن اللجان المُنبثقة عن لجان لاختيار المتميزين والمتفوقين، وعورات المُحاباة وشراء الخواطر والتوزيع غير العادل للمُكتسبات والامتيازات المالية والأدبية وحرمان الموهوبين الحقيقيين منها بإقصائهم خارج الساحة وإبعادهم بالحيلة والنفوذ عن حلبة المُنافسة.

كل هذه الأشياء التي تنتقص من كفاءة الأداء بالوزارة العريقة وقياداتها الكبيرة والصغيرة كان يجب أن تُناقش على أعلى مستوى وتخرج توصيات بمُعالجتها والقضاء عليها باعتبارها أمراضا وأدرانا تهدد العملية الثقافية وتُسيء للمُثقفين، لكن شيئاً من كل ما ذُكر لم يُعتن به ولم يُعيره أحد اهتماماً، اللهم غير قرار علاج المُبدعين الذي جاء بتوجيه خاص من القيادة السياسية ولاقى استحساناً كبيراً كونه استثناءً وإصلاحاً بالأمر المباشر لأوجه القصور والعجز بعد تفاقم الأزمات.

وتكريمات ومطبوعات وضيافة ودعاية وإعلان يفوق حجم ما يُنفق على الثقافة الفعلية من طباعة وترجمة وإصدارات وتشغيل لدور السينما المُعطلة منذ سنوات وترميم للمسارح وتنشيط لقصور الثقافة وأنه لا طائل من وراء السيل المهرجاني غير تكريس الفشل والتجارة السينمائية البائرة.

إن حجم الميزانيات التي يتم تخصيصها للجمعيات الفنية وأنشطتها المزعومة من مهرجانات وبخلاف ذلك القرار لم تجر مياه جديدة في النهر، فكل شيء باق كما هو كأنه العناد والعمل ضد الصالح العام، فالمهرجانات قائمة ومُستمرة، بل آخذة في الزيادة وعشرات العناوين تتخلق وتتولد للاقناع الزائف بالجديد والمُختلف في المجالات السينمائية، فمن إسكندرية لأسوان يمتد شريط الاحتفال بسينما المرأة وسينما الرجل وسينما الأكشن وسينما الكوميديا والسينما التسجيلية والسينما الوثائقية والسينما القصيرة وسينما العنف وسينما المخدرات، حيث لكل نوع مهرجان ولكل مهرجان ضيوف ولكل ضيوف جوائز وهلم جرا بلا ضابط أو رابط.

كل هذا التمسح في السينما هو في الأساس خارج اهتمامات الجمهور المصري العريض واحتياجاته الجوهرية، ومع ذلك كل الجرائم تُرتكب باسمه وتُنسب إليه زوراً وبهتاناً وهو منها براء.

في بحث موثق سابق النسيان والرحيل

هادي زكاك: كانت صورة المدينة العربية النموذجية

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«العرض الأخير سيرة سيلما طرابلس» مؤلف يتخطى عنوانه، ليدخل إلى عرض وتحليل سياسي واجتماعي وأمني مؤثر في حركة السينما وصالاتها في عاصمة الشمال اللبناني. أما «سيلما» فهو تعبير عامة الناس في المدينة وهم نبضها وروحها. ما أن يقع المؤلف بين اليدين حتى تتسارع الأسئلة. ففي زمن الضحل والتقهقر ثمة كتاب يوثق لـ«معابد السينما» في طرابلس الفيحاء، وفي حلّة أنيقة تليق بها، وبالذاكرة الخصبة والجذّابة محققاً انتصاراً على النسيان والموت. أما لماذا طرابلس وكل هذا البحث والتنقيب في زوايا «سيلماتها» التي قاربت ربما 40؟ الجواب عند صاحب الكتاب المخرج السينمائي والكاتب والأستاذ الجامعي هادي زكاك. ولشدة الحميمية في مقاربته لتفاصيل إنسانية بحث عنها بمثابرة كما يفعل قفير النمل في جمع قوته، تعتقده وكأنه ولد وترعرع وكبُر في ربوع تلك المدينة العربية الساحلية الجميلة المهملة لبنانياً.

يتألف الكتاب الصادر عن دار الفرات في بيروت من 618 صفحة من الحجم الكبير، ويضم أكثر من 750 صورة. أن تقلب صفحة منه بعد أخرى تجدك منجذباً للمزيد، للنص السلس واللغني بالمعلومات والأحداث. نجح الكاتب في تدوين شهادات لمميزين تخرجوا من المدارس الإرسالية الكبيرة التي كانت في المدينة. وذكر أن بعض الأساتذة في بعض المدارس والمتنمية لمختلف الطوائف، كانوا يعتبرون السينما مفسدة للأخلاق ويدعون لعدم ارتيادها. لكن التلامذة أنفسهم سجلوا سنة 1959 اضراباً بعدم دخول الصفوف إلا بتجاوب وزير التربية مع مطلبهم برفض رفع سعر البطاقة، ونجحوا وكانت لهم بطاقة طلابية.

ثابر هادي زكاك في توثيق شبه متكامل لسيلما طرابلس «قبل أن تُسلّم الروح» وأنجز عملاً مؤثراً، معه هذا الحوار:

○ «العرض الأخير» يقرأ في تردي حال السينما وصولاً إلى اندثارها في عاصمة الشمال طرابلس. كيف خطرت لك مقاربته؟

● السينما شغفي، بعد الحرب الأهلية قصدت وسط بيروت لأكتشف صالاتها، وسريعاً محى مشروع إعادة الإعمار وجودها. تلقيت دعوة من صحفية ألمانية فرنسية لمرافقتها في جولة على صالات السينما في طرابلس سنة 2014. كان مذهلاً مدى انتشار الصالات من ساحة التل، إلى باب التبانة، إلى الميناء والأحياء الداخلية وكأنها جزء لصيق بحياة المدينة. وبالتدريج بدأت بحثاً طويلاً ومضنياً تبلور سنة 2017 بمعنى إعادة تكوين صورة المدينة وتاريخها من خلال علاقتها بمجموعة من هذه الصالات والبحث عنها ورصدها.

○ بحدود 40 صالة سيلما في طرابلس بدأت منذ ثلاثينيات القرن الماضي. ألم تكن فائضة عن الحاجة؟

● إنها نقطة مهمة في كيفية تطور صالات السينما، والمرحلة الذهبية كانت في سنوات الخمسينيات من القرن 20 التي شهدت ازدياد صالات السينما. يمكن الحديث عن معدل 30 صالة، بعضها يفتح وآخر يقفل. المهم أن الصالات منتشرة في أنحاء المدينة كافة، ولكل منها طابعها، وتختلف بين العرض الأول، وأنواع الأفلام التي تعرضُها. شكلت السينما سلوى لأهالي المدينة بامتياز، إنها مكان اللقاء وربط العلاقات الاجتماعية، والمكان المؤثر في تطور تلك العلاقات. كانت للسينما دورها في العلاقات الاجتماعية، ولم يكن لطرابلس أماكن أخرى للهو أو التسلية. أصبحت السينما المعبد الجامع للنشاط الثقافي وحتى السياسي، وعروض المسرح والسينما بالطبع.

○ كم تأثرت طرابلس المدينة المحافظة بالسينما سواء بالانفتاح الاجتماعي والسياسي والحداثي؟

● شكلت جزءاً من دخول المدينة بالحداثة. نحن حيال مجتمع محافظ صحيح، ومن خلال السينما نقرأ العلاقة بين الجنسين، وارتيادهما الصالات معاً. أين سيجلسون، وما الفرق بين مقاعد الصالون والبلكون؟ وما هو أثر السينما على المجتمع، وعلى المرأة تحديداً ومن خلال السينما المصرية خاصة؟ حضور السينما وبلغة عربية سيترك أثراً مضاعفاً. صالات عدّة اختصت بعروض السينما المصرية التي كانت منتشرة جداً ولها شعبيتها. أثرها الثقافي كان كبيراً، وكذلك على العلاقات بين الجنسين. وفي تلك المرحلة تراجع ظهور الحجاب، وازداد حضور المرأة وفعاليتها. وانتشرت المقاهي والعديد من مظاهر الحداثة والتي تبلورت منذ أواخر الأربعينيات وصولاً إلى أواخر الستينيات من القرن الماضي، رغم تسجيل حركات احتجاج أحياناً على بعض المظاهر من مجموعات محافظة جداً. لكن بدت شعبية السينما أقوى وفرضت نفسها في أوساط واسعة وهذا مهم للغاية كونها أصبحت المكان الجامع لكافة الطبقات الاجتماعية.

○ وهذا ينعكس على طرابلس ومحيطها كونها مؤثرة فيه؟

● طبعاً فهي المركز، والمحيط بكامله كان يقصدها لحضور السينما. لطرابلس علاقة وطيدة مع الشمال برمته، وكان يأتيها مشاهدون للعرض الأول للأفلام من زغرتا واهدن. وفي تلك المرحلة كانت المدارس في طرابلس، وكان الأهالي يسكنوها للعيش ومن كل الشمال. وكانت لهم صلة وثيقة بمدرسة السينما كما بمدرسة الحياة. خلال بحثي التقيت بأناس من الشمال ومن خارجه كانوا يعيشون في طرابلس. كان للمدينة كافة عناصر الحياة المدينية من حيث العمل، وهذا ما تبلور إثر إنتقال شركة نفط العراق إلى طرابلس بعد نكبة فلسطين. احتضنت طرابلس حركة ثقافات مختلطة تفاعلت داخلها، وبشكل تلقائي كانت السينما مكاناً

ولد كتاب «العرض الأخير سيرة سيلما طرابلس»

التي دخلت الحداثة والسينما مكان يحضنها

للجميع في لقاء يومي أو أقله مرّة أسبوعياً.

○ يشعر المتصفح للكتاب وكأنك أحصيت أنفاس الزمن ولم تترك شاردة أو واردة بهدف الكمال. هل كنت حيال خطة عمل؟ وهل فتح الواقع مزيداً من الآفاق؟

● بداية استصعبت العملية لأنني من خارج المدينة، ولم أكن حيال جردة لصالات السينما وماهية عروضها. شكلت السينما نافذة للدخول إلى المدينة بحد ذاتها، وتطورها والمراحل التي مرّت فيها. شعرت بثقل كبير واستغرقت وقتاً للتفاعل مع كافة العناصر. كنت أجهل مدى قدرة الوصول إلى كافة تلك السينمات وقراءة تاريخها وتخيله. فأنا لا أملك ذكريات خاصة مع هذه الأماكن. في 2014 صورت بعض المشاهد وحصلت على معلومات أولية، بعدها اكتشفت أني في صراع مع الزمن. فالصالات التي شاهدتها بدأت تختفي، أو تمّ تحويلها. الصراع مع الوقت هو صراع تلقائي مع الموت والمدينة بحد ذاتها وكأنها في حالة «كوما». وفيما كانت طرابلس استثناء في حالها قبل 2019 بات لبنان كله يشبهها بعد الانتفاضة. إنه الاحتضار.

○ بدا في الكتاب أن المؤثرين في سيرة طرابلس قديماً وحديثاً أبدوا تعاونا؟

● صحيح. وكنت أحتاج قدر المستطاع الإطلاع على آراء مختلفة ومن أجيال مختلفة. فأنا حيال تغطية مرحلة طويلة وأحتاج لشهادات من ناس تبدأ أعمارهم في العشرينيات وصولاً إلى نهاية التسعينيات. التقيت مسنين كثر وقبل صدور الكتاب للأسف فقدتهم. استلحقت ذاكرتهم التي بدأت تخونهم أحياناً. كما بحثت في أرشيفهم الشخصي، وفي الصحف التي كانت تصدر في المدينة. واكتشفت المدينة من خلال كتّابها والباحثين. وشكل الناس العاديون شواهد عن تلك المراحل كباعة الخضار، بهدف تكوين نظرة عامة ومن مختلف فئات الناس. سلوك هذا الطريق خوّلني أنا الآتي من الخارج تكوين نظرة عن الداخل.

○ وكأننا نشتبه أو نتيقن بأن التشدد الإسلامي هو من أطبق على سيلما طرابلس ونزع منها أنفاسها الأخيرة؟

● وفي الذاكرة الجماعية كذلك رأي يقول أن السينما انتهت مع إندلاع الحرب الأهلية، والتحولات التي طرأت على المدينة بدءاً من سنة 1975. قد تبسّط الذاكرة الشفهية الأمور، أو تُجمّل الماضي. دوري هو التفكيك، وللقيام بهذه المهمة أحتاج لعناصر من المرحلة ذاتها. فقد اكتشفت في أعداد من جريدة «الإنشاء» عودة السينما بشكل شبه طبيعي بعد حرب السنتين. بالوصول إلى مرحلة حزب حركة التوحيد سنة 1983 ليست السينما وحدها التي تأثرت، بل المدينة برمتها كانت تحت ضربة قاسية. ولم يعد بإمكانها الخروج كلياً من هذه الضربة، رغم محاولة العودة للسينما إثر دخول الجيش السوري في سنة 1985. وكانت محاولات لإعادة إحياء هذه السينمات في منتصف التسعينيات، مع دخول فكرة السينما الجديدة المتواجدة ضمن مجمع سينمائي.

○ كذلك أخبرك عاشق السينما والناقد اميل شاهين أن بعض الإرساليات كانت تتجسس على تلامذتها إن كانوا يخالفون التحذيرات ويقصدون السينما المضرّة بالأخلاق؟

● ذكرت التشدد الديني والحذر من السينما في مراحل متعددة من الكتاب. الخوف والحذر من السينما من بعض المراجع والأساتذة موجود، وفي الوقت نفسه نرى السينما وقد صارت ضمن مدرستي الطليان والفرير. ومدرسة الطليان فتحت صالتها للجمهور من خارجها. وعن نوع الأفلام التي كانت المدارس تختارها لتلامذتها، فمنها فيلم «شفيقة القبطية» المصري حيث ترتد فيه عن خطاياها، وتدخل الدير. وكذلك الفيلم الذي يعرض سنوياً في أسبوع الآلام وهو «حياة وآلام المسيح» المكسيكي المدبلج للعربية. هذا مسيحياً، إسلامياً كانت ظاهرة فيلم العيد، وكأن السينما كانت هدية العيد بامتياز.

○ خلال بحثك عن السينما لتوثيقها في كتاب هل كان فيلم «العرض الأخير» يفوز بلقطات خاصة؟

● انطلق العمل ولم أكن قد حسمت بعد إن كنت حيال فيلم أو كتاب. عندما توالت اكتشافاتي وجدت أن معلومات كثيرة من الجهل عدم ضمها في كتاب، وأخرى من الحرام ان لا تكون في فيلم. وهكذا بتّ بمواجهة مصاعب تخطيط وأيضاً تمويل. وهكذا تقدم مشروع الكتابة واستغرق وقتاً، وكنت أوثق المعلومات بالصوت والصورة، وهي ستشكل المواد الأولية للفيلم المقبل «العرض الأخير».

○ ورد في الكتاب أن تلامذة طرابلس أعلنوا الإضراب بعدم دخول الصفوف اعتراضاً على رفع سعر بطاقة السينما. فماذا سيقول التلامذة عن سعر البطاقة الحالي؟

● صحيح. طرابلس مدينة نموذجية بأحداثها قياساً ببقية المدن. الشهر الماضي قدمت كتابي في عمّان، وسمعت من الأردنيين قصصاً مشابهة في سينمات عمّان وتلقائياً ستكون نفسها في سينمات حلب أو بغداد أو غيرها. طرابلس تشكل رسماً لمرحلة متكاملة شهدها العالم العربي، وكأن طرابلس تشبه المدن الأخرى دخلت في مرحلة الحداثة، ومن ثم داهمتها كافة أنواع الأنظمة الإستبدادية والمتشددة وصولاً إلى الحروب الأهلية، والتدمير والتفتيت الذي ينطبق اليوم على أي مدينة سورية أو عراقية. لهذا طرابلس نموذجية جداً في هذا الصدد. نجحت مظاهرات طرابلس وحقق الطلاب دفترهم الخاص وسُمِح لهم بدخول الصالون لأنه الأرخص. وهذا يُثبت مدى تعلق الشباب بالسينما، ولأجلها ناضلوا. وهنا تكثر القصص حول التلامذة الهاربين من قدّاس الأحد أو من صف المدرسة لحضور فيلم. نفهم أهمية المظاهرة لأجل السينما لأن ارتفاع بدل البطاقة كان بالنسبة للطلاب تقييد حرية.

○ كتبت «تواكب سيلما حياة طرابلس قبل أن تُسلّم روحها». تسليم روح أم اغفاءة طويلة؟

● في المرحلة الأخيرة من تدوين الكتاب كانت الانتفاضة ومن ثمّ كورونا، والإقفال. وتوالت الأسئلة الكبيرة عن السينما ليس عن طرابلس ولبنان بل عالمياً. كنت بصدد صالات مقفلة في طرابلس فصارت كافة صالات العالم مقفلة وفجأة. ومع تدفق مواقع الستريمنغ مثل نتفلكس تهدّد وجود صالة السينما. العودة صعبة عالمياً فكيف بصالات طرابلس؟ عنوان العرض الأخير ينعكس معاً على السينما والبلد، وكأننا نشهد موت واحتضار مرحلة عشناها، بانتظار تبلور المرحلة الجديدة. «سيلما» ننتظر العيش مع كائن جديد.

○ ومتى فيلم «العرض الأخير»؟

● ليس لي تحديد التاريخ. أبحث عن إنتاج، والمطلوب نفس طويل فنحن في زمن التدهور الكامل. والتحدي الأكبر كيف استمر يومياً على قيد الحياة لأتمكن من الإنتاج؟

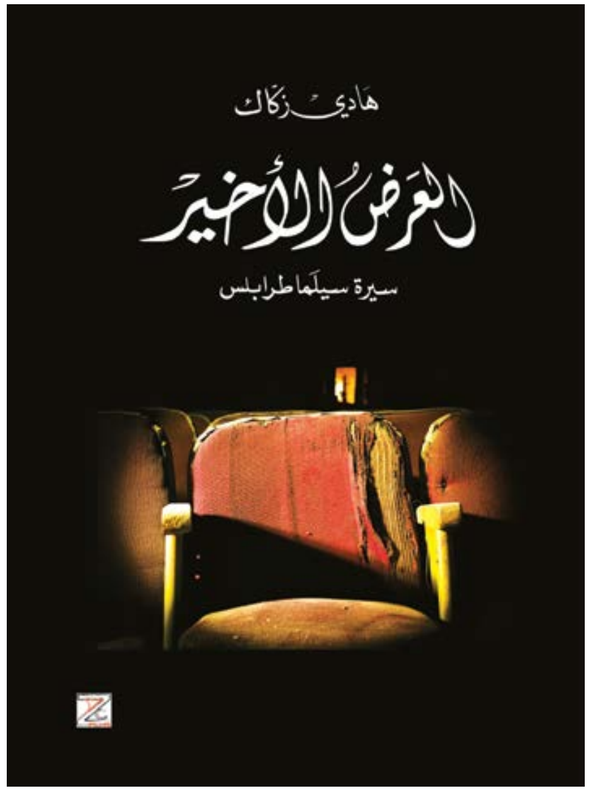

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان
رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul
Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089
Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 33 - Issue 10418 Sunday 17 October 2021
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10418 الأحد 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2021 – 11 ربيع الأول 1443 هـ

بسبب أسماء مدنهم فرنسيون يُحرمون من بطاقة الهوية

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

إذا كانت بطاقة الهوية الفرنسية الجديدة صغيرة الحجم وسهلة الحفظ ، كالبطاقة البنكية، إلا أنها ليست كبيرة الحجم بما يكفي لاستيعاب الأسماء الطويلة للبلديات. وهي مشكلة واجهتها عشرات المدن، لاسميا في منطقة النورماندي.

ومنذ دخول بطاقات الهوية الجديدة في فرنسا حيز التنفيذ في شهر آب/اغسطس الماضي، واجه العديد من المواطنين مشاكل في تسجيل أسماء بلديتهم بسبب طول أسماء مدنهم. وبالتالي، لم يتمكن العشرات من الفرنسيين من الحصول على بطاقة هويتهم الوطنية الجديدة، كون الأحرف الـ 38 التي تشكل اسم مدن هؤلاء لا تتناسب مع حجم المستند الجديد. وهي وضعية يمكن وصفها بأنها مضحكة إذا لم تنطو على تعقيد إداري خطير لأولئك المعنيين.

بحسب صحيفة «لوبارزين» فإن سكان نحو ثمانين بلدية فرنسية قد يواجهون هذه المشكلة، لأن اسم مدينتهم يحتوي على أكثر من ثلاثين حرفاً، بينما لا يمكن لبطاقة الهوية الجديدة أن تحتوي إلا على تسعة وعشرين حرفًا كحد أقصى. ويمثل ذلك أكثر من سبعة وستين فرنسياً.

لمعالجة هذا النقص في المساحة، هناك حل مطروح على الطاولة: «دمج خطوط اسم المدينة والبلد». وقد يتم اللجوء إلى تعديلات منطقية مثل «تحويل» كلمة Saint إلى St ...الخ. وفي حالة عدم كفاية هذا التعديل سيتم تقديم سطرين لاسم البلدية من خلال دمج سطر الاسم والرمز البريدي مع اسم البلد. وأخيرًا تدرس الوكالة المعنية حجم الخط على بطاقات الهوية في حالة عدم فعالية هذه التغييرات.

رسومات جدارية في موستار البوسنية بين الأفضل عالميا

اختارت منصة «Street Art Cities» العالمية، رسومات جدارية في مدينة موستار البوسنية، في قائمة أفضل 25 عملا من فنون شوارع حول العالم، بحسب مسؤولة عن مهرجان فنون الشوارع بالمدينة.

وقالت مارينا دجابيك، وهي واحدة من منظمي مهرجان فنون الشوارع في موستار، إن الكثير من الفنانين العالميين شاركوا في رسم رسومات جدارية في المدينة.

ولفتت إلى أنهم ينظمون المهرجان للعام العاشر على التوالي، مشيرة إلى أن الكثير من الرسومات على جدران مباني موستار، صارت جزءا لا يتجزأ من المدينة.

وأعربت عن بالغ امتنانها جراء اختيار رسومات المدينة في قائمة أفضل 25 رسومات حول العالم.

وأشارت إلى أنه من المزمع استقبال الرسام الكرواتي الشهير لوناك في موستار خلال الأيام القليلة المقبلة.

وأوضحت أن المدينة تحتوي رسومات لفنانين عالميين من الولايات المتحدة، والأرجنتين، وإسبانيا، وإيطاليا، وصربيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك.

(الأناضول)

مجهر عائلة داروين يُطرح للبيع في مزاد

يعرض مجهر أعطاه عالم الطبيعة البريطاني تشارلز داروين لابنه ليونارد وبقي في العائلة لما يقرب من 200 عام في مزاد في ديسمبر كانون الأول ومن المتوقع أن يباع بما يصل إلى 480 ألف دولار.

وقالت دار كريستيز للمزادات إن هذا المجهر صممه تشارلز جولد لشركة كاري في عام 1825 تقريبا وهو أحد ستة مجاهر باقية مرتبطة بداروين.

ويتزامن تاريخ تصنيعه مع الوقت الذي كان داروين يدرس فيه الكائنات الحية مثل المرجان وشقائق النعمان البحرية.

وقال جيمس هيسلوب رئيس قسم الأدوات العلمية والكرة الأرضية والتاريخ الطبيعي في كريستيز «إنه أمر مبهر بشكل لا يصدق النظر في هذا ورؤية العالم المجهري الذي كان داروين قد رآه في عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر».

ونشر داروين عمله الرائد «أصل الأنواع» في عام 1859.

وسيُعرض المجهر في مزاد كريستيز للكتب والمخطوطات القيمة في 15 كانون الأول/ديسمبر ويقدر سعره ما بين 250 ألف و 350 ألف جنيه إسترليني (ما بين 343050 و480270 دولارا).

وقال هيسلوب إن «تشارلز داروين أحد أكبر الأسماء في تاريخ العلوم، وهواة جمع ما يخص داروين منتشرون بالفعل في كل أنحاء العالم». (رويترز)